

العُرْفَانُ  
الإِسْلَامِيُّ

سَمَّاهُ رَبُّهُ لَدَى  
الرَّسُولِ حَسْبُهَا لِرَبِّهِ يَوْمَ

تَرْجَمَهُ

كَمَا كَتَبَ السَّيِّدُ

طَارَ أَحْيَاهُ التَّوَاتُ المَرْبُوحُ







**العرفان الإسلامي**



# العرفان الإسلامي

تأليف

سماحة آية الله الشيخ حسين انصاريان

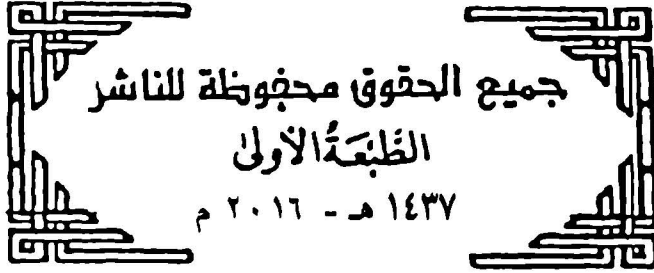
ترجمة

محمد باقر فاضلي

الجزء الأول

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان



**DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI** **دار إحياء التراث العربي**  
**Publishing & Distributing** **للطباعة والنشر والتوزيع**

### العنوان الجديد

دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - طريق المطار - خلف أوتيل الغولدن بلازا ص.ب: ١١/٧٩٥٧  
الرمز البريدي: ١١/٧٢٢٥٠ - هاتف: ٠٠٩٦١١٤٥٥٥٥٩ / ٠٠٩٦١١٤٥٢٤٦٩ / فاكس: ٠٠٩٦١١٨٥٠٧١٧  
Beyrouth - Lebanon - Airport Road - Behind Golden Plaza - P.O.: 11/7957 - Postal  
Code: -11/072250 **Tel: 009611455559 - 009611452469 -- Fax : 009611/850717**  
Email: darturath2012@hotmail.com [www.dartourath.com](http://www.dartourath.com)

# بسمه تعالى

مقدمة الناشر:\*

«الحمد الذي نورّ قلوب العارفين بضياء معرفته»

الحمد لله الذي أسبغ نعمه على عباده والحمد لله الذي أضاء قلوب عباده بنور معرفة أنبيائه وبالأخص نبيّه الأكرم محمد ﷺ وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام)، فأول مرحلة، كي نجتاز المراحل ونصل إلى لقاء (معروف العارفين) هو معرفته عزّ وجل (أول الدّين معرفته)، وإنّ حقيقة المعرفة للأعمال العبادية هي بمنزلة الروح من الجسد، وفي الواقع، إنّ أهل العرفان والمعرفة هم بمثابة الروح من الجسد لهذا العالم.

مما لا شكّ فيه انه إذا أردنا الحصول على جواهر المعرفة فإنّه يتوجب علينا الغوص في بحر معارف الدين لكي نبحت عنها، ونستطيع ان نتقرب إلى أهل

العرفان بالتمسك بسفينة النجاة وهم الأئمة الأطهار عليهم السلام وكذلك التسلح بسلاح القرآن الكريم والتفكير والتعقل والتدبر في الآفاق والأنفس، وان نعرض أنفسنا لنفحات شعاع شمس العرفان الدافئة؛ حتى نستطيع البقاء في دائرة العرفان الحقيقي.

أولئك الذين عرفوا أنفسهم، وحرروها من قيودها؛ ومن كل شيء يبعد الإنسان عن الله سبحانه وتعالى ويؤدي به إلى التهلكة، وأولئك الذين لا يرغبون في ظاهر الدنيا ويحزنون ليوم قيامتهم، قلوبهم خائفة، ووجوههم ضاحكة، أبدانهم بين الناس وقلوبهم بين يدي الله سبحانه وتعالى.

هنا نستطيع ان نقول بكل يقين: هنيئاً لهم الدنيا وما أعطوا فيها، وتعساً لغيرهم.  
يقول الشاعر:

الدنيا وما فيها سهل قصير، لا تحرم هذه الدنيا عن أهل المعرفة\*.  
يمتلك العارف في مدرسة أهل البيت عليهم السلام هذه الأوصاف، التي تغزل ظاهر القلب المخادع عن دائرة العارفين بالله سبحانه وتعالى.  
و من الواضح ان المضي على هذا الطريق والالتحاق بركب أهل المعرفة، دون مساعدة أهل البيت عليهم السلام أمر مستحيل، و مقدّمة للدخول في الظلمات، في هذا الطريق يجب علينا أن نستظل بظلال الشجرة الطيبة للرسالة والولاية وان نقطف من ثمارها ونكون كالفراشة في طوافها حول الشمعة، لأن «من تمسك بهم نجى ومن تخلف عنهم غرق».



إن الرجوع إلى الآثار العظيمة للعلماء الربانيين وأهل المعرفة والبصيرة، الذين أفنوا وجودهم في طريق كسب المعرفة والوصول إلى الغاية، هو طريق للوصول إلى النبع الفوار والغزير لمعارف أهل البيت عليهم السلام والتي هي أسمى درجات السلوك للطالب الحقيقي لدرك مقام العارفين.

والدراسة التي بين يديك هي تفسير لكتاب (مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة)، المنسوب إلى الحجة الكبرى، والإمام الناطق بالحق، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - هذا الكتاب الذي صنّفه مؤلف ومحقق (الذريعة) ضمن مجموعة الكتب العرفانية لدى الامامية معتبرا نصوصه ضمن القواعد العرفانية للمذهب الشيعي\* - وقد قام سماحة العلامة المحقق الشيخ حسين أنصاريان بشرحه وتفسيره، فكانت عنايتهم الخاصة وألطفهم عليهم السلام قد شملت هذا الكتاب، وبعد أن بذل سماحته جهوده الخالصة خلال أكثر من عقد من السنين في تحقيق واستخراج الآثار الإسلامية والعرفانية من الكتب التي ألّفت في هذا المجال، فقد لاقى الكتاب قبولا واسعا من محققي العلوم الإسلامية والمفكرين والمتعلمين. واحتلّ مكانا خاصا في المكتبة الإسلامية؛ وكذلك بين طلاب وفضلاء الحوزة العلمية وبعض طلاب الجامعات حتى أصبح هذا الكتاب احد المصادر لديهم في كتابة تقاريرهم.

إن المنهج الذي اعتمده المؤلف في تفسير كتاب (مصباح الشريعة) - الذي شمل قراءة تحقيقية نافذة للأستاذ الشيخ حسين أنصاريان مع تطبيق المباني

العرفانية في متن (مصباح الشريعة) في ضوء الروايات المعتبرة عن أهل البيت عليهم السلام والتي تبين لنا حقائقاً من هذا الأثر - يهب الكتاب أهمية خاصة تؤيد نظرية أن الكتاب لا يمكن أن يكون إلا من تأليف المعصوم عليه السلام.

ويذكر المؤلف المحترم، علة تأليف هذا الأثر؛ وهي من أجل بيان العرفان الحقيقي والحد من انحراف طلاب المعارف الإلهية والحد من تأثير المتظاهرين بالعرفان الكاذب. ومنذ إصدار هذا الأثر، لأول مرة في سنة ١٣٦١ هـ ش (١٩٨٢م) حتى يومنا هذا ونحن نرى الآثار الثقافية الجليلة له في المجتمع.

ومما لا شك فيه فإن قراءة هذا الكتاب - والذي ألف على ضوء المباني العرفانية النظرية من وجهة نظر أهل البيت عليهم السلام - له الأثر العميق في معرفة المباني الحقيقية للعرفان الإسلامي.

ونحمد الله سبحانه وتعالى ونشكره ان وفقنا - بعد سنوات من غياب مثل هذا الأثر، وبعد مطالبة الفضلاء والمحبين لمباني العرفان النظري - لتحقيقه ولطباعته من جديد وان نعرضه بحلته الجديدة و نقدمه إلى الوسط الثقافي للمجتمع الإسلامي.

ومن امتيازات هذه الطبعة الجديدة لهذا الأثر عن سابقاتها، نستطيع ذكر ما يلي:

١- طباعة النص وتصحيحه ومقابلته مع النسخة الخطية للمؤلف.

٢- مراجعة وتدقيق النص بإشراف المؤلف.

٣- تبويب المواضيع لسهولة المراجعة.

- ٤- إجراء تحقيق أدبي لكل من النص الفارسي والعربي.
  - ٥- مراجعة النصوص العربية وترجمة الروايات.
  - ٦- استبدال الترجمة الجديدة للمؤلف للآيات القرآنية.
  - ٧- استخراج المصادر وتطبيق الروايات مع المصادر.
  - ٨- تخصيص مجلد عام للفهارس.
  - ٩- تخصيص مجلد كامل للفهارس التفصيلية والمنوعة.
  - ١٠- حذف بعض المسائل الاجتماعية التي كانت مناسبة في ذلك الوقت وليس لها علاقة بموضوع الكتاب بإشراف المؤلف.
- وفي النهاية، نشكر جميع الذين قاموا بمساعدتنا على نشر هذا الكتاب وبالأخص المحققين وهم السادة: محسن فيض بور، محمد جواد صابريان، عبد الرضا محي الديني، محمد حسين اميدوار، وكذلك المدققين اللغويين وهم كل من: السيد رضا باقریان موحد، وكذلك المراجعة: السيد محمد رضا آصف، وكذلك التنضيد الفني والاخراج والفهرسة: السيد حسين امامي نجفي، نسأل الله القبول.
- المركز العلمي للدراسات في دار العرفان.



بسم الله الرحمن الرحيم  
«الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى أهل  
بيته الطيبين الطاهرين».

مقدّمة:

تحليل حول موضوع العارف والعرفان:

إذا اعتبرنا العرفان حالة ملكوتية وحقيقة روحانية وإلهية - كما يراها الكثير  
من أهل البصيرة والمعرفة والذين يسلكون طريق المحبة والعشق الإلهي ،  
ويعبرون عنها بالحالة العرفانية والإلهية - فانه يجب علينا ان نبحث عنها في  
أعماق وباطن الروح وسرّ الوجود.

و في هذه الحالة، يعتبر العرفان إلهام إلهي، وحقيقة فطرية تكون على شكل  
قوة وموهبة موجودة في جبلة الإنسان يهبها الله لعباده، ومن أجل الوصول إلى  
تلك الحالة، يجب علينا أن نرتب أنفسنا على المعارف والأخلاق والأهداف  
الواردة في أدعية الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) وذلك عن طريق الاستعانة بالقرآن الكريم  
والروايات، حتى نستطيع ان نتخلص من جميع الدتس والخطايا ونحرّر الروح

الإنسانية ولنرجح الرحيل على التوقع في هذه الدنيا ويصبح الإنسان قدوة حقيقية لمعنى العارف<sup>١</sup>.

١- موضوع هذا العلم هو معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته؛ وعموماً فإن السبيل والسلوك الذي اختاره السائرون إلى الله من أجل معرفته تعالى سمي العرفان).

العرفان يعني المعرفة، وفي الاصطلاح: المعرفة القلبية الحاصلة من الكشف والشهود، وليس البحث والاستدلال. فالعارف هو الذي يصل إلى معرفة الله من خلال معرفة النفس، وعلمه يتمركز في الحقائق ومعاني الالفاظ.

ولقد كان العرفان في الإسلام وفي سائر الأديان الشرقية يعدّ من أرقى العلوم، حيث إن هناك تصوراً معيناً ومحدوداً عنه في عالم الطبيعة، غير أنه - في الواقع - يقدم نموذجاً يشتمل على العلوم الكونية التقليدية - بمستواها الحقيقي - . وفي هذا السياق فإن العرفان هو مصدر الحياة، والعارف يرى أن كل شيء إنما هو من تجليات الأصل الإلهي الذي هو أرقى من أي تعين بما في ذلك الوجود الذي هو أول تعين له. وفي مجال المعرفة الكونية العرفانية فإن جميع الموجودات التي تتجلى بشكل محسوس أو غير محسوس - بحسب الدرجة التي يعكسها العقل، وحسب طبيعة وجودها - لها ارتباط بهذا المركز.

إن علم أي من الموجودات هو حلقة اتصاله المباشر بالعقل الكلي أو الكلمة - التي بواسطتها وجدت جميع الأشياء. وإن درجة وجود أي من المخلوقات هو تجلٍ من الوجود المحض بمستوى ما من الوجود الكوني؛ ولذا فإن تجلي أي من الموجودات هو تجلٍ شئني وليس عدماً.

إن المعرفة العرفانية غير قابلة للتريد، ذلك أن المعلوم - في العرفان - هو ذات الله وصفاته، وهذه المعرفة مبتنية على فرض أن الوجود واحد لا يشبه شيئاً ولا شيء يشبهه. وإن معرفة صفاته تعالى في إطار مفهوم أنه حيّ وعليم وسميع وبصير. وهذه المعرفة تتضمن أصليين، هما:

١ - الفعل العقلي، الموجودات التي لها ظهور عيني وتدرّك بواسطة العقل.

٢ - الحصول، بمفهوم نتيجة الفعل الذي يمثل صورة الشيء في الذهن.

إن العارف يجعل العالم عالم شهود من ناحيتين: أ- الرمز المثبت (اللاحق) : ب - الوهم المنفي (السلب). والتجلي الذي له جنبه الحقيقة، هو مظهر لدرجة أعلى من الحقيقة، وهو وهمي بقدر ما



ينفصل عن الأصل ويكون في غيرية منه.

إن العالم - في العرفان الإسلامي - هو هيكل (الكلمة)، ولأن الكلمة تتجلى لدى الإنسان بصورة عالم صغير، فإن العارف بقدر ما يكون متصلاً بالمنبع النوراني، تكون وحدانيته مع العالم أكثر. ودعاء العارف هو أن يرى أن معرفة أي وجود جزئي وعلى أي مرتبة من العلم كان، دالة على معرفته الوجودية؛ وهذا المعنى يمثل أسس العرفان.

فالعرفان ليس بفن، بل هو علم له موضوع ومبادئ ومسائل خاصة به، وهو أيضاً له ارتباط وتجانس مع جميع العلوم.

العرفان الشيعي:

العرفان هو المصدر، أي أنه المعرفة والدراية بعد الجهل، وجذره الثلاثي المجرد مأخوذ من عَرَفَ، وعَرَفَ - وله معانٍ أخرى متعددة وردت في معاجم اللغة. وقد ذكرت مشتقات عَرَفَ - في إحدى وسبعين آية في القرآن الكريم.

والعرفان هي الحالة التي تتناول الجانب العملي في علاقة الإنسان بنفسه والعالم وبالبارئ تعالى بما يوصل الإنسان إلى التوحيد الكامل سيراً وسلوكاً.

إن العالم بنظر العارف ليس إلا الخالق البارئ سبحانه وصفاته وتجلياته؛ فقد قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ الحديد: ٣؛ وقال جل وعلا: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ١١٥.

والعرفان هو معرفة الحق والسييل والطريقة التي اتخذها السائرون إلى الله لمعرفة سبحانه. يقول الخاقاني:

كل مؤمن يكون من أهل العرفان، يكون شمساً لسماء الفضل والإحسان.

ويقول الحكيم ناصر خسرو:

رحلة العرفان هي الشفاء للآلام، إذ العرفان ينير مجد الروح.

وبالإضافة إلى ما ورد في القرآن الكريم من أمارات العرفان، فإن سيرة الرسول الأكرم ﷺ تمثل تجسداً للحياة المعنوية، وهي زاخرة بلمساته العرفانية. كما أننا نلاحظ حياة الزهد التي عاشها ربيبه الإمام علي عليه السلام في طيات جواهر كلامه الذي ورد في نهج البلاغة، وكذلك أحاديث الإمام زين

وإذا حسبناها جزء من المسائل النظرية والعلمية كما يعتقد بذلك بعض الناس فيجب علينا أن نأخذ علمه من أهله والعمل بذلك يؤصلنا الى ان نحصل على تلك الحالة العرفانية. ووسعة معنى هذه المسألة، تحذرنا من أن ليس كل كتاب عنوانه العرفان أو كل شخص يشتهر بالعرفان له القابلية على ان يرشد الإنسان في هذا الاتجاه.

والكتاب الذي فيه الجذور الأصيلة للعرفان النظري، هو الكتاب الذي تنبع أصوله من كتاب الله والوحي و النبوة والإمامة فقط. والعارف الحقيقي؛ هو الذي يأخذ قواعد العرفان من المقربين لله والصدّيقين والصالحين والأولياء، وهو الذي يؤمن بتلك القواعد من أعماق وجوده ويعمل بذلك.

---

العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية؛ كلها تمثل دروساً جليلة ونهجاً عملياً يقتدي به العرفاء. لقد كان الإمام علي عليه السلام - الذي عاش حياة مليئة بالزهد والإباء، وكان على معرفة بظواهر الأمور وبواطنها - قدوة لشيعته. وإن العرفاء وأصحاب طرائق العرفان والتصوف الذين جاءوا في القرون اللاحقة، قد أولوا اهتماماً خاصاً في السير على نهجه لربط طريقهم بوجوده المقدس. وإن مضامين الأدعية الإسلامية مستفأة من الإشارات العرفانية التي تفضي إلى رسوخ ذكر الله في القلب، وتبعث على السير الشهودي والكشف الوجودي الذي يضعه الله تعالى في قلوب اهل الكمال، وفي هذا السياق يمكننا أن نشير إلى دعاء كميل ودعاء أبي حمزة الثمالي كنموذج على ذلك.

وبعد الإمام علي عليه السلام كان هناك أربعة رجال شكلوا أركان الشيعة، وهم: سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر و المقداد بن عمرو؛ وهؤلاء المجاهدون كانوا من كبار الصحابة وأهل الزهد، الذين هم من المخلصين والمؤمنين الأخيار المقتدين برسول الله صلى الله عليه وآله، ومن ثم أصبحوا من أصحاب الإمام علي عليه السلام، والعرفاء العارفين بالشيعة عليه السلام والعرفان الخالص.

و بناءً على الرأي الأول، فالعرفان، عبارة عن حالة ملكوتية ومنحة سماوية وفطرية والتي تظهر في المرحلة الأولى في أعماق الروح و النفس ومع نور الإيمان واليقين تصل إلى مرحلة للكمال، ويمكن رؤية آثار تلك الحالة في أعماق حركات وسلوك ذلك العارف.

العرفان، هو الجبل المتين والرابط القوي الذي يربط الإنسان الترابي بباطن سرّ العالم الطاهر، بمعنى أنه يربط الإنسان بخالق الوجود ويفتح أبواب رحمته وبركاته على قلبه وروحه.

العرفان؛ يصنع من الإنسان كائناً نبيلاً ذا وجود سامي، ويجعل منه مصدراً قياً وقوياً للخير، وسالكاً مخلصاً ومحارباً قوياً، و مجاهداً قديراً، و زاهداً مجللاً، و عابداً منقطعاً في الليل ومتضرعاً في السحر ومستغفراً في السجود وليثاً مصوراً في ميدان الحرب.

العرفان، هي جوهره حياة الإنسان، والصراط المستقيم المفعم بالدفء الروحي، والعشق الباطني، مشعاً بحب الإنسانية، يترنم بعشق الله خالق الكون عز وجل.

العرفان، سبيل الله و طريق الأنبياء و جوهره قلوب الأنبياء و طريق الأصفاء ومدرسة المعصومين عليهم السلام العظيمة.

العرفان، يعني رؤية الله عن طريق بصيرة القلب وما هي إلا نتيجة معرفة الإنسان لخالقه ولن تحصل هذه المعرفة للإنسان إلا عن طريق معرفة الأنبياء والقرآن والأئمة الأطهار والافتداء بهم.

والعبادة تفتقد المعنى التحقيق من دون وجود حالة من العرفان والتضرع  
والإنابة والتوبة والتوسل.

العرفان، هو جوهر و حقيقة العبادة، والخشوع، والخضوع والتسليم لله والفرق  
إلى الله وكل هذه الحالات تحصل نتيجة رؤية الإنسان لله بصيرته في قلبه، ولن  
تنال هذه السعادة إلا بالمحبة؛ والمحبة مشروطة بالافتداء بالرسول الأكرم ﷺ  
والذي ينهض على المعرفة وهذا يستلزم منا إتباع ورثة الأنبياء ﷺ<sup>(١)</sup>.

العرفان، هو تزكية القلب من جميع أنواع التعلقات الأخرى سوى التي تكون  
لله، فعليه ان يجعل حبه للآخرين؛ فقط لله عز وجل، ويزين أعضائه وجوارحه بما  
يرضي الله؛ وأن تسمو روحه بالأخلاق الإلهية.

العرفان، هو تحرير النفس من عبوديتها، و من المتعلقات المادية، والالتزام  
والدوام على عبادة الله، وتنوير الروح بنور الله وصبغه بالصبغة الالهية

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ

عَابِدُونَ﴾<sup>٢</sup>.

العارف: هو الذي يملك الكرامة الإنسانية، و الشعور والحكمة وإرادة  
القوية، وهو الذي يسلك الصراط المستقيم انطلاقاً من المعارف الإلهية  
حتى يصبح قلبه حرم الله ويضيئ كعبه قلبه بنور الملكوت.

يقول العارف الكبير السيد حيدر آمللي في كتابه - الفريد في نوعه - «جامع

١-الرشحات: ٢/٦٢٨.

٢- البقرة: ٢: ١٣٨.

الأسرار» حول موضوع العارف المؤمن:

«فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثَةٌ أَنْوَارٌ: نُورُ الْمَعْرِفَةِ، وَنُورُ الْعَقْلِ،  
وَنُورُ الْعِلْمِ.

فَنُورُ الْمَعْرِفَةِ كَالشَّمْسِ، وَنُورُ الْعَقْلِ كَالْقَمَرِ وَنُورُ الْعِلْمِ  
كَالْكَوْكَبِ.

فَنُورُ الْمَعْرِفَةِ يَسْتُرُ الْهَوَى، وَنُورُ الْعَقْلِ يَسْتُرُ الشَّهْوَةَ، وَنُورُ الْعِلْمِ  
يَسْتُرُ الْجَهْلَ.

بِنُورِ الْمَعْرِفَةِ يُرَى الْحَقُّ، وَبِنُورِ الْعَقْلِ يُقْبَلُ الْحَقُّ، وَبِنُورِ الْعِلْمِ  
يَعْمَلُ بِالْحَقِّ!.

ويقول أهل المعرفة والبصيرة:

من أجل الوصول إلى الحق والحقيقة يجب علينا ان نجتاز عدة مراحل حتى  
تستطيع النفس ان تحصل على الحق والحقيقة وفق طاقاتها.

الفرق بين أهل العرفان والفلاسفة يمكن في أن العرفاء لم يكتفوا بالاستدلال  
العقلي بل اجتازوا الى مرحلة أعلى من ذلك وهو ما يسمى بمرحلة الشهود.

بعد اجتياز النفس مراحل الحس والعقل والبرهان؛ تستطيع السمو إلى مرحلة  
أعلى وذلك بممارسة الروحيات والمعراج الروحاني؛ وتستطيع النفس ان ترتقي  
إلى أعلى مرحلة؛ الى حد تكون لها القدرة على مشاهدة ودرك الحقائق دون

الاحتياج إلى البرهان، وبصورة عامة فإنها تنطلق من مرحلة العلم إلى مرحلة البصيرة ومثل هذا العلم في مقابل الحكمة البرهانية؛ يسمى بالعرفان.

والعارف الذي يحمل هذه البصيرة الإلهية - والتي حصل عليها عن طريق رياضة شرعية للنفس وتقوى خالصة والاهتمام بآيات القرآن الكريم وسنن المرسلين - يصل إلى توحيد شهودي، وفي هذه الرحلة لا يحتاج العارف إلى دليل وذلك لأنه أدرك هذه الحقيقة من أعماق قلبه وهي الدليل على ذلك ولا تكون له القدرة على ان يكون المرآة الكاملة لحضرة المحبوب.

حيث نلاحظ ذلك في ما يستدل به إمام العارفين الإمام الحسين (عليه السلام) في دعاء عرفة - الذي يمثل العرفان الإسلامي الخالص - عند تضرعه لله رب العزة جل وعلا، في باب التوحيد الشهودي، فيقول:

«كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقَرٌ إِلَيْكَ؟»

### نبع العرفان:

من خلال ما ورد في الصفحات السابقة، فإن البحث في تاريخ حياة الإنسان عمّن أسس مدرسة العرفان أو عن المنظومة الدينية التي قامت بتأسيس هذه المدرسة، هو مضيعة للوقت.

لأنه حينما تكون الحقيقة كامنة في وجود الإنسان على شكل استعداد وذوق وشوق وفقر واحتياج، فانما يدلّ على أن ذلك من الله.

و عندما يكون الإنسان بعيداً عن ضوضاء الحياة المادية، فإنه يشعر في أعماق قلبه بالحب تجاه خالق الوجود والشوق إلى طهارة الروح والجسم والتمسك



بالحقائق والاهتمام بالعلم والبصيرة و الحياة خارج المادية.

هذا الإنسان؛ الذي يسعى بأن يبذل الاضطراب الداخلي لروحه ونفسه؛ إلى طمأنينة وراحة بمساعدة عامل قوي وحقيقي؛ غير العوامل المادية التي هي عامل للقلق والاضطراب.

هذا الإنسان الذي يجاهد من أجل البحث عن خيط يوصله بالحق والحقيقة.  
 هذا الإنسان الذي يرغب من أعماق قلبه ان يخيم في أرض العشق والمحبة كي ينجو من تأنيب الضمير إلى الأبد.  
 هذا الإنسان الذي تكمن في فطرته حقيقة تجذبه وتطلب منه السيرف طريق الكمال.

هذا الإنسان الذي يتمنى لكل البشر ان يتنعموا بنعمة الراحة والأمن والأمان بجانبه.  
 هذا الإنسان؛ الذي هو مشتاق لفهم حقائق عظمة العالم، ويسعى ان يكشف أسرار هذه الحياة.

كل هذا العشق المحبة والاشتياق واللهفة، الذي يتلاطم كالموج في اعماق الإنسان؛ إنما هو الجوهر الذي يعبر عنه العرفاء بالطاقة العرفانية والحب الالهي.  
 تنمية هذه القوى والطاقات مع قوانين الوحي ورياضة النفس؛ فإنه سيبلغ و لو سعى الاساس في الغايه التي يسعى إليها بالفطره.

هذه الحقيقة - التي لها جذور في الجسم والروح - إنما هي تلك القوى الجاذبة التي اودعها الله في أعماق وجود الإنسان العاشق، ومجرد معرفة العاشق لهذه الحقيقة، فإنه يسعى وراءها والتحلّي بها، وفي بداية طريق السلوك يدرك

بأنه لا يستطيع السير على هذا الطريق - من دون الهداية الإلهية والقدرة السماوية - المحفوف بالمخاطر من شياطين الجن والإنس المترصدين في كل ناحية. وعاشق العرفان، يجب عليه ان يعلم بأن مصابيح هذا الطريق - في الدرجة الأولى - هم الأنبياء والأئمة الأطهار (عليهم السلام) ومن ثم العلماء الربانيين الذين هم ورثة الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام).

لذلك، فإن منبع هذه الحالة العرفانية هو المحبوب وهو الذي أودع هذه الطاقة في روح الإنسان، وعن طريق هداة السبيل وهم المرسلون؛ فإن هذه الطاقة تتحول من طاقة كامنة إلى فعلية. وهو الذي أودع العشق في قلب وروح الإنسان ويريد من الإنسان ان يستفيد من جميع الإمكانيات المادية والمعنوية، كي يصل إلى المعشوق الحقيقي.

ان الذين و من أجل سمو حالة العرفان لديهم، قد وضعوا أقدامهم في طريق الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، وهم في الحقيقة استطاعوا ان يصلوا إلى ما أرادوا، ووجدوا العقيدة التي ينشدونها، فسكوا هذا الطريق، من أجل المسير في طريق العبودية، حتى وصلوا إلى مقام المعية.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾<sup>١</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>٢</sup>.

قال رسول الله ﷺ:

١- النحل ١٦: ١٢٨.

٢- البقرة ٢: ١٥٣.

«إِن لِّيَ مَعَ اللَّهِ حَالَاتٍ لَا يَحْتَمِلُهَا مَلَكٌ مُّقْرَبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُّرْسَلٌ».

فإن قيل إن دليل وصول الإنسان إلى المقامات السامية، هي تلك الحالات الباطنية مع مرافقة داوم العبادات الإلهية والملكوئية، فهي مقولة صحيحة. وانا الفقير لا اعتبر أن مؤسسي العرفان هم عظماء الهند أو حكماء اليونان أو العلماء القدامى في إيران، بل هم اوجدوا بعض قواعد الفلسفة والحكمة. والعرفان حالة حقيقية لها جذور إلهية وهي خفية كالجوهرة السماوية في أعماق القلب والروح وظهورها يكون ميسراً عندما يؤمن الإنسان بالله ويوم القيامة والعمل بذلك والافتداء بالسنن الشرعية.

وحالة فقر الإنسان لربه، والميل لتلك الجهة ما هي إلا حالة عرفانية، ويجب أن تتحول من طاقة كامنة إلى طاقة فعلية عملية؛ عن طريق رسل الله سبحانه وتعالى. والذين يسعون الى تفعيل هذه الطاقة الكامنة؛ بواسطة التعلق بمدعي العرفان؛ وعبر الأشخاص الذين هم غير مرسلين من الله؛ قد أضعوا الطريق ولم يصلوا إلى شيء.

فتأمين طريق العرفان لسالكيه، لا يكون إلا عن طريق التمسك بالنبوة والإمامة والقرآن الكريم.

وعليه، اجعل برنامجك في إتباع أربع حقائق في هذا الطريق:

- ١- معرفة الله، في أسمائه و صفاته وأفعاله .
- ٢- معرفة النفس وشروطها وخطورها و نزعاتها اللامشروعة.
- ٣- معرفة وسوسات وإغواءات العدو.
- ٤- معرفة الدنيا بدون الحق والغرور والفتنة والمغريات.

لذا، من الذي يستطيع أن يكون منبعاً لهذه المعارف غير الأنبياء والأئمة الاطهار عليهم السلام والقرآن الكريم؛ حتى يتوسل إليهم كي يحصل على هذه المعارف الأربعة؟

وحيثما تنظر إلى كل شخص وصل إلى أي مرحلة؛ فإنه يحتاج الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام والقرآن الكريم للوصول إلى هذه الحقائق الأربع.

وانا لست منكرًا أن الإنسان في هذا الطريق - في غياب الأنبياء أو في غيبة صاحب الأمر والزمان عليه السلام - يحتاج إلى عالم رباني يقتدي به، ولكنكم تعلمون؛ بأن العالم الرباني الواجد للشروط ما هو إلا واسطة بيننا وبين رسله عز وجل، وهم لا يملكون شيئاً من تلقاء أنفسهم وكل ما لديهم ما هو إلا من منبع الوحي.

لذا، لا يستطيعون ان يكونوا كعبة العارفين والسالكين على نحو مستقل، لأنهم هم ما يزالون يسلكون هذا الطريق ويجاهدون بكل وجودهم في سبيل الوصول إلى اليقين الواقعي والايمان الحقيقي. لذا فيما أنهم تحملوا - أكثر من غيرهم - الكثير من الصعاب في هذا الطريق فقد أُذِنَ لهم بأن يمسكوا بأيدي المضلين والمتأخرين في هذا السبيل و يصطحبونهم في هذا الطريق.

وهل تعرفون عالماً ربانياً واجداً للشروط ويمتلك هذه المقومات وصل إلى هذه الدرجة من العرفان الذي وصل إليه كعبة عالم الوجود وملجأ ومرجع السالكين وأمل قلوب العارفين؛ أمير المؤمنين عليه السلام حتماً يقول:

«لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِينًا».

على أية حال، مع كل هذه الطاقات الفطرية والروحية ونظراً إلى هداية الله لعباده عن طريق الأنبياء والأئمة عليهم السلام، لو ان شخصاً لم يجاهد في الوصول إلى

الكمال ولم يسع إلى ان يبرز تلك الطاقات الإلهية؛ فانه محروم من رحمة الساحة  
القدسية؛ وملعون على لسان هذه الرواية:

قال رسول الله ﷺ:

«النَّاقِصُ مُلْعُونٌ».

وبالنظر إلى مجموع هذه الآيات والروايات فإن هذه الجملة تخصّ الذين  
يستطيعون تنمية عقولهم وقلوبهم؛ ولكن الشهوة الحيوانية توقفهم عن مواصلة  
هذا الطريق.

إنّ لدينا أدلة نقلية وعقلية كثيرة تفيد بأن الذين يولدون مشوهي الخلق في  
هذه الدنيا؛ أو لا إرادياً يحدث لهم نقص في هذه الحياة، سواء كان من الناحية  
الجسمية أو من ناحية الطاقات الباطنية، فإنهم سيُشملون برحمة ولطف الله سبحانه  
وتعالى.

روي عن رسول الله ﷺ في كتاب «الجامع الصغير»<sup>١</sup> ما معناه: ان الذين  
يفقدون عين أو إذن لهم، تغتفر ذنوبهم؛ وكل انسان يكون لديه نقص في عضو  
من اعضاء جسمه فإن ﷻ تشمله.

من الواضح إن مقياس القرب والبعد من الله من ناحية النقص والكمال يعتمد على  
قدرة وإرادة الإنسان، سواء أكان النقص والكمال يرتبط بالعقل أو بالحسم.

وبشكل كلي، فإن كل فرد ينجح في إكمال نفسه وتحرير نفسه من النقص؛  
هذا الفرد موفق في حياته، ولكن إذا تبع هواه، وتساهل أو تسامح في رفع نقصه

فإنه ملعون سواء كان هذا النقص يتعلق بعقله أو بأشياء مادية<sup>١</sup>.  
ان الإنسان الذي يسعى في كسب الكمال ويسلك هذا الطريق حتى الوصول  
إلى الهدف المقصود؛ فإنه في الحقيقة قد وصل إلى معدن النور كما يقول  
رسول الله ﷺ:

«اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»<sup>٢</sup>.

### هداة الطريق:

الأنبياء والأئمة عليهم السلام هم في رأس العارفين، لم يعرف الله أحدٌ مثل أولئك الطاهرين،  
او عمل بما وصلوا إليه، فلا أحد يصل إلى روحانيتهم أو علمهم. وقد عبّر  
القرآن الكريم عنهم بصفات كالصالحين والصدّيقين، والمقرّبين، والمتوكّلين.  
فعندما نقول: عباد الله، أصفياء الله، أولياء الله، فهم أتم المصاديق لها.  
فأولئك الذين هم أهل الكرامة والشرف والأصالة والمعرفة والعلم؛ راضون  
بقضاء الله تعالى، مسلمون له الأمر، متوكّلون على الله، وهم هداة مهديون.  
فأولئك هم الذين بسبب عصمتهم وطهارة أنفسهم وباطنهم وحسن اخلاقهم،  
وجهادهم النفس في الوصول إلى المحبوب، قد نالوا شرف النبوة والإمامة، كي  
ينوروا جميع البشر بنور الحق، ويصقلوا قلوبهم وأرواحهم بمرآة أنوار الملكوت.  
الأنبياء والأئمة الاظهار عليهم السلام في بداية الأمر يسعون إلى جذب اهتمام الإنسان  
إلى مسألة التوحيد، وكل أملهم بأن يطهروا قلوب الناس من الشرك؛ ومن اجل

١- كتاب «تفسير ونقد وتحليل مثنوى»: ١٥٠/٤.

٢- سفينة البحار: ٣٥٦١.



ذلك فقد بذلوا قصارى جهدهم؛ وبعد ان هيئوا الظروف لتركية النفس، قاموا بالإعداد والتخطيط لوصول الإنسان إلى ربه.

الانبياء ﷺ قد ضمنوا تطبيق المسائل الأخلاقية والعملية، عن طريق الإيمان بالله واليوم الآخر، وشجّعوا الإنسان في جميع شؤون الحياة بالعمل بأوامر الله، بالأخص الأوامر الروحية والأخلاقية.

و في مجال تعاليم الوحي وسنن الأنبياء؛ كلما كان الإنسان أكثر حرصاً على فهم الحقائق، كلما زاد عطشه في الحركة تجاهها؛ وعشق الوصول إلى مقام القرب الإلهي.

وهناك اناس مضوا على هذا الطريق و عشقوه، لدرجة أنهم نالوا علم المنايا والبلايا؛ واصبحت لديهم المعرفة لاكتشاف الإسم الأعظم لله سبحانه وتعالى:

«أَرْوَاحُ الْأَحْبَابِ فِي قَبْضَةِ الْعِزَّةِ يُكَاشِفُهُمْ بِذَاتِهِ وَيَلْطِفُهُمْ بِصِفَاتِهِ»<sup>١</sup>.

و لقد سئل أحدهم و كان في حالة عسر، لكنه كان مسروراً جداً؛ فسألوه لماذا انت سعيد؟ فقال وما العجيب في هذا السرور!

«وَقَدْ قَرَّبَ وَصَالُ الْحَبِيبِ وَفِرَاقُ الْعَدُوِّ»<sup>٢</sup>.

وعندما يصل الإنسان إلى مرحلة قد رسمها له الوحي، عندئذ؛ تكون جميع شؤونه إلهية.

السير بأمر الله ومن اجل الله ومن الله والى الله؛ هو عاقبة الخلوص والافتداء

١- روح الأرواح: ٣٤٨.

٢- روح الأرواح: ٣٤٨.

بالانبياء ﷺ

### ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾!

وحيثما بنجح الإنسان في سيره على الصراط المستقيم؛ بمساعدة الحق والافتداء بتعاليم الأنبياء والأئمة ﷺ وبهمة عالية، واردة قوية، فإنه سوف يصل إلى فهم هذه الحقيقة بأن الشيء الذي يتظاهر في عرصة الوجود، ما هو إلا علل واسباب ووسائل وهبة الله لعباده للوصول إليه؛ فلا يحتاج الإنسان إلى ان يختار هدفاً آخر، ويشغل نفسه بأشياء ثانوية، بل عليه أن يستثمر جميع الوسائل حتى ينال قرب المعشوق، وأكثر من هذا، أنه يغض الطرف عن جميع العلل والأسباب فلا يرى سوى المحبوب.

ان الله جل جلاله عرض أسماءه وصفاته على العالم، حتى انجذب العشاق، ويكل شوق طالبين رؤيته، وبارادته، وبغزته أسدل ستار الكبرياء، وبعظمته جعل العلم، وجعل المنة حجاباً لجلاله، كي تتألم قلوب احبائه، وتصبح عيونهم ينابيع للماء.

وفي كل مرة يتركون فانهم يتوسلون ويهتف هاتف من السماء «بُعْدًا بُعْدًا». يا قبضة الطين يا أيها الإنسان! من الذي اجبرك ان تطوف حول ساحة الأحذية وكلما شربت كأس اليأس ولبست رداء الافلاس وبقيت حيراناً، جاء نداء من سرادقات جمال الوهية بصوت جميل «صبراً صبراً»، وتطرقون باب الله بأمل ان تشاهدوا جماله وتقضون أيامكم، وتستمتعون بذلك ولو كنتم وسط النار

في ليل مظلم، ولكنكم تملكون قلباً قوياً وان الصبح لقريب.  
 إن الله جل جلاله - لم يستعمل مع الملائكة سيف فهره وقوته، ولكنه  
 استعملها معكم، لأن حقيقة الحياة هي:

﴿وَلِيْلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾!

ايها الملائكة أنكم تعمرون خزائن التسبيح والتقدیس وترددون «سبحان الله»  
 و«الحمد لله» في الوقت الذي نبتلي الإنسان مرة، ونسره أخرى، فحيناً نبتليه في  
 إيمانه وحيناً نرحمه.

كان عارف قد عانى في هذا الطريق، وقضى عمره في تعب ونصب الوصول؛  
 فمرض لأيام، ثم جاء اجله فوجدوا هذه الجملة «هذا قتيل الله» مكتوبة على صدره.  
 يجب ان لا ننسى؛ أنه بعدما يصل العارف إلى بلوغ حالة العرفان، لا يجوز له  
 التوقف في أي مرحلة من المراحل. بل عليه ان يتجه إلى المحبوب بكل وجوده  
 و في غاية حركته حتى يصل إلى ذروة اللقاء، وان لا يففل من خطرات هوى  
 نفسه ويكون على حذر من ذلك حتى يخرج من الدنيا في حالة التسليم لله.

### أدعياء العرفان:

ذكرنا في السطور السابقة بأن العرفان حالة إلهية؛ تكون جذورها على شكل  
 طاقة كامنة؛ في اعماق الإنسان، و نبع هذه القوة الرحمانية، هو رحمة و الله،  
 والمرشدون لهذه الحالة هم الأنبياء والأئمة عليهم السلام ونصائح ومواعظ العلماء  
 الربانيون والعلماء الذين هم تلاميذ مدرسة النبوة والامامة المخلصين.

وللأسف الشديد، نجد في تاريخ الحياة، بعض الناس قد اساءوا الاستفادة في هذه الطاقة الباطنية وبعيداً عن القواعد الإلهية والحكم الربانية؛ فقد دعوا الناس - الذين يبحثون عن العرفان - إلى قواعد واوامر ومسائل هم صنعوها بأنفسهم وأضلّوهم عن طريق المحبوب وأبعدوهم عن حريم النبوة والإمامة وفرّقوا بينهم وبين الحق.

وانا لا أظن بأن مدّعي العرفان في اليونان والهند وايران القديمة؛ لم يكونوا على علم بنبوّة أنبياء الله عز وجل، حالهم حال رؤساء التصوف من أهل السنة والجماعة، الذين أيضاً بدورهم كانوا على علم بإمامة الأئمة المعصومين للشيعة (عليه السلام). لكن اهواء مدّعي العرفان، حالت دون العشاق في ارواء عطشهم ءادة فلم يسلكوا الطريق بواسطة الوحي؛ مثلما فعل رؤساء أهل التصوف في عصر الأئمة (عليهم السلام) فلم يسمحوا للناس بأن يتمسكوا بولاية أهل البيت ويستقوا من هذا المنهل.

والمؤسف أكثر - نتيجة عبادة الهوى - مع علمهم ومعرفتهم المسبقة بنبوّة الأنبياء (عليهم السلام)، فإن اعدادهم تزداد كل يوم و يزداد المدّعون، و يتجمع الناس حولهم، ويوجدون مذهباً جديداً!

وإلى الآن، ليس لدينا عدد دقيق عن عدد المذاهب والديانات.

و قد قرأت في احدى المجالات العلمية فوجدت أنّ في الهند وحدها أكثر من خمسة عشر مدرسة ومذهباً. ومعظمها تدعي العرفان.

وإذا اضفنا الى جانب هذه المدارس والمذاهب، مدارس اليونان والإسكندرية

وإيران القديمة، فلا نعلم على أي عدد سنصل؟

إن قواعد تلك المدراس هي من صنع فكر الإنسان المحدود، ناهيك عن خلوها من أية فائدة للناس في الدنيا والآخرة، بل من نواحي أخرى، فيها ضرر للإنسان.

ان أهل البصيرة، من العلماء العاملين، و سالكي الطريق، والعرفاء العاشقين؛ الذين هم المؤيدون من قبل الشرع المقدس، و هؤلاء إذا تكلموا عن العرفان شيئاً، أو دعوا إلى العرفان، فان حديثهم عن العرفان ليس العرفان الذي اسسته مدارس اليونان والهند وايران والاسكندرية، بل هو العرفان الذي يدعون إليه؛ هو حقائق القرآن، والأدعية الملكوتية وروايات باب المعارف، وهذا العرفان هو كامل من كل جهات جامع وقابلٌ للعمل، ومهذبٌ للنفس، ويضمن سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ويرتقي بالإنسان في جميع اموره الظاهرية والباطنية.

هؤلاء العرفاء، إنما هم مؤمنون بربوبية الله ونبوة الأنبياء وامامة الأئمة عليهم السلام. وكتاب هذه المدرسة هو القرآن، ومعلمه هو العالم الرباني، ومكانه المسجد، وثمرته ونتيجته عبادة الإنسان الخالصة في جميع شؤون حياته لرب العزة والجلال. وفي هذه المدرسة، فإن العارف الحقيقي هو الذي يكون ملماً بالمسائل الإلهية، عاملاً بها، متخلقاً بأخلاق الله، ومنقذاً لسنن الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

وعلى الاخوة - من المؤمنين وعلماء الدين والخادمين لدين الإسلام - ان لا يستوحشوا من اسم العارف ومسألة العرفان، وان لا يتصوروا بأن القصد من العرفان، هو عرفان اليونانيين؛ أو المصريين، أو الهنود، أو الإيرانيين القدماء. الذي دخل قسمه الأعظم الدين بصبغة إسلامية.

بل إن معنى العرفان في لسان الطاهرين والعرفاء الحقيقيين؛ هو: الحالة الباطنية

للإنسان تجاه مبدأ الخلق والوجود؛ وعشقه وعلاقته لحضرة المحبوب، وللقرآن الكريم، ونهج البلاغة والأدعية المهمة من قبيل: دعاء كميل ودعاء عرفة، ودعاء أبي حمزة الثمالي، والمناجاة الخمسة عشر، وزيارة أمين الله، ومناجاة أمير المؤمنين (عليه السلام) في مسجد الكوفة.

والعارف؛ في مدرسة الإسلام هو: الإنسان المسلم للحق والراضي بقضاء الله. والعارف؛ هو الذي يستثمر جميع الحوادث التي تحدث في الحياة، على أساس قواعد إلهية ويعتبر نفسه إنساناً في حالة إمتحان وتمحيص من قبل الله سبحانه وتعالى.

إن الذين ينشدون طهارة القلب، والنفس، والروح، والذات، والذين يبحثون عن اعلى مراحل الأخلاق الإنسانية، والمتلهفين لأن يتحلّوا بأخلاق الله، ويسعون بأن يصبحوا خلفاء الله بحق، ويرغبون بأن تكون جميع حركاتهم وسكناتهم مطابقة لأوامر الله ويعشقون النظم المعنوية والعرفان في كل وجودهم، ولأجل الوصول إلى جميع هذه الحقائق فإنهم يتجهون إلى القرآن الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، والادعية الواردة عنهم، ولا يغفلون عن مناجاة الله في الليل والاستغفار في السحر؛ هم العرفاء حقاً وصدقاً.

إن من يريد ان يحرر نفسه من جميع القيود المادية وان لا تكون الدنيا وامورها هي التي تحكمه، ولا يريد بأن تكون الدنيا هدفه، ويعشق الحق ويستثمر جميع النعم، من اجل الوصول إلى الحق، ولا يبخل عن أي عطاء في هذا السبيل، ويسلم جميع أموره للحق؛ مطمئن القلب ومتوكلاً على الله؛ فإنه عارف ومترينٌ بجمع خصال العرفان.



والعارف الحقيقي؛ يشع نور التوحيد في قلبه فلا يبقى مجالاً للترديد، او الشك او الوسوسة، او النفاق او الشرك، حتى لو قطعوه إربا إربا و يحرقونه بالنار، فإن عشقه للساحة القدسية لن يتضاءل أو يضعف. وجملة أركان العرفان ومسائله والتي يتألق بها العارف هي: التسليم و الرضا و التوكل و الزهد و الورع و التقوى و التضرع و الانابة و التوبة و الايمان بالنبوة و الامامة و طهارة الروح و الخشوع و الخضوع و العبادة الخالصة و مساعدة الناس و رعاية حقوق الآخرين.

ويجب الأخذ بعين الاعتبار بأن هذه المسائل التي وضحناها ليست بالمسائل الدخيلة أو الهامشية.

المعرفة الحقيقية للحق، والوعي بأهداف الأنبياء والأئمة عليهم السلام وتنفيذ الأوامر الإلهية والتحلي بالأخلاق الحسنة، هو محض العرفان الخالص.

ويجب ان نعلم أن الاهتمام بهذه البرامج، والسير باتجاه الحقيقة، يعتمد فقط و فقط الحالة العرفانية الخالصة؛ والأحوال الالهية الباطنية للإنسان، وهي تلك الحالة التي كلها انجذاب و ارادة و عشق و محبة نحو الساحة القدسية.

وبما أن الحالة المعنوية والروحية للإنسان تعتبر بمثابة الجذر لجميع الأمور؛ فان الأنبياء والأئمة عليهم السلام، كان همهم منصباً في تزكية النفس.

يقول خاتم الأنبياء وسيد الهداة:

«بِعِثْتُ لِاتِمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».

لذا فان السلوك العرفاني يبدأ من تزكية الباطن، وتصفية النفس، وحصول الحالة العرفانية للإنسان، وتحلّي القلب بالانجذاب والمحبة والعشق تجاه المحبوب، وأداء التكاليف الشرعية، ثم الاتصال بالملكوت الأعلى، فالوصول

إلى مقام التحكم بالنفس، ومنزلة القرب الإلهي، ولقاء الحق في نهاية الحياة وختامه بداية حياة أخروية.

### تحقيق حول مصباح الشريعة:

حتى الآن لم يعرف المؤلف الحقيقي لهذا الكتاب، وربما من شدة إخلاصه أراد الأيُعرف، هذا الكتاب يحتوي على مئة فصل، وكل فصل يشتمل على بحر من حقائق الإمام جعفر الصادق عليه السلام ويحتوي على اسمي المسائل العرفانية والاخلاقية.

فتعلم المسائل المذكورة في هذا الكتاب هو سهلٌ، والعمل به ميسرٌ لأي مكلف.

إن بعض الكتب التي ألفت تحت مسمى العرفان، ليست خالية من المسائل الملفقة والدخيلة، أو من القصص العجيبة أو الغريبة، ولكنه خليط من الثقافة الإنسانية والإلهية ولا يمكن الاعتماد عليها.

أما كتاب «مصباح الشريعة»؛ فهو كتابٌ مطابق للآيات القرآنية والروايات المروية عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام في غالبه ولا نستطيع أن نقول أننا لا يمكننا الاعتماد عليه.

هذا الكتاب كان دائماً مصدراً للعرفان والأخلاق؛ وموضوعه يصدر من ينباع و عيون الحقيقة للعرفان والأخلاق، من بحر علم الإمام المعصوم عليه السلام الذي لا ساحل له. وكان محط إهتمام كثير من علماء الدين وقد شرح بعض عشاق السير والسلوك هذا الكتاب، والبعض الآخر شرحه شرحاً مبسطاً، وقسم لم يكمله، وآخرون ترجموه لفظياً وحرفياً، مع شرح مختصر لبعض الفصول.

جدير بالذكر؛ أن هذا الكتاب كان محط اهتمام علماء الشيعة الكبار. يمكن ان نقسم وجهة نظر العلماء لهذا الكتاب إلى خمس اقسام:

١- مجموعة من العلماء اختاروا الصمت في نفي واثبات ورد وقبول هذا الكتاب.

٢- ومجموعة أخرى من العلماء والفضلاء، يعتقدون ان المؤلف لهذا الكتاب، قد ألفه من الثقافة التي تولدت لديه من دروس الإمام جعفر الصادق عليه السلام وقد نظم هذا الكتاب في مائة باب، وهو من تعبير المؤلف، وليس من كلام الإمام عليه السلام مباشرة.

٣- ان أكثر علماء الدين واعلام التربية والاخلاق والعرفان، ينظرون إلى هذا الكتاب بكل احترام، وهو مقبول عندهم، ومعمول به، ويعتقدون بأن الكاتب؛ إنّما ألف الكتاب من خلال جمعه لروايات الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهو مليء بعشرات الجمل المنتخبة من الروايات التي أوصلها ببعض، وفصل لكل باب رواية.

٤- فيما البعض الآخر من العلماء الأعلام، ينظرون نظرة تشاؤم لهذا الكتاب ويعتبرونه من تصنيف وتأليف أهل التصوف، أو من صنع الفضيل بن عياض وبالإجمال، فإنهم لا يقبلون هذا الكتاب إطلاقاً.

٥- واختار فريق من العلماء جانب الاحتياط في قبول ورد هذا الكتاب؛ وقالوا أنه بالرغم من أنه سنده ليس قطعياً، فلأمانع من العمل بمحتويات الكتاب - التي تطابق وتوافق الآيات والروايات الشريفة- والعلامة المجلسي عليه السلام رأيته من رأي هذا الفريق وانا الفقير و بعد البحث والتحري عن هذا الكتاب أرى رأي العلامة

المجلسي.

ومن العلماء الذين ردوا هذا الكتاب؛ هو الشيخ الحر العاملي صاحب كتاب (وسائل الشيعة)، في كتاب (هداية الامة)، وكذلك من رده صاحب كتاب (رياض العلماء)، أما العلماء الذين نظروا لهذا الخزانة المليئة بالجواهر؛ نظرة احترام وأقرّوا العمل بالكتاب ومحتوياته، ولم يشكّوا أنه نابع من ينبوع الولاية؛ هو السيد رضي الدين علي بن طاووس (رضوان الله عليه)، الذي أشأ - اضمية هذا الكتاب في الفصل السابع من الباب السادس من كتاب (امان الأخطار):

و يصب (السانى) معه كتاب مصباح الشريعة و مفتاح الحقيقة فانه كتاب لطيف شريف في التعريف بالتسيك (السلوك) ان الله جل جلاله و الاقبال عليه و الظفر بالاسرار التي اشتملت عليه الأمان للسيد ابن طاووس الباب السادس ص ٩٢-٤١.

ومن الذين قبلوا بهذا الكتاب دون ترديد وشك، الشهيد الثاني، من كتاب (التنبيهات العلية على اسرار الصلاة) وفي (كشف الريبة) وفي (منية المرید) وكذلك (مسكن الفؤاد) وينقله نقلاً يفهم منه ونستتج ان الشهيد الثاني؛ كان يثق بهذا الكتاب و المروي عن الإمام الصادق عليه السلام، وكان مطمئناً الى ثبوت وانتساب هذه الجوهرة العظيمة؛ إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام دون شك أو ترديد.

وكان الفيض الكاشاني أيضاً، من الذين كانوا ينقلون مطالب من هذا الكتاب في كتبه الأخلاقية والعرفانية ويعتبره مصدراً موثوقاً، ومسلّمً بنسبته إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

ينقل الحاج ميرزا أبو القاسم الذهبي الشيرازي رأي العالم الفاضل المرحوم المجلسي رحمته الله في كتاب العرفان والأخلاق (مصباح الشريعة) فيقول:  
 «عليك بملازمة كتاب (مصباح الشريعة) فالشهيد الثاني نقله بإسناده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ولا حاجة للتحقيق في سنده، لأن محتواه يدل على صحة الكتاب».

وقد ذكر بعض من علماء الشيعة الأعلام؛ ومن أوثق وأعلم المشايخ الاعلام في كتبهم الأخلاقية والعرفانية أحاديث من هذه الخزانة المليئة بالجواهر؛ أمثال - ابن فهد الحلبي في (عدة الداعي) والكفعمي في (مجموع الغرائب) وسيد هاشم البحراني في مقدمة كتابه (البرهان) والنراقي في (جامع السعادات) والمرحوم السيد حسين القزويني في البحث الخامس من (جامع الشرائع) والسيد علي خان في (شرح الصبحة السجادية) والعالم العارف الشريف لاهيجي في (تفسير النفس) والمرحوم الإمام الخميني رحمته الله.

ينقل الذهبي الشيرازي في مقدمة شرحه لكتاب (مصباح الشريعة) المسمى بـ(مناهج أنوار المعرفة):

بعد البحث والتحقيق؛ في آثار سيد المرسلين وأخبار آل طه ويس سلام الله عليهم، لم اجد مجموعة كاملة ومتكاملة كرسالة (مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة)؛ الذي يحوي على أسرار؛ و رموز؛ وحقائق الشريعة المقدسة؛ ذلك لأن هذه الرسالة منسوبة ومسندة للإمام الناطق بالحق الإمام الهمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، لذا هو أفضل سند لفضلاء الدين والمعرفة.

ومن الفضلاء؛ الذين لم يشك في صحة وسند هذا الكتاب، المرحوم الحاج

الميرزا حسين التوري الطبرسي؛ الذي هو علم من اعلام العلم، والحديث، والدراية، والرواية.

هذا الرجل العظيم في خاتمة كتابه (المستدرک) - ذى الفوائد العظيمة - أجرى بحثاً مطولاً ومبسوطاً، حول اسباب ودلائل؛ الذين لا يعترفون بصحة سند هذا الكتاب، أو يشكون فيه. فأجابهم بأدلة وبراهين واضحة وقوية ومنطقية، واعتبر هذا الكتاب موثوق ونقل اخباره في كتابه العظيم (المستدرک). وفي نهاية بحثه هذا، يقول هذا الفطحل العظيم حول كتاب (مصباح الشريعة):

«وَقَدْ أَطْبَقْنَا الْكَلَامَ فِي شَرْحِ حَالِ الْمَصْبَاحِ، مَعَ قَلَّةِ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ حِرْصاً عَلَى نَشْرِ الْمَائِرِ الْجَعْفَرِيَّةِ وَالْأَدَابِ الصَّادِقِيَّةِ وَحِفْظاً لِابْنِ طَاوُوسَ وَالشَّهِيدِ وَالْكَفَعَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ نَسْبَةِ الْوَهْمِ وَالِإِشْتِبَاهِ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ الْعَاصِمُ»<sup>١</sup>.

ومن الذين وثقوا واطمئنوا بسند الكتاب، هو العارف المرحوم الحاج ميرزا جواد ملكي التبريزي، فينقل في كتاب (أسرار الصلاة) رواية من (مصباح الشريعة) التي تكون متناسبة مع كتابه، ويعتبره مصدراً موثقاً.

المرحوم حجة الإسلام والمسلمين؛ الحاج الشيخ حسن مصطفوي؛ كتب في مقدمة شرحه المختصر لهذا الكتاب فيقول:

«تم تأليف هذا الكتاب حقاً؛ من معدن الوحي والالهام، وبواسطة شخصية لها ارتباط بعالم الغيب».

في هذا الكتاب تم ذكر دقائق المعارف واسرار الحقائق ولطائف الأخلاق،

مراحل السير والسلوك، وخصوصيات مراتب الإيمان بصورة دقيقة وعلمية، لدرجة انه من المستحيل ان تجد نقطة ضعف فيه، او انحرافاً وتبعثراً في جملاته ومواضيعه، وهذا يدل على ان مرتبة الكتاب فوق الكتب المؤلفة المتداولة بين العلماء والمحققين العرفاء».

هذا بعض من وجهات نظر المحققين، وكبار علماء الشيعة؛ حول كتاب (مصباح الشريعة)، والذي انا بدوري أختاره منبعاً أصيلاً للعرفان والأخلاق وبواسطة مواضيعه، استطعت ان أعرف العارف والعرفاء، واثبت بان العرفان؛ حالة الهية، ملكوتية، سماوية موجودة في عمق و روح الإنسان، ونموها وظهورها، يعتمد على المعرفة، والإيمان، والافتداء بالانبياء والأئمة عليهم السلام، والعبادة الخالصة. وعلى أهل على الإيمان ان لا يستوحشوا من كلمة «العارف والعرفان»، ليفروا ويتهموا أهله، بدون بحث وتحقيق، ولا سمح الله ان يتفوهوا بأشياء لا يرتضيها الله عز وجلّ.

إلى اولئك الذين لم يقبلوا صحة الكتاب، علينا ان نقول لهم: إذا دققتم النظر في جميع مواضيع الكتاب، كان بإمكانكم ان تمضوا على ما مضى عليه العلامة المجلسي عليه السلام، وتمتنعون من رده كلياً، أو نسبته إلى الصوفية.

ويمكن ان نقول خلاصة للكلام بان اغلب مواضيع كتاب (مصباح الشريعة) حقاً، هي من علوم تابعة دون شك أو ترديد، من ينبوع الولاية المطلقة المتدفقة، ومن بحر علوم الاولين والآخرين إلا وهو الإمام الصادق عليه السلام. وليس هناك أي مجال للشك لكل مؤمن مسؤول وعاشق سالك لهذا الطريق، إن أراد تنمية وتقوية حالته العرفانية، ان يراجع هذا الكتاب ويتخذه مصدراً، ويتأمل فيه قدر

المستطاع.

والبرنامج - الذي أعدّه هذ الفقير - في شرح هذا البحر العظيم هو:  
نقل تمام الرواية بداية كل فصل، وشرحها جملة جملة و الاستعانة القرآن  
الكريم، والروايات الشريفة، والكتب الأخلاقية، والأشعار الحكيمة، التي تناسب  
مع محتوى الكتاب.

وضمن التفسير والشرح، سوف اذكر الاشياء التي ألهمها من قبل الله عزوجل.  
سانلاً الله رب العزة أن يحفظني من الخطأ وان يوفق القراء في الدنيا والآخرة الى  
الاستفادة من هذه المعارف الملكوتية.

الفقير الى الله حسين انصاريان



# الديباجة الكتاب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الديباجة الكتاب

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَوَّرَ قُلُوبَ الْعَارِفِينَ بِذِكْرِهِ، وَقَدَّسَ أَرْوَاحَهُمْ بِسِرِّهِ وَبِرَّهِ،  
وَطَهَّرَ أَفْئِدَتَهُمْ لِفِكْرِهِ، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ بِنُورِهِ، وَأَنْطَقَهُمْ بِبَيَانِهِ، وَشَغَلَهُمْ  
بِخِدْمَتِهِ، وَوَفَّقَهُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَاسْتَعْبَدَهُمْ بِالْعِبَادَةِ عَلَى مُشَاهِدَتِهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى  
رَحْمَتِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ إِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَقَائِدِ الْمُوَحِّدِينَ، وَمُؤْنِسِ  
الْمُقَرَّبِينَ وَعَلَى آلِهِ الْمُتَّخِضِينَ».



## «الْحَمْدُ لِلَّهِ»

### الحمد والشكر لله:

ان جميع الثناء والحمد والمدح والشكر لله الذي جمع كل صفات الكمال،  
والمنزّه من كل العيوب والنقائص.

ان جميع الحمد والثناء مختص فقط لله المتعال، ذلك لأنه الخالق وفاطر  
الكون، ومربي وحافظ جميع الموجودات، ومبدأ الرحمة لجميع عوالم الظاهر  
والباطن.

احد العرفاء بقلبه المحترق في حمد الحضرة الأحديّة والساحة القدسيّة:  
رياض الحمد والثناء وحقائق الشكر الكثير مختصة بواجب الوجود جل شأنه،  
وعمّ احسانه و من شدة فيضه ورحمته الواسعة اوجد رياحين الموجودات من  
حديثه العدم.

ومن كمال احسانه، سقى بذور وجود بني آدم ﴿...﴾ . . . وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي  
آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴿...﴾ وَأَنَّمِرَهُ ﴿...﴾ . . . إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ  
خَلِيفَةً . . . ﴿...﴾ .

لم أرَ الديباجة وجهاً كوجه الإنسان، ولم أرَ مرآةً بهذه الصفات والمقام.

جنت من الحبيب حتى اذهب للحبيب، في طريقي للكعبة لم اشاهد أية اشواك. وقل للسامري أن هذا العجل الذي لا يملك الشعور، لم أجد كبشاً اجهل من الإنسان.

نفتخر بمقامنا لاننا من الطين، ولم نشاهد خالقاً مبدعاً مثل الله. اذن انت رجل هذه القلعة، فاخرج منها فاني هنا سنوات ولم أرَ حاجباً او حارساً.

السافي اخذ العهد في غدير خم، ولكن القليلين بقوا على عهدهم. الساعي أشد جملاً للنصح، ولكن لم أجد أحلى من نصائح لقمان. الله الرحيم الذي روى بساتين قلوب المقربين بين يديه بـ «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» بأشجار ﴿. . . أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>١</sup>. الغفور الذي زرع في حديقة ﴿. . . لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾<sup>٢</sup> وورود ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾<sup>٣</sup>. الرحمان الذي أزهق في ربيع ﴿. . . وَلَا تَيَأْسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾<sup>٤</sup>.

١- صحيح مسلم: ٢٠٤٥/٤، مع تصرف.

٢- الرعد: ١٣: ٢٨.

٣- الزمر: ٣٩: ٥٣.

٤- الزمر: ٣٩: ٥٣.

٥- يوسف: ١٢: ٨٧.

ورود ﴿... يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ...﴾<sup>١</sup>.

ليس كمثلته شيء، لا يستطيع احد معرفته «ما عرفناك حق معرفتك» أمر الذين ينشدون باجتياز طريق ﴿... لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا...﴾<sup>٢</sup> «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

منعمٌ لا يحصي نعمه الخطباء، فيحمدونه، لكن حمدهم يبقى كأنه أبكم ﴿... وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا...﴾<sup>٣</sup>.

قادر حيرَ أعقل العقلاء من مشاهدة جنة صنائعه وحديقة بدائعه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾<sup>٤</sup>.

جميع المخلوقات لله سبحانه وتعالى يحمده، حتى العاجزين عن النطق بحمده وثنائه.

وعندليبي روضة الوجود، وجد في كل برعم من أشجار حديقة الله كتاباً، وفي كل ورقة من الأشجار باباً.

زنايق المروج ممكناتٌ جميعها في حالة تسيح وحمد، وبراعم الروض كائناتٌ كلها في حالة تهليل وتمجيد. فإن كان شجر السرو ففي هواه قد غاصت ساقه في الوحل، وإن كان هو الدلب فقد مَدَّ يد التضرع، وإن كان هو الصنوبر فبعبوديته قد شمخ، وإن كان هو الصفصاف فهو الواله المجنون بحبه، وإن كان

١- الفرقان ٢٥: ٧٠.

٢- البقرة ٢: ٣٢.

٣- إبراهيم ١٤: ٣٤.

٤- الأنعام ٦: ٩١.

هو الأرجوان فبدماء عشقه قد غرق، وإن كان هو العنب ففي مخله قد كُبِح،  
 وإن كان هو البقس ففي خدمته هو قائم، وإن كان هو النخل فهو من ذكره حلو  
 المذاق، وإن كان هو البنفسج فهو محزون من غمه، وإن كان الورد الأحمر  
 فنجواه مؤلم، وإن كان هو السنبلي فاضطرابه منه، وإن كان الورد السوري فمن  
 لطفه قد احمرّ وجهه، وإن كان هو الشوك فهو من روضة ذلك المبدع، وإن كان  
 هو النرجس فهو عليل ذلك المعشوق، وإن كان هو السوسن فهو في حمده  
 ناطق، وإن كان الياسمين فهو في بحث عن سبيل تسيحه.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَأَنْفَقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾<sup>١</sup>!

اليوم السعيد هو ذلك اليوم الذي فيه نزور الحبيب، وننظر إلى وجه الحبيب حتى  
 نرتوي كما الجلنار.

نجذب العشاق إلى قربنا، ونشعل نار الفتنة في السوق.

ونسقط في تلك البساتين مثل ريح الصبا، ونملأ جيوبنا بالورد والخضار.

فلحظة نصنع أواني الفخار، وأخرى نأكل فيها، والجميع يشرب منها ويسكرون.

إلى متى نقرأ رسائلهم حول وصول الكأس، وفي لحظة نجعل الرسالة في العمامة.

والتراب يصبح ذهباً في كف اخوان الصفا، و نذرَ التراب في عيون هذا العالم الغدار.

يتقطع إرباً إرباً ويحيا مثل جبل الطور، من لمعان قلبه بشرق النور على الجبال<sup>٢</sup>.

١- الإسراء ١٧: ٤٤.

٢- شمس تبريزي.



## «الَّذِي نَوَّرَ قُلُوبَ الْعَارِفِينَ بِذِكْرِهِ»

### الذكر:

الله الذي ازال الظلمة وغبار الظلمات من قلوب العرفاء ونور قلوبهم بذكره. وربما نستطيع القول بأن معنى الذكر في هذه الجملة، هو القرآن الكريم، كما هو الحال في كثير من الآيات التي عبر عنها بالذكر:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>١</sup>

و لذا أن المعنى هو: تسليم العرفاء لكتاب الله سبحانه وتعالى بتوفيق منه، والتوفيق في معرفة مفاهيمه الملكوتية، وبعد حصول هذه المعرفة قاموا بتطبيق أوامره، وعن هذا الطريق أزالوا ظلمات الجهل وظلم النفس والكفر، وأناروا قلوبهم بنور ملكوت القرآن، وعلى وقع هذا النور الإلهي عاشوا بين الناس:

﴿... وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ...﴾<sup>٢</sup>

ومن بركة هذا النور؛ وصلوا إلى اليقين، ومن آثار هذا اليقين، تحلوا بالأخلاق الحسنة، وبعناية الله تبارك وتعالى، فقد رزقوا الحياة الطيبة:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ

١- الحجر ٩: ١٥.

٢- الأنعام ٦: ١٢٢.

## حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ<sup>١</sup>.

القرآن الكريم؛ مركز العرفان:

القرآن الكريم، هو النور الإلهي مثلما يشهد القرآن لنفسه؛ بهذا المعنى ﴿... .

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا<sup>٢</sup>!

يقول رسول الله ﷺ:

«فَإِذَا التَّبَسَّتْ عَلَيْكُمُ الْفِتْنُ يَقْطَعُ اللَّيْلُ الْمُظْلِمَ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ»<sup>٣</sup>.

فالقرآن الكريم؛ نور الحياة؛ وذخر الآخرة؛ وشفيع يوم المحشر، والمنقذ من

العذاب؛ ووسيلة رشد وتكامل الإنسان.

القرآن الكريم؛ يجلب المعرفة، والنور، والكرامة، والأصالة، والشرف، وسعادة

الدنيا والآخرة للإنسان.

ان الارتباط الحقيقي بالقرآن، يصنع من الإنسان عارفا روحانيا؛ وحكيماً كبيراً،

وسالماً واصلاً.

يقول صدر المتألهين الشيرازي في كتابه العظيم «أسرار الآيات»:

نحمدك يا من بيده ملكوت السماوات والأرض، ويا من الأشياء إليه في حركة

شوقاً إليه. يا حقيقة الحياة ويا مقوم الموجودات، هدفتنا أنت والغاية من صلاتنا

وصومنا أنت، أنت المقوم للوجود ومنبع الخير والبركة، ومصدر الإشراق، ونهاية

الأشواق، ومدبر الأمور، وذاتك النور، وواهب الحياة للعالم، وخالق الأرض والسما.

١- النحل: ١٦: ٩٧.

٢- النساء: ٤: ١٧٤.

٣- الكافي: ٥٩٩/٢، كتاب فضل القرآن، حديث ٢.

بحق أنوار كلماتك المباركة ساعدنا، ونور قلوبنا بأسرار وآيات كتابك الشريف، وطهر نفوسنا من ظلماتها، وأخرجنا من ظلمات العالم إلى رؤية أنوارك، ولقاء اشراق نورك، ومجالسة المقرّبين لك، ومصاحبة سكان ملكوتك، وارفعا مع ملائكتك الذين لا يغفلون عن تسبيحك لحظة، واحشرنا مع الأنبياء والصدّيقين عليهم السلام، خصوصاً مع النبي محمد صلى الله عليه وآله الذي بعثه رحمة للخلائق أجمعين، وأهل بيته الطاهرين عليهم أفضل صلاة صلاة المصلّين واطهر سلام المسلّمين.

فبعد هذه المقدمة؛ يقول العبد الحقير والمحتاج لكرم الله سبحانه وتعالى محمد الملقب بصدر الدين:

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>١</sup>

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ

اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>٢</sup>

هذه أنوار العلوم الإلهية، وأسرار المسائل الربانية والمقصود النهائي للقرآن الكريم؛ مستفيضة من آيات كتابه المنير الذي أرسله الله سبحانه وتعالى بلطف عنايته بخلقه لهم.

هذه الأنوار هي المفاتيح التي بواسطتها؛ يُفتح أبواب الجنة والرضوان وتظهر كنوز الخزائن الرحمانية، ونشاهد جواهر وخفايا الملكوت، ويكشف لنا أنوار عالم الجيروت؛ يعني عالم العقول؛ التي تفر فيها العيون، وهي شفاء لصدور

١- آل عمران ٣: ١٣٨.

٢- يوسف ١٢: ١٠٨.

المؤمنين والموحدين.

## نور القرآن:

يقول هذا الفيلسوف العظيم في «أسرار الآيات» مرة أخرى في القاعدة

الرابعة:

إن أحد أسماء القرآن هو النور، لأن القرآن نور عقلي وبواسطته يُكشف لنا أحوال المبدأ والمعاد؛ وعن طريقه تُعرف حقائق الأشياء وتُدرك، وبواسطة ذلك النور، في يوم القيامة؛ يهدي الإنسان، ويسلك به طريق الجنة، كمال قال تعالى:

﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا  
نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>١</sup>.

نعم، يُنور القلب بواسطة القرآن، ونور العبادة هذا، هو من ذلك الإيمان واليقين بالله واليوم الآخر وملائكته والأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام والوجه الآخر له هو العمل الصالح والأخلاق الحسنة.

ويبين صدر المتألهين في حديث متين جداً، الفرق الشاسع بيننا نحن أسرى عالم المادة، وبين العرفاء الحقيقيين فيقول:

نحن وأمثالنا؛ لا نرى من القرآن سوى كتابته السوداء، لأننا نعيش في دنيا الظلمة والظلام؛ وكل شيء فيه، هو امتداد لعالم المادة.

ولست أعني بالمادة، ذلك الشيء الذي له أبعاد وأجساد واعداد وأضداد

وهيولي، وبما أن الإنسان لا يستطيع ان يدرك الأشياء إلا إذا كانت في قدرة واستطاعة إدراكه، فلا يعتبر الحس من ضمن المحسوسات، ولا الخيال جزء من التخيلات، ولا العقل من المعقولات. وبعبارة أخرى كل نوع يستطيع أن يفهم ويدرك ذي نوعه، إذن فالنور لا يستطيع احد ان يفهمه إلا النور يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿... وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾<sup>١</sup>.

ولذلك، فنحن لا نستطيع ان نرى إلا الخطوط السوداء لكتابة القرآن الكريم؛ بعيوننا السوداء هذه، وعندما نخرج من هذا العالم المجازي، ومن هذه المدينة التي يعيش سكانها في ظلمة، وهم ظالمين، ونهاجر إلى الله سبحانه وتعالى، ورسوله ﷺ، ونقطع الفياقي من أجل الوصول لهدفنا، وبدكتنا الموت ويخلصنا من هذه الأطوار التي بعضها على أشكال حسية، وخيالية، و وهمية و عقلية، ونقطع أملنا مما سوى الله، ونتوجه إلى وجودنا الحقيقي الذي هو نفس النور والأشعاع الإلهي للوجود الحقيقي، ونذوب في وجود كلامه، حينئذ؛ يحيينا الله سبحانه وتعالى بعد موتنا، ويوصلنا من عالم المحو إلى عالم السمو، ومن عالم الفناء إلى عالم البقاء، ومن الموت إلى الحياة، يعني تلك الحياة الثابتة والباقية التي ترتبط في بقائها، ببقاء الله سبحانه وتعالى.

بعد ذلك، فلن نرى الكتابة السوداء للقرآن الكريم، وإيماننا شاهد ونرى النور الخالص؛ الذي لا يدنس الظلام، ونجد يقيناً خالصاً ليس فيه شك أو ترديد ونتصف ونكون كما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿... وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا

وَأِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾  
 ﴿.. وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾

الإمام علي عليه السلام هو القرآن الناطق:

في هذه اللحظة نقرأ الآيات الإلهية من النسخة الأصلية، من الإمام المبين والذكر الحكيم، والذي عنده علم الكتاب، ألا وهو أمير المؤمنين عليه السلام، فيقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾<sup>١</sup>

لهذا السبب نطق بكلام - الذي كان السبب في نطق الإمام - فقال:

«انا النقطة تحت الباء، وأشار إلى صدره وقال: اعلمو ان هنا علماً جماً، لو أصبت له حملة»<sup>(٣)</sup>.

ويجب ان نتبه بأن الفسق والعصيان، والكفر والرياء، والشرك، وكدورة وضيق القلب، وأي نوع من الظلم والفساد، والفحشاء والمنكر؛ إنما هو نتيجة ظلام وغفلة القلب عن الله جل وعلا.

ويجب على الإنسان؛ أن يحفظ قلبه من الوقوع في الغفلة، عن طريق إطاعة أوامر الله سبحانه وتعالى، والأنبياء عليهم السلام، والعمل بالقرآن الكريم، والافتداء بالرسول العظيم صلى الله عليه وآله، والأئمة الأطهار عليهم السلام.

هذه الحقائق هي السبب في ضياء القلب وتنويره، وإيقاظ الروح من الغفلة،

١- الشورى ٤٢: ٥٢.

٢- الزخرف ٤٣: ٤.

٣- أسرار الآيات: ٤٦، الحاشية.

وحدوث وإيجاد النور في القلب.

لأن القلب يُضاء بذكر الله سبحانه وتعالى، ويغلب ذلك النور على جميع حركات وسكنات الإنسان، وبعد هذا، وإثر ممارسة العمل والتقوى، يصبح النور في ذات الإنسان، فيصبح عارفاً كاملاً وسالماً خبيراً.

لذا إذا كان تعريف الذكر في مقدمة الجملة من دياجة الكتاب بمعنى القرآن الكريم، يكون المعنى بأن الله جل وعلا نور قلوب العارفين؛ بنور قرآنه المجيد، أما إذا كان بمعنى الانتباه، أو بمعنى الصلاة، أو بمعنى الأوراد المذكورة في كتب الأدعية، فإننا نرجع إلى نفس المعنى القرآني له مرة أخرى، ذلك أن القرآن الكريم يحتوي على جميع الحقائق.

«وَقَدَّسَ أَرْوَاحَهُمْ بِسِرِّهِ وَبِرِّهِ»

## الروح وتكامل الإنسان:

كثيرون هم من أهل البصيرة وكبار العرفاء من الذين اقتدوا بالأنبياء والأئمة الاطهار عليهم السلام واولياء الله يعتقدون بأن الروح هو من العالم الإلهي؛ لتكامل ورشد الإنسان؛ وتحليته بالحقائق، وهو في سفر من عالم الامر، أو عالم الملكوت؛ وفق ما قاله الله سبحانه وتعالى:

﴿... وَتَفَخَّتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي...﴾<sup>١</sup>، إلى هذا الجسد المادي، وبعد ان يصل إلى مرحلة الكمال فإنه يرجع إلى أصله، ويستقر في قلبه المادي هناك ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾<sup>٢</sup>.

و كمال الروح إنما يتحقق بشيئين؛ هما قوة العلم والعمل.

التحلي بالعلم بالحق، العلم بالمعاد، العلم بالحياة، العلم بالعلاقات الصحيحة التي تقوم بين الإنسان و أبناء نوعه، العلم بالحقائق والعمل بها، وهذا هو المعنى من قداسة و قدسية الروح. وسرّ وبرّ الله يشمل عناياته والطفاه التي تظهر في صعيد

١- ص ٣٨، ٧٢.

٢- القمر ٥٤: ٥٥.



حياة الإنسان، على شكل معرفة وعمل وجهاد واجتهاد. وتكون سبباً لطهارة الروح من الدنس والأوساخ وكدورة القلب، وتشدّه إلى عالم العشق والقداسة، وتحرك جميع أعضائه وجوارحه خلفه، وفي النتيجة يصنع من الإنسان وجوداً ملكوتياً ونبعاً للخير والبركة.

وفي مجال القوة العلمية والعملية اللذين هما السبب في طهارة وقداسة الروح، وهناك من كبار رجال الدين، من يستنبط ويستنتج من سورة العصر معتقداً، بأن الذين نجوا من الخسران، هم الذين نوروا قلوبهم بنور العلم وزينوها بالعمل به، ويستفاد هذا المعنى من سورة العصر.

﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾؛ يعني المنشغلين بالأمر المادية والطبيعية الدنيوية؛ ولم يعرفوا شيئاً سوى هذه الدنيا وما فيها، وهم كالسمكة في البحر غارقة في شهواتها الحيوانية المطلقة.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، والمقصود هنا؛ أولئك الذين نوروا قلوبهم وعقولهم بنور المعرفة، وفهموا ووعوا المعاد وعرفوا الانبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام، والوظائف والمسؤوليات التي هي عبارة عن القوة النظرية للروح والتكامل.

وقاموا بتنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى، والأعمال الصالحة، يعني من أجل الوصول إلى الكمال؛ أذوا جميع الأوامر الإلهية.

وتواصوا بالحق؛ والمقصود هنا أنهم قاموا بتعليم الناس التوحيد والنبوة والإمامة والفضائل الإنسانية.

وتواصوا بالصبر؛ يعني أثاروا للناس طريق التخلّق بأخلاق الله، وبدلوا قسارى جهودهم لتطهير الناس من الذنوب.

وعلى أية حال، فإن سرّ وبرّ الله سبحانه وتعالى الذي هو السبب في قداسة ارواح العرفاء، هو نفس ذلك العلم والعمل الذي هداهم إليه برحمته ولطفه.

يقول العارف «جلال الدين الرومي» في مقام نصح الإنسان:

أقرب، وأقرب، إلينا يا أبا الوفاء، تخلى عن (نحن، وأنا) وأسرع إلينا.  
وتخلى أكثر من (نحن وأنا)، حتى لا يكون هناك (نحن وأنا).  
تخلى عن الغرور والتكبر، في مقابل تكبر هكذا كبرياء.  
فقال: الست انت القائل: بلى، فشكر بلى هي في تحمل البلاء.  
ما هو سرّ بلى، حتى اطرق بابه انا الفقير والفاني.  
ارحل من المكان ولا ترحل، أيّ مكان لا يكون حضرته فيه.  
تظهر من نفسك واصبح ترايباً، حتى ينمو من ترايبك النبات.

«وَطَهَّرَ أَفْنِدَتَهُمْ لِفِكْرِهِ»

## طهارة القلب:

القلب، أو بعبارة أخرى (الفؤاد)، هو عضو من أعضاء الجسم المهمة والحساسة جداً، وصلاح القلب وطهارته، هو سببٌ لصلاح وطهارة جميع البدن، وفساده، يكون سبباً لفساد جميع أعضاء وجوارح الجسد.

فقد روي عن رسول الله ﷺ: أنه قال:

«فِي الْإِنْسَانِ مُضْغَةٌ إِذَا هِيَ سَلِمَتْ وَصَحَّتْ سَلِمَ بِهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، فَإِذَا سَقَمَتْ سَقَمَ بِهَا سَائِرُ الْجَسَدِ وَفَسَدَ وَهِيَ الْقَلْبُ»<sup>١</sup>.

وفي رواية أخرى:

«إِذَا طَابَ قَلْبُ الْمَرْءِ طَابَ جَسَدُهُ، وَإِذَا خَبَثَ الْقَلْبُ خَبَثَ الْجَسَدُ»<sup>٢</sup>.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في توضيح هذه الآية الشريفة ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ

١- الخصال: ٣١؛ روضة الراءطين: ٤١٣؛ بحار الأنوار: ٥٠/٦٧، حديث ٤، باب ٤٤، القلب وصلاحه وفساده.

٢- الخصال: ١٨؛ بحار الأنوار: ٥١/٦٧؛ الميزان: ١٠٧/١٥.

بِقَلْبٍ سَلِيمٍ<sup>١</sup>، هو قلب حُرَز من أسر الدنيا، وطَهَّر من الحب الشديد للماديات التي هي سببٌ لجميع الذنوب والمعاصي.

إن عظمة وقابلية القلب كبيرة جداً، لدرجة أن رسول الله ﷺ قال:

«إِنَّ الْقَلْبَ خَزَانَةُ اللَّهِ تَعَالَى»<sup>٢</sup>.

### القلب الميت:

إن الإسلام العزيز؛ ومعارفه الملكوتية، توضع لنا علل وأسباب حياة وموت القلب؛ بشكل مفصل، والذي سيأتي شرحه في المجلد الثاني من هذا الكتاب. ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ قَلَّ وَرَعَهُ مَاتَ قَلْبُهُ وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ»<sup>٣</sup>.

يقول رسول الله ﷺ:

«ثَلَاثَةٌ مُجَالِسَتُهُمْ تُمِيتُ الْقَلْبَ: مُجَالَسَةُ الْأَنْذَالِ وَالْحَدِيثُ

مَعَ النَّسَاءِ وَمُجَالَسَةُ الْأَغْنِيَاءِ»<sup>٤</sup>.

عندما يتحول قلب الإنسان إلى مرتع للشيطان، ويكون كل همّه وفكره؛ هي الماديات ومتعلقاتها، عندئذ يصبح الإنسان منبعاً للذنوب والفساد، ويتصل بهوى النفس وهوسها؛ ويقع في كل لذوة ممنوعة ومحرمّة. لكنّه، عندما يطيع قلبه الحق سبحانه وتعالى، ويصبح حرماً لتجلي نور الله فيه،

١- الشعراء: ٢٦: ٨٩

٢- بحار الأنوار: ٥٩/٧٠؛ مستدرک سفینه البحار: ٥٦٧/٨.

٣- بحار الأنوار: ٤٨٠/٧٧؛ مستدرک سفینه البحار: ٢٨٥/١٠.

٤- الخصال: ٨٧

فإنه يتزین بالصالح عند ذاك، ويسیر جميع وجوده وكيانه معه، للوصول إلى الله سبحانه وتعالى.

كل انسان - كما صرّحت الآيات القرآنية - مسؤول عن القلب، ويجب عليه ان يحافظ على هذا البيت والحرم؛ لكي لا يصبح مركزاً للأصنام، فتجرّه لعبادة الاوثان.

إن أفضل عامل لعمران القلب وحياته، هو التفكير في النفس، والعالم والمبدأ والمعاد، وخصوصاً التدبّر في آيات القرآن الكريم، والمعارف الإلهية السامية.

و إذا سار القلب وسلك هذا السبيل، فإنه يتخلص من كل شرّ، ويتحلى ويتزین بكل خير، ويكون في عصمة وعافية الحق وماضياً في طريقه.

إن التخلص من اسارة الشيطان والتحرر من الذنوب الظاهرة والباطنة والتفكر في الحقائق، يزین القلب بالطهارة، ويهيئ أرضية توجه الإنسان وشده إلى الله سبحانه وتعالى وصفاته واسمائه، وهذا كله لا يحصل ولا يأتي إلا بتوفيق الحق، وهو مشروطٌ باستعداد الإنسان لذلك؛ عن طريق سبيل المعرفة والجهاد.

ياأيها الذي يستحيل للروح التحمل بدونه، يا أيها الذي في القلب

والروح أين انت؟

إذا جتتنا في منتصف الليل، والنساء والمتكلمين في حالة سكر.

نفديك بأرواحنا ونرخص الروح لك، لكن لم نعرف هل انت الروح ام روحنا؟

وسقط النار في أعلى سطح القلك، ريشما تخرج في أعلى سطح بيتك.

ولا جمال وجهك لا يقارن بالشمس، حتى تدعى النور والفضياء.

انت نور مشكاة لنا، تدفع البلاء وانت بلاء ايضاً.

في نظر القانطين انت الأمل، يا عين القلب ماذا تظهر.  
ويا أيها البلبل من تغريدن، يأتي نسيم المعرفة.  
يأت بأن الدواء قد أنى، لألم جرح الفراق.  
حتى ينكشف من أنينك، شيء من حقيقة الله!

## «وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ بِتُورِهِ»

### حقيقة شرح الصدر:

هذه الجملة تشير إلى الآية (٢٢) من سورة الزمر المباركة:

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ...﴾<sup>١</sup>

وكذلك المعنى المأخوذ من الآية ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾<sup>٢</sup>.

ومن هذه الآية أيضا ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾<sup>٣</sup>.

معنى كلمة (شرح) لغة: الفتح والافساح، وايضاح الشيء بصورة شفافة.

ومعنى كلمة (صدر): مجازاً يعني القلب لأن مكانه في الصدر، لذا فإن (شرح

الصدر) تعني فتح الصدر واخراج الهموم والغموم من الإنسان، أو إفساح المزاج

والقدرة على التحمل<sup>٤</sup>.

يقول الملا عبد الرزاق لاهيجي؛ بالنظر إلى الآية (٢٢) من سورة الزمر:

١- الزمر ٣٩: ٢٢.

٢- طه ٢٠: ٢٥.

٣- الانشراح ٩٤: ١.

٤- «تفسير نوين»: ٢٣٠.

معنى هذه الجملة هو: و وضع نور معرفته في قلوبهم وعلى إثر هذا النور، انقادوا للإسلام وسلموا له، وليس هذا التوفيق لقبول الإسلام؛ إلا من اثر ذلك النور الذي قذفه في قلوبهم.

وكذلك تشير إلى الحديث المروي عن رسول الله ﷺ الذي يشير إلى هذا، ومضمونه هو:

«متى ما دخل نور الله سبحانه وتعالى إلى قلب المؤمن، فإن قلبه ينشرح من الضيق والظلام، ويتنور ويكبر، ودليل ذلك، انه إفراغ نفسه من منزل الغرور، والرجوع لدار الخلود والاستعداد ليوم الورد».

وإنما ذكر شرح الصدر بعد طهارة القلب، لإشارته إلى تقديم الطهارة على التزكية، وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدل على انه ما لم يطهر القلب من ظلمات الذنوب، ويصفو من الشوائب وكدورات الدنيا، لا يستطيع ان يتحلى بجواهر المعرفة. مثلما هو حال الطبيب؛ إذ يعالج مريضه أولاً في التخلص من المواد الفاسدة؛ ثم بعد ذلك يجوّز له الاغذية المناسبة والأشربة النافعة. وكذلك لا يمكن ان للقماش الأبيض أن يكون لامعاً، ما لم ننظفه أولاً من الاوساخ.

يقع الصدر أعلى البطن، وهو القفص الصدري الذي يحافظ على القلب والرئتين، والأوعية الدموية والجهاز التنفسي؛ الذي يكون مصنوعاً من العظام والعضلات ومن غشاء مخاطي مطاطي. و هو في حالة انقباض وانبساط، ولأن كل تأثير فكري وروحي، يؤثر على حركة القلب والدورة الدموية؛ وعلى عملية التنفس، لذا تنسب هذه الآثار المعنوية إلى هذه الاجهزة العضوية.

القلب أو الصدر المنشرح، واضح، حزين، مظلم، مريض، منحرف...



انقباض القلب أو الصدر، أو بتعبير عامة الناس؛ قلة الصبر واليأس؛ و نقود الصبر نابع من عدم تحقق الأحلام والشهوات؛ واليأس من الوصول إلى المراد ناشئ من التلوّث بالذنوب، وكل هذه الأمور هي بسبب الجهل بحقائق الأمور والحوادث وسنن الحياة؛ والتي لا يمكن معرفة هذه الاشياء إلا عن طريق الوحي والإلهام من الله سبحانه وتعالى؛ فلهذا فإن أكثر الناس يلجأ إلى وسائل تخدير الشعور، ليتخلصوا من المصير المبهم والهموم والمشاكل.

و بصورة إجمالية، فإن ضيق الصدر والحزن؛ يكون سبباً في تزلزل الإنسان في اتخاذ قراراته؛ وهو نوع من الانفعال والتأثر النفسي، ومن آثار تجاذب الأفكار المختلفة. وعندما يتخلص الإنسان من التجاذبات المخالفة وتأثيراتها؛ ويتخذ قراراً، بالمضي في مسير واحد؛ عند ذلك فإنه يتحرر من ضيق الانفعال والاضطراب، وينشرح صدره، ويسهل أمره.

ربما يكون معنى شرح الصدر في الإسلام والكفر في القرآن بهذا المعنى:

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾!

وعلى أية حال؛ فأياً ما كان المعنى الحقيقي لشرح الصدر، فإن اثره هو الخروج من حالة الشك والترديد، والتصميم بالعمل وتحمل الصعاب؛ والاطمئنان النفسي. كما يفهم من محتوى ومضمون الآيات التي تخص النبي موسى ﷺ والرسول الأكرم ﷺ ومما وصلنا من سيرة الأنبياء؛ يتضح ان تقدم دعوة الأنبياء ﷺ بعد نزول الوحي والقيام بأعباء الرسالة؛ هي حالة شرح الصدر التي

كانت تحصل عندما يقومون بتبليغ الرسالة أو المواجهة مع الأعداء و تحدي الصعاب<sup>١</sup>.

يستغرق ان تصبح مسلماً الف عام، والف عام أخرى لأن تصبح إنساناً. إذا حرّكت سلسلة العشق، وتدور الخرزة داخل قاعدة الفلك.

فأنت عظيم وذو أصل ونسب، وما الفائدة منها وانت لا تعرف قدرك. أنت لم تذهب إلى ذلك الوادي الفسيح، عندما تسير فيه فإنك تتيه.

تعال واستمع إل جوهر أصلك في هذا العدم، ولا هم أكبر من الجهل. مثل عيسى في هذا الدير، وموسى في ذلك الطور، لا يوجد رداء، ناقوس، مزمار، كالرهبان.

ولا تصبح مثل صعوة وتواجه في قعر البئر، فاللعب مع النسر والعتقاء من أعمال سليمان.

إذا الكأس والساقى اتحدا وطلبا منك الشراب، تصبح مثل الخضر تفر سرّ المعاني.

لم يشاهد حقيقة وجهه في المرأة، ولم يعلم أن المعاني الحقيقية فيه. انظر بنممن في داخل هذا محيط الظهور، وشاهد المعاني الواضحة في الأصداف.

١- «تفسير برتوي از قرآن، جزء سي ام، ١٥١».

## «وَأَنْطَقَهُمْ بَيَانَهُ»<sup>١</sup>

ان الذات المقدسة للحق، هي التي ارشدت العرفاء إلى وادي الثناء والحمد والشكر، وأفصحت لسانهم بنعمة البيان والنطق. ووقفهم لكي ينشروا الحقائق التي هي سبب طهارة الروح وشرح الصدر، وألهمهم الجهاد في سبيل المعرفة، وهداهم لتعريف الله سبحانه وتعالى والمعاد والنبوة والإمامة والأخلاق بين الجهلاء من الناس، وارشاد اولئك العطاشى إلى نبع الحقائق.

---

١- في بعض نسخ «مصباح الشريعة»: «وأنطقهم بثنائه».

## «وَشَغَلَهُمْ بِخِدْمَتِهِ»

ان من لطف وعناية الله سبحانه وتعالى؛ ان جعل العرفاء يسلكون طريق الإيمان والاعتقاد؛ واختارهم لخدمته، ووقفهم لها، ومن بركته ان اصطفاهم؛ ووقفهم للقيام بأعمال مهمة، عشقاً للساحة القدسية؛ ومحبةً لعباده.

## «وَوَفَّقَهُمْ لِعِبَادَتِهِ»

### توفيق العبادة:

العبادة هي حقيقة مركبة من سلسلة من الوقائع والحقائق ولا تسع هذه المقدمة لتوضيح وتفسير العبادة؛ وان شاء الله، حينما نصل إلى الفصول التي تشير إلى هذه المسألة، سنقوم بالشرح والبيان.

فالعرفاء لم يفتروا بهذه الحياة، ولم ينحنوا أمام اللذات المحرمة، ولم يعبروا آخرتهم بدنياهم.

يقول صاحب كتاب «كشف الحقائق»:

وأعلم أن أهل الشريعة والحكمة يقولون: إن الحياة الدنيا ما هي إلا أيام معدودة، لكن حياة الآخرة لا انقطاع لها ولا أمد، لذا فكل من عرف حقيقة الدنيا والهدف المنشود منها، واتضح له علل اجتماع النور مع الظلام؛ يعني اجتماع الروح وهو النور المطلق مع الجسد وهو الظلام الحالك، وعرف ماهية فائدته، وقضى عمره من الحياة واستفاد منها للسير نحو الهدف المنشود، واشترى الحياة الآخرة بالدنيا، وتحمل شتى المحن، واختار سبيل الجهاد؛ لأجل الحياة الأخروية التي ملئها السعادة والرضوان، يعني أنه صرف جميع وقته في الحياة الدنيا بكسب العمل الصالح، وطلب العلم النافع، وهما بذور الحياة الطيبة، وسبب اللذة الدائمة، فنعم في الآخرة بحياة هادئة.

وان الذي لم يفهم حقيقة حياة الدنيا، ولم يعرف الهدف الحقيقي من ماهية الدنيا، وأمضى جميع وقته في اللهو واللعب وطلب الملذات والشهوات الحيوانية والتي هي بذور العذاب والعقوبة، فسوف يواجه في الآخرة؛ العذاب الشديد، وهذا معنى هذا الحديث «الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ»<sup>١</sup>.

وكذلك معنى هذه الآية:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾<sup>٢</sup>.

١- مجموعة ورام: ١٨٣/١؛ عوالي اللآلي: ٢٦٧/١، حديث ٦٦.

٢- الشورى ٤٢: ٢٠.

«وَأَسْتَعْبِدُهُمْ بِالْعِبَادَةِ عَلَى مُشَاهِدَتِهِ»

وان الله سبحانه وتعالى طلب منهم العبادة الخالصة له، ومن بركة هذه العبادة وفقهم الله جلا وعلا لمشاهدة أنوار الجلال والجمال ببصيرة القلب.

«وَدَعَاَهُمْ إِلَى رَحْمَتِهِ»

والله سبحانه وتعالى طلبهم إلى رحمته.



«وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ إِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَقَائِدِ الْمُؤَحِّدِينَ وَمُؤَنِّسِ الْمُقْرَبِينَ  
وَعَلَى آلِهِ الْمُتَخَبِّينَ»

الهي! يا أمل المحتاجين ويا مغيث الفقراء ويا سند البائسين ويا معين الضعفاء،  
الهي اكرري طلبي، ويدي فارغة، وكتاب اعمالني خال، وقلبي مظلم، وعمري فاني.  
انقطع املني من كل شيء سواك، انت املني الوحيد، الهي ازل غم الدنيا عن قلبي،  
وانقذني من الكسل والخمول، وارزقني الشهادة في سبيلك، ولا تكنني إلى نفسي  
طرفة عين أبدا في الدنيا والآخرة، ولا تحرمني من لطفك ورحمتك.  
أزح عن وجهك الحجب ولا تغيبه هنا، يا مشهوراً في السموات  
والأرض.

نحن جمع من العشاق، جننا إليك راغبين من طريق بعيد.  
يا روحنا وهيوننا، جننا إليك من طريق بعيد.  
انظر إلى الأسفل وتمعن، إلى جماعة من العشاق المعذبين.  
ياساقي العرفاء؛ إسقتنا شراباً، لا يكون الشراب من العنب ولا من غيره.  
من ذلك الشراب الذي من عطره الفواح؛ تخرج الموتى من القبور!



الباب

(١)

في بيان حالات العرفاء

قال الصادق عليه السلام:

نَجْوَى الْعَارِفِينَ تَدْوُرُ عَلَى ثَلَاثَةِ أُصُولٍ: الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَالْحُبُّ.  
فَالْخَوْفُ فَرْعُ الْعِلْمِ، وَالرَّجَاءُ فَرْعُ الْيَقِينِ، وَالْحُبُّ فَرْعُ الْمَعْرِفَةِ.  
فَدَلِيلُ الْخَوْفِ الْهَرَبُ، وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ الطَّلَبُ، وَدَلِيلُ الْحُبِّ إِثَارُ الْمَحْبُوبِ  
عَلَى مَا سِوَاهُ.

فَإِذَا تَحَقَّقَ الْعِلْمُ فِي الصَّدْرِ خَافَ، وَإِذَا صَحَّ الْخَوْفُ هَرَبَ، وَإِذَا هَرَبَ  
نَجَا، وَإِذَا أَشْرَقَ نُورُ الْيَقِينِ فِي الْقَلْبِ شَاهَدَ الْفَضْلَ وَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُ رَجَا  
وَإِذَا وَجَدَ حَلَاوَةَ الرَّجَا طَلَبَ، وَإِذَا وَفَّقَ لِلطَّلَبِ وَجَدَ، وَإِذَا تَجَلَّى ضِيَاءُ  
الْمَعْرِفَةِ فِي الْقَوَادِ هَاجَ رِيحُ الْمَحَبَّةِ، وَإِذَا هَاجَ رِيحُ الْمَحَبَّةِ اسْتَأْنَسَ فِي  
ظِلَالِ الْمَحْبُوبِ وَآثَرَ الْمَحْبُوبَ عَلَى مَا سِوَاهُ، وَبَاشَرَ أُوَامِرَهُ وَاجْتَنَبَ نَوَاهِيهِ.  
وَإِذَا اسْتَفَامَ عَلَى بَسَاطِ الْأَنْسِ بِالْمَحْبُوبِ مَعَ أَدَاءِ أُوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ  
وَصَلَ إِلَى رُوحِ الْمُنَاجَاةِ .

وَمِثَالُ هَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ كَالْحَرَمِ وَالْمَسْجِدِ وَالْكَعْبَةِ فَمَنْ دَخَلَ الْحَرَمَ  
أَمِنَ مِنَ الْخَلْقِ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَمِنَتْ جَوَارِحُهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا فِي  
الْمَعْصِيَةِ، وَمَنْ دَخَلَ الْكَعْبَةَ أَمِنَ قَلْبُهُ مِنْ أَنْ يَشْغَلَهُ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ.  
فَانظُرْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، فَإِنْ كَانَتْ حَالَتُكَ حَالَةً تَرْضَاهَا لِحُلُولِ الْمَوْتِ  
فَاشْكُرِ اللَّهَ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَعِصْمَتِهِ ؛ وَإِنْ تَكُنُ الْأُخْرَى فَاتَّقِلْ عَنْهَا بِصِحَّةِ  
الْعَزِيمَةِ وَأَنْدَمْ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ عُمْرِكَ فِي الْغَفْلَةِ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَى  
تَطْهِيرِ الظَّاهِرِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَتَنْظِيفِ الْبَاطِنِ مِنَ الْعُيُوبِ، وَأَقْطَعْ زِيَادَةَ  
الْغَفْلَةِ مِنْ قَلْبِكَ وَأَطْفِ نَارَ الشَّهْوَةِ مِنْ نَفْسِكَ.

# العرفان والعارف



«قال الصادق عليه السلام: نَجْوَى العارفين»

### حقيقة باطن العارفين:

يقول الامام الصادق عليه السلام في مطلع هذه الرواية: إن سر وجود العارفين وحقائق باطنهم؛ قائمة على أصول ثلاثة: الخوف و الرجاء و الحب.

إننا و إن في السطور السابقة تعلمنا مسائل مهمة، حول العرفان والعرفاء ولكن لدي شعور قوي بأننا نحتاج إلى توضيح أكثر في هذا المجال، حتى نبين أكثر مسألة العرفان من وجهة نظر الإمام المعصوم عليه السلام و ما ورد في أقوالهم ورواياتهم. بعد ذلك نتطرق إلى تفسير الأصول الثلاثة. الخوف، الرجاء و الحب.

العارف: هو الإنسان الذي بمساعدة ثقافة الوحي و سنن الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام، يوفق لمعرفة المبدأ والمعاد و الحقائق الأصلية الأساسية، و يتحلى عملاً بهذه الحقائق.

العارف: هو الإنسان الذي اضاء قلبه بنور التوحيد، و من خلال الاعتماد على القرآن الكريم، يشاهد القيامة ببصيرة قلبه، وأيضاً بالاعتماد على حقيقة التوحيد و المعاد، فإنه يطهر أعماله، و عقائده و اخلاقه؛ من الدنس، و يزين روحه و جسمه

وقلبه وجميع جوارحه واعضائه بالفيوضات الإلهية ويجاهد في طريق العلم والعمل؛ ثم بعد ذلك يستقر في مملكة الخلوص.

العارف: هو الإنسان الذي لا يرى سوى الله، ولا يعلم غيره، ولا يريد إلا هو، ولا يقول ولا يسمع إلا الله، ولا يميل ولا يسير إلا الله.

العارف: هو المطلع بحقوق الله سبحانه وتعالى وخلقه ويراعيهما في جميع شؤون حياته.

العارف: هو الإنسان الذي لا يضع دقيقة من عمره، ولا يطلب إلا ما طلب رب العزة، ولا يسلك إلا الصراط المستقيم، ولا يفترق عن طلاب الجمال و عشاقه، ولا يغفل عن إرشاد المضلين ومعالجة المرضى.

العارف: هو الذي يكون عبداً مثالياً لله، وانساناً حسن الاخلاق للناس.

العارف: هو الذي يكون كالأرض السهلة، نبعاً للفضل والفيض، وكالشمس نبعاً للنور والدفء، وكأمطار الربيع مصدراً للخير والبركة.

العارف: مثل النحل، فشرابه، دواء للأصدقاء ولسعته، سماً للأعداء.

العارف: هو الذي يكون غارقاً في بحر الطاعة، ومتحدداً في وجوده مع العبادة، وهو حقيقة متصفة بالكرامة، وهي لعباد الله، بحر من البركة.

العارف: هو انسان سامي، وفي درجة عالية من الإنسانية، بين الناس، جوهر نادرة، و للمجتمع الانساني كالمشكاة تضيء الطريق.

العارف: هو وردة من دون شوك، ومعين ذو منفعة للدين، حذق؛ في نطقه وكلامه للناس، ومستيقظ بين الغافلين، متدين؛ في سلوكه وتعامله مع عباد الله، مجتهد؛ في طريق الحق، وبوصلة لجميع حقائق الوجود، و شجرة مثمرة في



مزرعة الإنسانية، ومظهرٌ لصفات الله في جميع حر كانه.

العارف: هو الذي أطاع اوامر الله سبحانه وتعالى، وأحيا قلبه بعشق المحبوب، ولم يحمل من عبء الشيطان، ولم يقل إلا الحق، ولم ير إلا الحق.

انظر إلى الصحراء اراك فيها انظر إلى البحر اراك فيه.

حينما انظر إلى كل جهة، وجبل، وواد، وبيداء، اراك فيها.

العارف: هو تلميذ مدرسة الأنبياء ﷺ، وجليس الاولياء، ومن اصفياء عباد الله سبحانه وتعالى، بصير بطريق السلوك والعرفان، وقدير على تنفيذ أوامر المولى جل وعلا، ولسانه ناطق بذكر وعشق الحق، ينشد الحقيقة دائماً، وعالم بأسرار خزانة المحبوب.

العارف: هو الإنسان الخبير بحيثيات العبودية، والقائد في جميع أمور الدنيا، وهو نورٌ يهدي الضالين، ومنقذُ الهاوين في الظلمات، وفي السحر جليس الندم؛ وخادم لمالك الملوك؛ وفي جميع الاوقات حاضرٌ في حضرته سبحانه وتعالى، ومُنزَّة عن حبّ الجاه، وطالب فقط لله سبحانه وتعالى.

طوبى للذين صاحبهم الله، وعملهم الحمد وقل هو الله.

طوبى للذين دائماً في حال الصلاة، وسوقهم جنة الخلد.

العارف: هو الإنسان الذي يكون عاشقاً لله سبحانه وتعالى، مجاهداً في سبيل الله متحلياً بأخلاق الطاهرين، جليساً للطيبين، متجنباً للكفار والمشركين، ونور

شمع العاشقين، طاهراً مطهراً من الاخلاق الشيطانية، ودواءً للمرضى، وعوناً للمحتاجين، وأملاً للآيسين، وشهداً من الشهداء في سبيل لقاء الله جلا وعلا.

العارف: هو الإنسان الذي يملك قلباً خاشعاً متواضعاً، ومؤمناً خاضعاً في مقابل الناس، شترى نفسه وماله ابتغاء مرضاة الله، وحياته مليئة بأمور، تعتبر دورساً للآخرين، ويوميته من افضل اليوميات الى يمكن أن تكون، ويشع قلبه بالنور وروحه في كل مكان، فهو للعلم والعمل والكرامة والفضيلة، سيماء العبادة في وجهه، وهو سيفٌ قاطعٌ بوجه اعداء الحق والحقيقة، واعماق روحه مفعمة بكلمات الله سبحانه وتعالى، لم يأكل لقمة حرام في عمره، وهو للفقراء انساناً نافعاً، ومبعد لوسوسة الشيطان وأهل الباطل من قلب كل إنسان، ولا يأمل الخير سوى من الله جل وعلا، ولا يمنعه عن أداء طلبات المحبوب شيء، شفيحاً بين الناس وبين الله سبحانه وتعالى، رافعاً لمقامه الإنساني بوسيلة العبادة الخالصة.

قلبه يشع بالنور مثل الشعاع المضيء، مطيع لاوامر الله سبحانه وتعالى والأنبياء والأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، وهو النبع الكامل للعلم والعمل والأخلاق.

العارف: هو الإنسان الذي يسحر القلوب، وعبادته هي عين خلوصه وتقواه، لا يعرف أحد قدره، مشتاق إلى وصال المحبوب، جميع أمور حياته واضحة، مطهراً من خزي الدنيا، مصوناً من عقاب الآخرة، يمتلك قلباً صافياً، وفيأ لعدهه الله سبحانه وتعالى، لطيفاً مع عباد الله، في كلماته شفاء للداء الافئدة و القلوب، يعيش في الخفاء حفظاً من الرياء، قد اشرق النور على قلبه.

نحن كالمزمار وألحاننا منك، نحن كالجبل وصوتنا منك.

نحن كالعدم ووجودنا الفاني، إنما هو من وجودك الباقي.

كلنا ليوث، ولكن سيدهم، يكون هجومه أسرع من الريح.

هجومهم ظاهر، عكس الريح، والذي لا يظهر لا يضيع أبداً.

العارف: هو الإنسان الذي ليس له حاجة إلى خلق الله، ولا ينفك لحظة عن ذكر المحبوب، ولا يرفض البلاء أبداً، ولحنه مناجاة الله، عشق السامة القدسية، فلا يهتم بالدنيا والآخرة، رفيق دربه هم أهل الولاء، مدرسته مدرسة الأنبياء، مشكاة مجلسه هم اولياء الله، ليس كمثلته في معرفة أسرار هذا السيل، لا يقرأ سوى كتاب الحق والحقيقة، على الرغم من أنه لا يرى إلا الله، ولا يريد إلا الله؛ لكنّه جليس الكبار والصغار من أجل تنوير حياتهم، قبله روحه؛ الله سبحانه وتعالى، وهمّة الوصول إلى المقام الأعلى، لا ينفك عن عشق الحبيب، وذكره التسبيح لله سبحانه وتعالى، اذناه لا تسمع إلا صوت المعشوق، لا يسبح إلا في بحر المحبة، لا يعرف أحداً إلا محبوبه، لا يخاصم أحداً على الدنيا وزينتها، ليس في باطنه إلا العشق الشديد لمولاه، وهمّة في الدنيا مواساة الاصدقاء، لا يعرف أحداً منزلته في الدنيا، في طينة ذاته لا توجد ذرة من الهوى والنزوة، ولا يطلب إلا رضا الحبيب، ونطقه الحمد، والتسبيح والتهليل والكلام الحسن والثناء على الله عزّ وجلّ.

العارف: في اصطلاح أهل معرفة الطريق، وفقراء حضرته، وعشاقه العارفين، هو الإنسان الذي حقّق الكمال لنفسه بالاعتماد على القوة النظرية، وبذل كل جهده من أجل كسب حقائق العلوم، وطهّر نفسه من الصفات الرذيلة، والعقائد الخبيثة، وتحلّى بالعقائد الحقيقية والكمالات الإلهية.

العارف: هو الإنسان الذي ملك العلم مع العمل، وأطاع الله في أوامره، واجتنبه في معاصبه، ومن أجل ترويضه للنفس، أصبحت له القوة والقدرة على العمل.

العارف: بلسان أهل الذوق والشوق، وسكاري حانة العشق، هو انسان ذو كمالات معرفية وعملية، وجميع جوارحه واعضاؤه وقواه، أصبحت لله، وفي الحقيقة نال مقام الفناء في الله، والخلاصة؛ أنه لا يريد ألا واحداً، ولا يعلم إلا واحداً.

فقد قيل أنه اختلف رجلان في تجارة لهم. فاحتاجوا إلى شخص آخر لكي يفصل بينهم، فمرّ عليهم عارف وطلبوا منه ذلك، فعرضوا عليه دفاتر حساباتهم، فكلما قالوا عددًا له، قال واحد، فتعجبوا من ذلك وقالوا له: ما بالك تقول واحد، كلما ذكرنا عددًا؟ وقد اردنا منك ان تحل مشكلتنا؟ فقال: ماذا افعل وانا لا اعرف غير واحد ولا اعلم غير واحد.

العارف: هو الإنسان الذي علاوة على ما لديه من قوة العلم والعمل، فإن كل وجوده متجهًا إلى الله سبحانه وتعالى، ولا يتهاون في أداء أوامر الله سبحانه وتعالى واجتناب محرماته، وكذا اداء النوافل، كل هذه الاشياء هي عن طريق الارتباط بثقافة الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام والتي هي في الأصل ثقافة الوحي، وبما أن العارف مستمر في السير والسفر في الطريق الله، فإنه سيصل إلى مقام الفناء في الله، بعدها مقام البقاء بالله.

في هذا الجانب لا يشتعل نارًا، إذا كنت قريباً من الحبيب أو كنت بعيداً.

الصورة ليس لها عمود لكي تثبت، وماذا لو اخذتها باليد ولم تظهر.  
العالم مصيدة والخلائق فيها فريسة، ولا توجد علامة من أمير الصيد.

أينما تنظر ترى الأمير والعظماء، ولا يوجد عندما تنظر إلى حرم الأمير.  
يا أيتها الروح تخلي عن الأنانية وأظهري لونك الجميل، فليس هذا  
سوى يد و نقش و رسم.  
عندما نشاهد غبار من بعيد فإنه يدل على الجيش، لا يوجد دخان دون نار.

### أوصاف العارفين في كلام امام العارفين عليه السلام:

ذكرنا في السطور السابقة بأن العارف لديه قوتين هما القوة العلمية والعملية.  
ولا فوته أداء جميع الواجبات والنوافل، و هو يجتنب جميع المحرمات الإلهية  
بكامل إرادته.

### خطبة همام:

يخبرنا امام العرفاء، ومشكاة قلوب العشاق، ونور طريق العرفاء، مولى الموحدين  
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأوصاف العارفين؛ تحت عنوان صفات  
المتقين في (نهج البلاغة) - الذي هو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق - .  
العارف الكبير، عندليب العرفان؛ السيد قمشه اي، نظم خطبة الإمام علي عليه السلام  
مع مافيها من أحوال معنوية وملكوتية، على شكل شعر، حتى يستلذ القراء أكثر  
من قراءة الخطبة، فقد زيناً بعض جملات خطبة الإمام علي عليه السلام في هذا الكتاب،  
بتلك الأشعار العرفانية.

رُويَ أَنَّ صَاحِباً لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يُقَالُ لَهُ: «هَمَامٌ كَانَ رَجُلًا  
عَابِدًا، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لِي الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي

## أَنْظُرْ إِلَيْهِمْ<sup>١</sup>.

سمعت أن هناك عاشقاً شمائله مثل الفراشة، وفي الحب هو صادق، وهو رفيق الوحدة، سلطان الدين، وهو طريق كلام العشق. جاء أحد العشاق لإلا ملك العشق، علي هو مخزن سر الله. جاء إلى ذلك الملك مع قلب صادق، وقلبه مثل الورد ممزق من فراق العشق. جاء سائلا عن علامة الحبيب، ويستشم طريق وصال الحبيب. جاء لكي يقوي الملك قلبه، ويتحرق من لمعان العشق. جاء لسكر من شراب العشق، ويصرخ من العشق. كان يقول: يا علي يا سر الأسرار، افش سر العاشقين. صف لنا حمام الروض، الذين قطعوا اسار الروح. عندما طاروا من عش الروح، واستقرّوا في عش الحبيب. عندما وصلوا للقاء المحبوب، ودخلوا حريم الملك. عندما كانوا هؤلاء العطاشى يبحثون عن الماء، في ظلام الليل الدامس. ملأوا كؤوس عشقهم من الحبيب، وابتعدوا عن كل شيء. رُفِعَ الحجاب عنهم، ونظروا بأعينهم إلى الحق. تحرّروا من النفس الحيوانية، ووصلوا إلى قمة الإنسانية. فتحوا الطريق لهم تجاه وادي العشق، وفسحوا المجال لهم في الخلوة المقدسة. شاهدوا جمال الحبيب، ورفع من ذلك الجمال ألف غطاء. هؤلاء نلوبهم مليئة بعشق الحبيب، ولا يرضون إلا بكلام المحبوب. هذه العنادل في حدائقهم، طيبة الفكر والذكر والعمل. هذه هي أوصاف الطيبين، حرّروا ارواحهم وأجسادهم من اسار الدنيا.

وانت كاشف سرّ ما خفي، فهات قصة من العشاق.

ويخرج من كنز الفكر جوهرة، ولا حديث ألدُّ من حديث العشق<sup>١</sup>.

فَنَشَأَلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ جَوَابِهِ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا هَمَّامُ اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنُ  
فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ»<sup>٢</sup>.

فَلَمْ يَقْنَعِ هَمَّامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى  
عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ:

«أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ  
طَاعَتِهِمْ أَمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاةٍ وَلَا  
تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعَةٍ فَكَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ وَوَضَعَهُمْ مِنْ  
الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ».

روح المتقين معتدلة، وهدفهم هو الحب.

قلوبهم من أثرنا محمية، وفي بستان العشق قلوبهم مقطعة.

إن الله أعطى أولئك المحسنين فضيلة القيادة، ويميّزهم بأنواع الفضائل.

\* \* \*

ووهبهم فضائل كثيرة، لأنهم دائماً صادقين في كلامهم.

أول صفة الطيبين هي الصدق في كلامهم، اسمع جيداً فهذا وصف حسن.

وليس الصدق هو في كلامهم فقط، بل الصدق في جميع أفعالهم.

وكل شخص لديه صدق في الكلام، فإنك تجد فيه صفات حسنة كثيرة.

١- «الهي قمشه اي».

٢- النحل ١٦: ١٢٨.

والقلب الذي هو منور بالعشق فإنه شمس، وشعاعه بيان على ألسنة الصدق والصواب.  
 مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِصَادُ، وَمَشِيهُمُ التَّوَاضُعُ، غَضُّوا  
 أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ  
 النَّافِعِ لَهُمْ، نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَأَنِّي نَزَلْتُ فِي  
 الرِّخَاءِ، وَلَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ  
 فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ.

إذا هؤلاء لم يصلوا إلى وصال المحبوب، فإنه لم يكتب لهم العشق.  
 لم يسع أولئك العظماء السجن، فالسجن ليس مأواهم.  
 وليس كطائر العنقاء من ضيق الكونين، خرجوا باحثين في طرفة عين.  
 وضاق على هذا العنقاء الففص الترابي، فيرى بستان الورود بعيدا عنه.  
 ولما ترى تلك الطيور الأحباب، يأتون آلافاً إلى بساتين الجنان.  
 ما أجمل بستان الجنة والأنس مع المحبوب، وهنالك لا رقيب ولا حساد.  
 الكل مشتاق للفرار من هذا الفخ، فكيف تستقر الروح في هذا الفخ.  
 ناظرين بشوق إلى الحبيب، ويتظنون بعيون باكية.  
 والكل حزين بسبب رحيل الحبيب، والكل في عجله من وصاله.  
 الكل يحسب الأيام والسنين، ليوم اللقاء فيفقدون أرواحهم.

عَظَمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَادُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهَمُّ وَالْجَنَّةُ  
 كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهَمُّ فِيهَا مُنْعَمُونَ، وَهَمُّ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا  
 فَهَمُّ فِيهَا مُعَذَّبُونَ.  
 قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ.



وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً  
أَعْبَتَتْهُمْ رَاحَةٌ طَوِيلَةٌ، تِجَارَةٌ مُرِيحَةٌ يَسْرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ، أَرَادَتْهُمْ  
الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُواهَا، وَأَسْرَتْهُمْ فَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا، أَمَّا اللَّيْلُ  
فَصَاقُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُونَهُ تَرْتِيلاً.

جاء الليل، تلك الليلة التي صاحبت المتألمين، جاء الليل، تلك الليلة التي هي  
خصمٌ للمساكين.

جاء الليل، تلك الليلة التي يشكو فيها العشاق، مرة من الحبيب، وأخرى من  
القلب.

جاء الليل، تلك الليلة التي أصبحت محفلاً لي، مرة من قرب الحبيب، ومن القلب.

ليلة فيها ضجيج للعشاق، ليلة فيها ألحان فرحة العشق.

ليلة فيها الأنجم زاهرة في أروقة القصر التسعة، ليلة تحرق فيها قلوب المشتاقين.

ليلة يسكر من صيحة طائر الحق، وتصل فيه إلى لمس الروح.

ليلة فيها المنجمون يحرقون القلب، ليلة تحرق فيها النار القلوب.

ليلة تضيق فيها الدنيا، تصبح فيها العتقاء الليلة.

بليلة الرجال الذين هم في طريقهم للحرب، بالشمع المحترق في قيامهم.

بليلة طيور الحق التي هي في احتراق، بتراب عشق الليل المحتاج.

ليلة فيها معراج العرش عش، فسبحان الذي أسرى ألعانه.

جلس فوق قمة العرش، وشرب من الكأس وأصبح ثملاً.

يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةِ

فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا، وَتَطَلَّعَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا،

وَوَظَّنُوا أَنَّهَا نَصَبٌ أَعْيَنَهُمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةِ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا

إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهيقَهَا فِي أَصْوَلِ  
 آذَانِهِمْ، فَهَمُّ حَائِنُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُقْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ  
 وَأَكْفُهُمْ وَرُكْبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي  
 فَكَاكَ رِقَابِهِمْ، وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أُبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ.

حينما بحين الصباح فهم كالعلم أذكيا، ويتحملون تغيرات الدنيا.

الدنيا وما فيها هي تحول وتغير، فجيئ النجوم في حالة صباح.

إذا ملئ الشرق والغرب بالفتن، وإذا غرقت الدنيا بالطوفان.

فلا أشوقهم ولا اخاف منهم، فقلبيهم وروحهم مسلم لحكم المحبوب.

إذا القلب امتلأ من نور المعرفة وأصبح صافياً، فإنه يلقى نظام العالم من حكم القضاء.

فكل وجودي هو ذائب في طاعته، وأصبح كالمشكاة بيدد ظلام الدنيا.

وأشرقت في روجه أنوار العلم والحلم، وأسرع نحو الخير والورع.

وبالعلم يضاء كل روح، جسور، حلیم، ورحيم.

العلم يزيد الحلم، وأعماله و ورعه يصبحان أفضل!

قَدْ بَرَاهُمْ الْخَوْفُ بَرَىءَ الْقِدَاحِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسِبُهُمْ  
 مَرَضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، وَيَقُولُ لَقَدْ خَوْلَطُوا وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ  
 أَمْرٌ عَظِيمٌ، لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ  
 الْكَثِيرَ، فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ، إِذَا  
 زُكِّي أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ! فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ

غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي، اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا  
يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ.

حينما نصف هؤلاء بالمحسنين، فكلما يتفكرون يزدادون حسناً.

وهذا جوابهم لنا حين نسالهم: نحن ظاهرنا وباطننا واحد.

نفخر بأننا أعلم من غيرنا، والظاهر كفيلاً ببرهنة ذلك.

ولأننا أصبحنا وذبنا بالعشق، فكل واحد ينعتنا بصاحب السر.

أنت تمدحنا ونحن في الحقيقة لاشيء، فكأنما مدحت العدم بلا شيء.

وهكذا هو حال لسان القلب مع الله، قائلاً «اجعلني للمتقين إماماً».

واعفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ، من أعمال السيئة وأفكار المضطربة.

فَمِنْ عِلْمِهِ أَحَدِهِمْ: أَنْكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينِ، وَحَزْمًا فِي  
لِينِ، وَإِيمَانًا فِي يَقِينِ، وَحِرْصًا فِي عِلْمِ، وَعِلْمًا فِي حِلْمِ،  
وَقَصْدًا فِي غِنَى، وَخُشُوعًا فِي عِبَادَةِ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةِ،  
وَصَبْرًا فِي شِدَّةِ، وَطَلَبًا فِي حَلَالِ، وَنَشَاطًا فِي هُدَى وَتَحَرُّجًا  
عَنْ طَمَعِ، يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلِ، يُنْسِي  
وَهَمَّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذُّكْرُ، يَبِيْتُ حَذِرًا، وَيُصْبِحُ  
فَرِحًا، حَذِرًا لِمَا حَذَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ  
الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ، إِسْتَصَعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ، لَمْ يُعْطِهَا  
سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ، قُرَّةٌ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا  
يَبْقَى، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ، تَرَاهُ قَرِيبًا أُمَّلُهُ،

قَلِيلًا زَلَلَهُ، خَاشِعًا قَلْبَهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَتَزُورًا أَكْلَهُ، سَهْلًا أَمْرَهُ،  
حَرِيزًا دِينَهُ، مَيْتَةً شَهْوَتَهُ، مَكْظُومًا غَيْظَهُ، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ،  
وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ، إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ،  
وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ.

إذا ما جالست الجهلاء عمراً، فذاكرني دائماً عند الأحاب.

إذا مزج روحه مع الذاكرين فقلبه بين يدي الحبيب.

إذا كتب اسمه من الأوفياء، فقد كتب من اليقطين.

يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيدًا  
فُحْشُهُ، لَيْثًا قَوْلُهُ، غَائِبًا مُنْكَرُهُ، حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلًا خَيْرُهُ،  
مُذْبِرًا شَرَّهُ، فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٍ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٍ، وَفِي  
الرِّخَاءِ شُكُورٍ، لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلَا يَأْتِمُّ فِيمَنْ  
يُحِبُّ، يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ، لَا يُضَيِّعُ مَا  
اسْتَحْفَظَ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ وَلَا يُضَارُّ  
بِالْجَارِ وَلَا يَشْتَمُ بِالْمَصَائِبِ وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ وَلَا يَخْرُجُ  
مِنَ الْحَقِّ.

المحسن لا يسير على طريق الباطل، ولا تنزل قدماء خطوة عن الحق.

هكذا نال أصحاب الحقائق، حينما يفتحوا أبواب حقائق الشقائق.

فإنهم يشاهدون حقيقة الباطل والحق، فإما يرون خيئاً وإما فقيراً مدقماً.

إذا أردت الاستحواذ على الدنيا بالباطل فإنك فقير، وإن اتبعت الحق فإنك تملك

الحق ذلك الوجود المطلق الذي كان، هنالك ولا يجلب الفناء لمن دخل الحق. واتصل بالحق يا قلب إن كنت فطناً، فاقطع مسالك الباطل على نفسك.

إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمُهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبْرٌ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ، نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ، أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِأَخْرَجَتِهِ، وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ، بَعْدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدُؤُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظْمَةٍ، وَلَا دُؤُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ.

حينما يعتزل الإنسان عن الخلق، ويعيش حالة التفرد والعزلة، فإنه ستأتيه حال من الزهد والتجرد.

وتفرده عن الناس ليس لغرض التكبر والغرور، لأنهما من طبائع الملوك الجبارة. وإذا اقتربت من الإنسان المؤمن الوفي، فإنك لا ترى سوى الرأفة والرحمة. وعندما يخالط ويعاشر الناس، فإنه ربما يفتح عليهم باباً إلى الله. وليست معاشرته للناس من أجل الخداع والمكر، ووصل حديثنا إلى هنا أيها العقل. فرّ يا عقل فإنّ العشق الدامي أتاك، أو تحول إلى فراشة لا تستطيع مفارقة النار. ضحّ بنفسك وجسدك، فالقلب اشتعل ناراً من أجل رؤية جمال المحبوب. وأرم نفسك في النار لأنها شمع فرحة الملكوت، فبتنوّر الروح ويحترق الجسم المادي. ينشر جناحيه متّجهاً نحو الصياد، فيأخذ الجسم منه ويحرّر الروح.<sup>١</sup> وحينما وصل حديث امام العارفين عليه السلام إلى هنا، قال:

«فَصَبِقَ هَمَامٌ صَعْفَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام):  
 أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ  
 الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَمَا بِأَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،  
 فَقَالَ (عليه السلام): وَيَحْكُ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ وَسَبَبًا لَا  
 يَتَجَاوَزُهُ فَمَهْلًا لَا تَعُدُّ لِمِثْلِهَا فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ».

حديث مهم ورواية عجيبة:

ينقل العارف الكبير، السيد حيدر آملّي في كتاب «جامع الاسرار ومنبع  
 الانوار» وفي رسالة «نقد النقود»، كما ينقل العارف المعارف الإلهية الفيض  
 الكاشاني في كتاب «قرة العيون» وفي كتاب «كلمات مكنونة» حديثاً عن أمير  
 المؤمنين (عليه السلام)، حتى تتعرف على حال واحوال العارفين، وتصل إلى هذا المقام  
 وتعيش بجانب بحر الرحمة وساحل الامن والأمان.

إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى شَرَابًا لِأَوْلِيَائِهِ، إِذَا شَرِبُوا سَكِرُوا، وَإِذَا سَكِرُوا  
 طَرِبُوا، وَإِذَا طَرِبُوا طَابُوا، وَإِذَا طَابُوا ذَابُوا، وَإِذَا ذَابُوا خَلَصُوا،  
 وَإِذَا خَلَصُوا طَلَبُوا، وَإِذَا طَلَبُوا وَجَدُوا، وَإِذَا وَجَدُوا وَصَلُوا،  
 وَإِذَا وَصَلُوا اتَّصَلُوا، وَإِذَا اتَّصَلُوا لَافَرَقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حَبِيبِهِمْ<sup>١</sup>.

هذا هو حال العارفين، الذين استطاعوا ان يصلوا إلى هذا المقام؛ بالعلم  
 والمعرفة والإحسان والعمل والتقوى والزهد والورع والكرامة والشرف.  
 انصفوا بالله عليكم! هل يستطيع الإنسان؛ أن ينال حظاً من عناية الله سبحانه

١- جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ٢٠٥؛ نقد النقود: ٦٧٦؛ قرة العيون، المادة نور؛ كلمات مكنونة: ٣٥.

وتعالى، أو يصل إلى المطلوب، وهو المحبوب؛ إذا غلبت عليه الشهوة؛ وهوى النفوس، وسيطرت عليه وساوس الشيطان، وابتلى روحه وجسده بالمرض والكسل، وكان كلّ همّه الأكل والنوم والغفلة!

### جمال القلب:

روي أن شخصاً مبتلى بالضيق، كان يمشي في الطريق، فرأى فتاة جميلة، فأمعن نظره في حسنها وجمالها، فوقع قلبه اسيراً لهذا الجمال، فتبعها؛ وعندما وصلت تلك الفتاة إلى دارها نظرت إلى ورائها فرأت ذلك الرجل المتيمّ بجمالها، فقالت: ماذا تريد؟ فقال: ان جمالك قد أسرنى وسيطر عليّ، فأحببت وصالك.

و كانت تلك الفتاة على قدر واسع من الجمال؛ و أيضاً كانت عاقلة؛ فقالت: غداً سوف اجيب ما طلبت.

وفي اليوم التالي، كان الرجل ينتظرها؛ حتى يستطيع ان يرى ذلك الجمال ويصل إلى غايته، فجاءت تلك الفتاة ومعها جاريتها ويدها مرآة، فقالت: يا جارية، اعكسي المرأة حتى يستطيع ذلك الرجل ان يراني ويصل إلى مراده<sup>(١)</sup>.

فالقلب مشتاق لجمال قلب آخر، وروحه يختلف عن بقية الارواح. فالمشتاق في سلطة عشق الحق، والمشتاق يعشق العبادة ويتجنب الذنوب، والعارف المستغرق في حب الله؛ يضحى بروحه وجسمه، وقد قال أهل العرفان:

قُلُوبُ الْمُشْتَاقِينَ مُنَوَّرَةٌ بِنُورِ اللَّهِ فَإِذَا تَحَرَّكَ اشْتِيَاقَهُمْ أَضَاءَ

النُّورُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَيَعْرِضُهُمُ اللَّهُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ  
وَيَقُولُ: هَؤُلَاءِ الْمُشْتَاقُونَ إِلَيَّ، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي إِلَيْهِمْ أَشَوْقٌ!

### سيماء العارفين:

يقول أحد تلاميذ هذه المدرسة:

في احدي أسفاري، التقيت بإنسان فاضل وكريم، وكان سيماه يشبه سيماء  
العارفين، فرافقته في الطريق. ثم سألته: «كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ؟» فقال: «لَوْ  
عَرَفْتَ اللَّهَ لَعَرَفْتَ الطَّرِيقَ».

ثم بعد ذلك قال: أيها الرجل المؤمن، ابعد نفسك عن الخلاف والاختلاف.  
فقلت: فكيف يحدث الخلاف والاختلاف بين العلماء؟ فإنهم مؤيدين من  
قبل الله سبحانه وتعالى.

فقال: وهو كذلك اللهم إلا في تجريد التوحيد.

فقلت: وماذا تعني هذه الجملة؟

فقال: «فِقْدَانُ رُؤْيَا مَا سِوَاهُ لِوَجْدَانِهِ».

ويقصد بهذه الجملة، نفي كل معبود باطل، والالتزام بالطاعة والعبادة للحق.

فقلت: «هَلْ يَكُونُ الْعَارِفُ مَسْرُورًا؟».

فقال: وهل يحزن العارف في ارتباطه مع الله؟

فقلت: «أَلَيْسَ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ طَالَ هَمُّهُ؟».



فقال: «مَنْ عَرَفَهُ زَالَ هَمُّهُ». فأهل المعرفة: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ﴾<sup>١</sup>.

فقلت: «هَلْ تُغَيِّرُ الدُّنْيَا قُلُوبَ الْعَارِفِينَ؟».

فقال: «هَلْ تُغَيِّرُ الْعُقْبَى قُلُوبَ الْعَارِفِينَ حَتَّى تُغَيِّرَهَا الدُّنْيَا؟».

فقلت: «أَلَيْسَ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ صَارَ مُسْتَوْحِشاً؟».

فقال: «مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ الْعَارِفُ مُسْتَوْحِشاً وَلَكِنْ يَكُونُ مُهَاجِراً مُتَجَرِّداً».

فقلت: «هَلْ يَتَأَسَّفُ الْعَارِفُ عَلَى شَيْءٍ غَيْرِ اللَّهِ؟».

فأجاب: «هَلْ يَعْرِفُ الْعَارِفُ غَيْرَ اللَّهِ فَيَتَأَسَّفُ عَلَيْهِ؟».

فقلت: «هَلْ يَشْتَاقُ الْعَارِفُ إِلَى رَبِّهِ؟».

فقال: «هَلْ يَكُونُ الْعَارِفُ غَائِباً طَرْفَةً حَتَّى يَشْتَاقَ إِلَيْهِ؟».

فقلت: «مَا اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ؟».

فقال: «أَنْ تَقُولَ اللَّهَ وَأَنْتَ تَهَابُهُ».

فقلت: «كثيراً ما أقولُ ولا تُدَاخِلُنِي الْهَيْبَةُ».

فقال: «لِإِنَّكَ تَقُولُ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ لَا مِنْ حَيْثُ هُوَ».

فقلت له: أيها الفاضل، انصحني أكثر: كي أستفيد أكثر منك.

فقال: يكفيك من الوعظ والنصيحة، ما ترى من التغييرات في حوادث الأيام،

انظر إليها بعمق واستفد منها كموعظة ونصيحة وعبرة<sup>٢</sup>.

١- البقرة ٢: ٣٦٢.

٢- «نامه دانشوران».

## الخوف والحب عند العارفين:

يقول احد العارفين - السائرين في مسلك الحق والحقيقة :-  
سمعت عن أحد العظماء الذي كان يسكن اليمن، و كان مشهوراً بالتواضع،  
والعقل، والحكمة، والفضل والمعروف. فلباس ظاهره كأهل الجهاد وباطنه،  
كأهل العرفان والصلاح.

انه لما جان موسم الحج، وبعد أداء المناسك، اتاحت لي فرصة من الوقت،  
فعندئذ قصدت زيارته حتى اسمع كلامه ومواعظه واستفيد منها.  
فعندما علم جماعة من اصحابي عزمي على السفر رافقوني، وكان بين تلك  
الجماعة شاب؛ سيماء سيماء الصالحين وهيئته هيئة الخائفين ووجهه مصفر، من  
غير ان يعاني من مرض، وعيناه محمرتان دامعتان، كأن مصيبة قد نزلت به،  
فذهبت إليه وتحديث معه بكلام حسن، أن يرافقني، لكنه رفض وكلما عاتبته  
وأنا في تلك الحالة التي فيها ونصحته بالصبر، لكن دون نفع أو جدوى، وكانت  
عيناه في كل لحظة تدمعان وكان يترنم بأشعار معناها:

يا أيها الناس الذين أنتم ما تفتوا تلو موتني! اعلموا بأني لن اتخلى عن عشقي  
ولن يروى عطشي منه، كيف اصبر وكل لحظة يزداد حزني ويتبدل عزي فيه  
إلى ذلة؟ فيقولون: سوف تنخر عظام الإنسان واقول: حتى إذا نخر عظامي في  
البر فإن حبي يزداد لك منذ زمن بعيد وقلبي شرب من كأس حبك حتى منذ أيام  
الصبا والطفولة.

تجول في ذاكرتي فتن وأهداف سامية، وتدور في مخيلتي ثورة عارمة.

كلما أنظر إلى عيون الحبيب، يتتاب قلبي بركان من الثورة.

فهذا حجاب جاذب للقلوب، فقلبي هارباً من مكان لآخر.  
 فالساقى موجود تحت حجاب الغيب، ويوجد في كل ناحية طرب وسكر.  
 ويوجد في الداخل خمّار وخمر، وفي الخارج حالة سكر وغوغاء.  
 يا أمل القلوب، انت أمنية لكل قلب.  
 وفي تلك الحالة رافقنا ذلك الشاب، حتى وصلنا إلى تلك المدينة في اليمن  
 التي كان يعيش فيها ذلك الرجل العظيم.  
 فسألنا عنه، وذهبنا إلى بيته، وطرقتنا بابه، فأتى شخص بسرعة وفتح الباب لنا،  
 على هيئة شخص من أهل القبور، ودعانا إلى الدخول. فسبقنا ذلك الشاب  
 بالسلام عليه وصافحه. فرد السلام عليه وصافحه.  
 وتحدث معه بطريقة غريبة، وبشره بلسان أهل العرفان؛ بخبر سار سيحدث  
 له في المستقبل.  
 ثم بعد ذلك اسرع الشاب في الكلام وقال: سيدي، ان الله سبحانه وتعالى  
 جعلك وامثالك معالجا لمرضى القلوب ودواء لداء الذنوب.  
 يا سيدي إني أعاني من جرح اصابني وتسبب ذلك الجرح في تأكل اللحم  
 والجلد في ذلك الموضع، وأعاني أيضاً، من ألم مزمن، فإذا كنت قد عرفت  
 دائي؛ أرجو منك بأن تعطيني الدواء لذلك الداء.  
 فقال ذلك الرجل العظيم: سلني عن كل ما في علاج هذا المرض، حتى  
 أجيبك واحدة بواحدة عن ذلك؟  
 فسأل: «ما علامة الخوف من الله تعالى؟»  
 فأجاب: «أن يؤمنك خوف الله تعالى من كل خوف عن غير خوفه»،

وحينما سمع ذلك الشاب هذا الحديث تغير حاله، فصرخ واغمي عليه ثم انتبه بعد ساعة، فسأل ذلك من العارف: كيف يظهر خوف الله في قلب عبده؟  
 فقال: إن الإنسان جاء من العوالم الأخرى لهذا العالم فلذلك لن يظل سالماً، ويكون عليلًا وسقيماً، ولكي يدفع عن نفسه المرض، فإنه يلجأ إلى تناول الغذاء و الدواء، خوفاً من لدغة الفناء.

فحينما سمع هذا الكلام من ذلك الشيخ، صرخ صرخة حتى ان جميع الجالسين ظنوا أنه فارق الحياة. وبعد لحظة رفع رأسه سائلاً:

«ما علامةُ الْمُحِبَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى؟»

فقال: «يا حَبِيبِي إِنَّ دَرَجَةَ الْمُحِبَّةِ لِلَّهِ رَفِيعَةٌ.»

فألح الشاب على الشيخ بأن يوضح ما قاله. فقال:

«يا حَبِيبِي إِنَّ الْمُحِبِّينَ لِلَّهِ تَعَالَى شَقَّ لَهُمْ عَنْ قُلُوبِهِمْ فَأَبْصَرُوا  
 بِنُورِ الْقُلُوبِ إِلَى جَلالِ عَظْمَةِ الإِلهِ الْمُحِبُّوبِ، فَصَارَتْ  
 أَرْوَاحُهُمْ رُوحَانِيَّةً، وَقُلُوبُهُمْ حُجُبِيَّةً، وَعَقُولُهُمْ سَمَاوِيَّةً تَشْرَحُ  
 بَيْنَ صُفُوفِ المَلائِكَةِ الكِرَامِ، وَتُشَاهِدُ تِلْكَ الأُمُورِ بِالْيَقِينِ  
 وَالْعَيَانِ فَعَبْدُوهُ بِمَبْلَغِ اسْتِطَاعَتِهِمْ لا طَمَعاً فِي جَنَّتِهِ وَلا خَوْفاً  
 مِنْ نارِهِ.»

عندما سمع الشاب هذه الحقائق، صرخ واخذته العبرة مختنفاً بيكائه، وفارق الحياة، فعندئذ أخذ ذلك الشيخ الفاضل برأس الشاب العاشق واضعاً إياه على ركبته، ومقبلاً وجهه، قائلاً: هذا هو حال الذين يخافون الله سبحانه وتعالى وهذه

مرتبة العشاق والمحبين<sup>١</sup>.

هنيئاً وطوبى لقلب أنت فيه، وعزيز من كان في طاعتك.  
ولا يذل إنسان في الدارين، ما دام قلبه متجها نحوك ويريدك.  
فوجودي كله يتمنى أن، يصبح مطيعاً لك.  
القلب يزول غباره عندما يراك، وأطهر نفسي ما استطعت للقائك.  
طوبى لعاشق هائم قد نسي قلبه، وأصبح حيراناً ومندهشاً لرؤيتك.  
متى اطمئن قلبي بغيرك، إلا أن يكون سكراناً لا نجدابك.  
فقلبي لا يرد زهور الصحراء، إلا زهور صحرائك يا ربّي.  
فلم أر سعادة في عالم الوجود، إلا في ركب تكون أنت فيه.  
فقلبي يكاد يزهق من فراقك، إلا أن تمنّ علينا برضاك<sup>٢</sup>.

حديث من العرفاء:

يقول عاشق سالك وعارف إلهي:

حينما سافرت إلى احد البلدان، رأيت طبيباً تظهر عليه آثار العلم والمعرفة  
وكان مشغولاً بالعلاج.

وكان هناك جمع غفير من الرجال والناس جالسين وينتظرون العلاج،  
وجلست انتظره، وعندما انتهى الطبيب من معالجة المرضى، أدار وجهه نحوي  
وقال: ما تشككي؟

فقلت: اعاني من مرض منذ سنين، فأرجو ان يكون باستطاعتك معالجتني.

١- «نامه دانشوران: ٢١/٩».

٢- الفيض الكاشاني.

قال: ما هي علّتك؟

قلت: هو مرض الذنب، فإن كان عندك له دواء، فصفه لي.  
فنظر الطبيب لحظة إلى الأرض وعندئذ أخذ القلم وقال: سأكتب لك نسخة  
فافهمها جيداً واعمل بها.

عندئذ أخذ قلم وورقة وكتب هذه الكلمات: «عليك بورق الفقر، وعروق  
الصبر، واهليلج الكتمان، وبليج الرضى، وغاريقون الفكر، وسقمونيا الاحزان،  
واشربه بماء الاجفان، واغله في طنجير القلق، ودعه تحت نيران الفراق، ثم صفه  
بمنخل الارق، واشربه على الحرق، فذاك دواك وشفاك، يا عليل»<sup>١</sup>.

وعندما سمعت هذه الكلمات من ذلك الطبيب العالم تغير حالي وانا ايضاً  
اخذت القلم وكتبت له هذه الكلمات:

إن لله عباداً ذنوبهم بعدد الأشجار، ويسقونها بماء التوبة، وحملها الندم  
والحسرة، ويقطفون ثمرها دون جنون، ولبسوا ثوب البلادة والبلاهة، من دون  
عاهة، او صمت في الكلام، هم من العلماء والعارفين بالله ورسوله ﷺ، يشربون من  
كأس الوحدة الطاهر، ويصبرون على طول البلاء، قلوبهم متحيرة في عالم الملكوت  
وخائفة، وبين حجب الجبروت تتحرك أفكارهم.

يحنمون بظلال الندم، ويقرأون كتاب ذنوبهم، وأرواحهم مرافقة للصبر  
والخوف، حتى يصلوا إلى أسنى درجات الزهد، معتقنين سلم الورع.

يشثرون مرارة وعذاب الدنيا بأنفسهم، ويتتصرون بحبل الحرية، ويصلون إلى

الراحة والسلامة، وتصل أرواحهم إلى أعلى الملكوت، حتى يقيموا في بساتين الراحة الواسعة، يغرَقون في الحياة الإلهية، ويحكمون خنادق الصبر، ويعبرون من جسور الأنهر الكبيرة لهوى النفس، ثم بعد ذلك، يستقرّون في أصول تلك السفن وأشرعتهَا، ويبحرون في بحار المحبين، حتى يصلوا إلى سواحل الراحة والجلال.

يقول اليافعي: وأنا أيضاً نظمت نثراً وشعراً يحتوي على المعاني، وهذا جزء منها:

عندما يصل من الله إلى عباده، عنايات والطف خاصة وترقيات روحية، عليه أن يبعد عن نفسه كل ما سوى الله، ويرتقي إلى المقامات العالية، ويطلب العون بالكرامة والزهد والتقوى، كأنما أجزاءه عجت بطهارة الماء، وخيولهم تتحرك في مزرعة الرياضة، وهم يخفونها.

ويلجمون النفس العنيدة بشكل لا تستطيع النظر إلى غير صاحبها، ويردعونها بسوط الخوف، ويحركونها بالاماني، ويضعونها في ظروف وحالات صعبة ليصلوا إلى منتهى مناها وهو الحق، عند ذلك فإنك تصل إلى مكان طاهر عظيم، ومرتبة عالية، ونية نقية، وترتع في حدائق المعارف والراحة.

فهذا الطريق الذي يسير عليه، هو مليء بجيوش الأماني النفسية، ولكن هؤلاء يمنعون تلك الجيوش من الهجوم عليها، ويكسرون أماني النفس، بسيوف هي خلاف ما تريد النفس، ويضربون أصحاب الطبع السيء بسهام ترك العادات السابقة، ويظهرون بماء العيون ذنوبهم، وجميع الأشياء السيئة، حتى تصبح عبادتهم دون عيب، ويكون احتياجهم فقط لطهارة الروح وأداء الصلاة، ولكي تعالج آلام الصداقة الخاطئة لقلوبهم، عليهم ان يحرقوا أشجار الطبع السيئة بأنين

القلب الحزين، ويعطرونها بماء ورد الأذكار، ويحيون أمواتهم بإسم الله<sup>١</sup>.

### بُعد وقُرب العارفين:

يقول عارف زاهد:

رأيت شاباً من عرب البادية يطوف بالكعبة، كان نحيفاً ومصفرّ الوجه، بارز العظام. فاقتربت منه وقلت له: أظنّ أنك محبّ وقد احترقت في هذا الحبّ، فأجاب: بلى، فقلت: فهل حبيك قريب أم بعيد منك؟ فقال: بل قريب، فقلت له: هل هو مخالف أم موافق لك؟ فقال: بل موافق ورحمن. فقلت له: «سبحان الله» حبيك قريب منك وموافق لك، وأنت بهذا الحال نحيف ومصفرّ؟ فقال:

يا هذا! ألم تعلم بأن نار القرب من الحبيب تحرق أكثر من نار البعد؟ ففي قربه خوف الفراق والزوال، وفي بُعده أمل اللقاء. فتغيّرت حالي من كلامه هذا! هذه الحكاية كأنما تريد أن تقول: إن الإنسان - لا سمح الله - ممكن أن تحصل له حالة من الغرور والعجب، بعد الوصول إلى مقامات إلهية سامية، وينحدر نحو السقوط في الهاوية، ويضيع كل ما حصل ووصل إليه!!

### يقين العباد:

يقول عاشق تقي:

سمعت من أحد عباد الحق الذي كان في اطراف الشام مشغولاً بالعبادة يقول: إنّ الله سبحانه وتعالى عباداً بفضل نوره، قد وصلوا إلى منزلة من المعرفة، يعبر عنها باليقين، فشحذوا همهم لقصد سبحانه وتعالى، أملاً أن يلقي عليهم نظرة



محبّة، وتحملوا الصعوبات بكل همّها وغمّها، ليقضوا أيامهم وحياتهم في غمّها، ومع همهم وغمهم الكثير فإنهم يعيشون حالة طمأنينة وراحة قلب، ولا ينظرون إلى الدنيا بعين المحبّة، زادهم من الدنيا كزاد المسافر.

فهم في خوف من الإمتحان، ولكنّهم يسرون إليه على عجل، يأملون النجاة من المهالك، ولا يستريحون لحظة من المناجاة والتضرّع إليه.

أستغفر الله من كل شيء سواه، وأستغفر الله من كل شيء مستعار.

فإن قضيت لحظة من دون ذكره، فأبني مراراً من تلك اللحظة أستغفر الله.

واللسان الذي لا يذكر الله كثيراً، احذر من شرّه وأستغفر الله.

انتهى العمر وجاءت لحظة الغفلة، ولم انتبه لهذه الغفلة أستغفر الله.

انقضى ريعان الشباب ومرت الشيخوخة، ولم اعمل شيئاً مفيداً أستغفر الله.

ولم اسجد سجدة واحدة طيلة حياتي، تفيدني أستغفر الله.

وكل شيء عملته كان خاطئاً فيه، واهرب منه أستغفر الله.

واتوب من أعمالني السيئة مائة مرة، ومن أقوالي ألف مرة أستغفر الله.

أصبحت بعيداً عن ديار المحبّ يا فيض، واصبحت مهجوراً أستغفر الله.

يضحون بدمائهم من أجل مرضاة الله، ويفكرون دائماً في الآخرة، و يصفون

بأذن القلب، فإنك إن تراهم تقول إن بهم علة وأفواهم مكومة، داخلهم

مجروح من غم عشق المحبوب، وقلوبهم محزونة وأبدانهم نحيفة، وعيونهم

باكية، قد تخففوا من متاع الدنيا، لا يحتاجون إلى مرافقة أو مساعدة، قنعوا من

الدنيا بأقلها، ومن الثياب بأرديتها وأبسطها، يسكنون في بيوت خربة من دون أهل،

ويفرّون من منازل الدنيا، ويفضّلون العزلة على معاشرّة الناس الذين يكونون

السبب في البعد عن الله سبحانه وتعالى.

يفتلون الليل بخنجر القيام والعبادة، وباطنهم مجروح من شدة التهجد والعبادة، كأن على رؤوسهم الطير من السهر، يستغرقون في المناجاة والدعاء، في لهفة الى الانتقال من هذه الدنيا إلى عالم الآخرة.

من هو العارف؟

سئل عارف يقظ، وعاشق هائم:

من هو العارف وكيف حاله؟

فقال: العارف هو الرجل الذي يكون منهم ويعيش منزوياً عنهم، كل ساعة يكون أخشع، لأنه في كل ساعة يصبح قريباً من الله سبحانه وتعالى أكثر.

وكذلك العارف فحالته لا تكون مستقرة، لأنه في كل ساعة يُلهم من عالم الغيب وتتغير حاله حتى يصبح ذا حالات مختلفة وليس ذا حالة واحدة.

العارف متألف بجميع الآداب لأن المعرفة أدبته، والمعرفة على ثلاثة أقسام:

١- معرفة التوحيد وهذه المعرفة تختص بعامة المؤمنين.

٢- معرفة الحجج والبيان وهذه المعرفة تختص بالحكماء والعلماء.

٣- معرفة الصفات الوجدانية وهذا القسم مختص بأهل الولاية. اولئك هم الذين يملكون قلوباً نقية، يستطيعون بواسطتها مشاهدة الحق وما أخفى الله على العالمين من الأسرار.

فقد نُقل من ذلك العاشق الهائم، مناجاة تبين أنس هذه الطائفة مع المحبوب الحقيقي.

فقد روي انه: كلما كان يتهيء للصلاة، كان يبكي بشدة ويقول: إلهي بأي قدم أخطو إليك، وبأي وجه أتوجه إلى قبلك، وبأي لسان أناجي حضرتك؟

إلهي من لا شيء صنعت رأس مال واتيتم اطرق بابك.  
 الهني أنت تعلم وفضلك وكرمك ورحمتك، الهني إذا اصابني غداً حزن منك  
 فإلى أين ألبأ وأشكو؟  
 الهني لا تحببنا عنك بذل الغشاوة، وارفع غشاوة الغفلة عن بصيرتنا.  
 الهني إذا عفوتنا عنا بكرمك فأنت أملنا والهناء، وإن عاقبتنا مع كبر سننا فنحن  
 فقراؤك.

الهني حاجتنا هي لعفوك وأملنا في رحمتك.  
 الهني إذا قلت اجعلني مع المحسنين فإني كلما أنظر إلى نفسي، أراها مسيئة،  
 ولم تسلك الطريق المستقيم.

الهني بكرمك احفظني حتى لا اسلك طريق المعصية.  
 الهني جئت اطرق بابك، غير آيس من كرمك ورحمتك<sup>١</sup>.  
 الهني أنقذني من هوى النفس، وأنقذني من محيط البلاء.  
 حررني من نفسي ولو للحظه، ونجني من غم ما سواه.  
 استوحش قلبي من هذا العالم، وخلصني من ديار الفناء.  
 فالنفس الأمانة تقصدي، فأنجني من هذا الشبح.  
 ضيعت نفسي من أجل هوى النفس، خلصني من هوى النفس يا رب.

فكلام الناس قد آذاني وأحرقني، فنجني من نار بلا نور<sup>٢</sup>.  
 فأول مرتبة المعرفة هو ان الله يرزق العبد يقيناً مطمأن فيه جميع اعضائه،  
 وتوكلأ تسلم به جميع جوارحه في الدنيا، وحيرة يسلم بها من حيرة الآخرة، لان

١- «نامه دانشوران: ٦٧/٩».

٢- الفيض الكاشاني.

الاضطراب في الطلب هو من ضعف اليقين، فإن أصبح لديه يقين بأن الطلب لا يزيد ولا ينقص، فإنه يفرغ من اضطراب الجوارح كما قال المصطفى ﷺ:

«وَعَلِمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئِكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ» .

لا مفر من واديك أيها المحبوب، كيف أرجع عن واديك أيها الحبيب.  
يرمونني في دائرة زلف شعرك، فانخدع بعينيك الساحرتين أيها الحبيب.  
فمطرت زلف شعرك الأسود، ومفتاح عطره إلى روعي أيها الحبيب.  
عاملني كيف تشاء وكما تحب، فإني لا أتعدّب من طباعك أيها الحبيب.  
فغبار الدارين أعمى عيني، لا أرى شيئاً سوى وجهك أيها الحبيب.  
والعارف هو ذلك الإنسان الذي يبذل قصارى جهده في طاعة الله وعبادته و  
تأدية حقوق الله سبحانه وتعالى، وان يعرف الله حق معرفته وان يؤمن بأن إياب  
الخلق إليه سبحانه وتعالى، بمعنى أنه كلما كانت معرفة العبد بربه اعمق، كلما  
كان نشاطه أكثر في خدمته لله جل وعلا.

وينزل إليه من امر الله سبحانه وتعالى أو منته، يجب عليه ان يعلم أنه أمر الله  
وان يشكره سبحانه وتعالى، والرجوع إلى الله جل وعلا على معنيين:

- ١- ان يكون مبتلى ويصبر ويرجع إلى المولى عز وجل.
- ٢- ان يكون متنعماً وعليه أن يرجع إلى شكر المولى عز وجل.

مراحل عبادة العارفين:

ان الحقيقة الوحيدة التي هي محور الشؤون الباطنية والظاهرية للعارفين هو الله سبحانه وتعالى. ان الذين عرفوا الله حق معرفته لا يرضون أن يغفلوا ولو ثانية واحدة عنه، ولا يجروون على معصية الله سبحانه وتعالى في أقل شيء.

ان حقيقتهم، وشريعتهم وطريقتهم تتلخص فقط فقط في العبادة الخالصة لله جل وعلا.

إن أولئك يسعون فقط لكسب رضا الله سبحانه وتعالى في جميع شؤون حياتهم ولا يرون طريقاً غير طاعة وعبادة الله سبحانه وتعالى من أجل ذلك.

فأولئك بما لديهم من معرفة خاصة بالله سبحانه وتعالى، فقد وصلوا إلى هذه النتيجة بأن المؤثر الوحيد في العالم هو الله سبحانه وتعالى، ولا توجد حقيقة في هذه الدنيا غيره جل وعلا، لذا فإن عبادتهم تكون مشمرة.

الشهيد مطهري رضوان الله عليه يصف الحياة المثمرة على هذا النحو:

في الحقيقة، إن كل موجود يخطو خطوة نحو كماله المقدر له ويرقى مرحلة من مراحل الكمال له، فإنه يجتاز طريق القرب إلى الحق سبحانه وتعالى.

الإنسان أيضاً أحد موجودات هذا العالم، وليس الطريق الوحيد لكمال الحضارة كما تسمى اليوم، يعني تلك المجموعة من العلوم والفنون المفيدة في تطوير هذه الحياة، ولا ليست في مجموعة من الآداب والمراسم اللازمة لتطوير الحالة الاجتماعية للإنسان.

ولكن إذا نظرنا إلى الإنسان من هذه الناحية فالهدف هو ما ذكرنا، لكن الإنسان لديه بُعد وطريق ثانٍ ويتحقق عن طريق تهذيب النفس والتعرف على الهدف المنشود النهائي يعني ذات الحق القدسية الأحدية.

ياربّ أغدق علينا شهد العبادّة في أفواهنا، ولا تأخذنا من أنفسنا عند أداءنا العبادّة.  
 حينما تكبر ونقف في الصلاة، لا تدعنا ن فكر بأننا نملك مقاماً عالياً.  
 فسمّ بالله واطرد الشيطان عنك، وأم الكتاب شراب ظهور في أفواهنا.  
 وزد حالة السكر لنا عند الركوع لك، وفي حالة ذروة السجود لك أرفع مقامنا.  
 وفي القنوت لا تكلنا ذرة إلى أنفسنا، فنحن بألسنتنا نقول وأنت تسمع ذلك منا!

### من العبودية إلى الربوبية: ٢

تبدو عبارة من العبودية إلى الربوبية للوهلة الأولى غير مقبولة، ولكن هل  
 يمكن لعبدٍ ان يخرج من حدود العبودية إلى حدود الربوبية؟  
 «أَيْنَ التُّرَابُ وَرَبِّ الأَرْبَابِ».

كما قال العارف شبستري:

فموجود أسود الوجه لا يمكنه، ان يفترق عن الله.

هذا صحيح ولكن المقصود من الربوبية ليس الربانية، وكل صاحب قدرة  
 رب الأشياء التي ملكها.

إذ قال حضرة عبد المطلب لأبرهة الحبشي - الذي جاء لهدم الكعبة - «إِنِّي  
 رَبُّ الإِبِلِ وَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا».

ونحن نعلم بأن البشر يطلب القدرة، ويسعى دائماً ولحد الآن ويبدل قصارى  
 جهده لكي يجد طريق وسبيلاً للسيطرة على نفسه والعالم. وفعلاً لا نتطرق إلى

١- الفيض الكاشاني.

٢- «العبودية جوهرة كنهها الربوبية» مصباح الشريعة.

اي من الطرق للوصول إلى هذا الهدف وهل كانت ناجحة أم لا.  
ومن بين تلك الطرق هنالك طريق عجيب، ويستفيد الإنسان منه في وقت لا يملك مثل تلك الاهداف.  
يعني عندما يكون هدفه ليس كسب القدرة والسلطة، بل بالعكس فهدفه هو التذلل، والخضوع، والفناء في الله سبحانه وتعالى، وهذا الطريق العجيب، هو طريق العبودية.

مراحل الربوبية:

إن الكمال والقدرة التي ينالها الإنسان إثر عبوديته وإخلاصه وعبادته، يكون ذا مراحل ومنازل.

المرحلة الأولى: مجاهدة النفس والتحكم بها، وبعبارة أخرى إن أقل علامة لقبول عمل الإنسان عند الله سبحانه وتعالى، هو انه يكتسب عقيدة نافذة لينور بها طريقه:

﴿... إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا...﴾<sup>١</sup>

وكذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...﴾<sup>٢</sup>.  
وأخرى، ان هذا الإنسان يتغلب ويقهر نفسه واهواءه، وإرادته تصبح قوية في مقابل اهوائه النفسانية والحيوانية، ويكون الإنسان حاكم نفسه، ويكسب إدارة لائقة في دائرة وجود ذاته. يقول الله سبحانه وتعالى حول الصلاة:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾<sup>١</sup>

١- الأنفال ٢٩: ٨

٢- العنكبوت ٢٩: ٦٩

ويقول تعالى حول الصيام:

﴿ . . . كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾<sup>٢</sup>.

ويقول الله تعالى حول العبادتين:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾<sup>٣</sup>.

في هذه المرحلة من العبودية يكون من نصيب الإنسان هو القدرة على تسخير اهوائه وملذاته النفسانية، بعبارة أخرى أن أولى آثاره هي العبودية، والربوبية والولاية على النفس الأمانة بالسوء وعلى أثره يكتسب الإنسان الصفاء والهداية والتفاضل.

المرحلة الثانية: التحكم والولاية على افكاره المبعثرة، يعني التحكم بالقوة الخيالية، هذه القوة ليست تحت ارادتنا بل نحن تحت تصرفها، لذلك كلما أردنا ان نركز أذهاننا على موضوع معين دون سواه، فإنه لا يمكن ذلك، و بدون إرادتنا فإن مخيلتنا تبعث إلى جهات مختلفة. فمثلاً، كلما سعينا ان يكون لدينا حضور قلب في الصلاة، يعني كلما بذلنا قصارى جهدنا على أن نبقي القلب حاضراً في صلاة الجماعة، لا نستطيع. وفي نهاية الصلاة نلتفت فلا نجد القلب في الصلاة.

١- العنكبوت ٢٩: ٤٥.

٢- البقرة ٢: ١٨٣.

٣- البقرة ٢: ١٥٣.



فقد جاء في الحديث:

«لَقَلْبِ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ إِنْقِلَابًا مِنَ الْقَدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلِيًّا»<sup>١</sup>.

ولكن هل ان الإنسان حُكِمَ عليه أن يكون أسير التفكير جبراً واضطراباً، وأن هذه القوة العجيبة التي هي مثل العصفور تقفز من غصن إلى غصن تكون هي الحاكمة المطلقة، أم أن استسلام الإنسان في مقابل القوة التخيلية هي من عدم رشده وتجربته، وأن أهل الكمال واولياء الله قادرون على ان يسخروا هذه القوة؟ الشق الثاني هو الصحيح، فإحدى وظائف البشر هي السيطرة على اهواء قوة الخيال، وإلا فإن هذه القوة التي لها صفة شياطينية لن تسمح للإنسان بأن يسلك صراط القرب إلى الله تعالى.

ولأجل أن نتنصر عليها، فليس هنالك شيء مثل طاعة الله جل وعلا وعبادته والتي أساسها التوجه إلى الله سبحانه وتعالى، ولكن الذين يقومون بالرياضات النفسية يدخلون من الطرق الآخري، والإسلام يدخل عن طريق العبادة دون الاحتياج إلى الاستفادة من الطرق الخاطئة. فتوجه القلب إلى الله والتذكّر بأنه أمام ربّ الأرباب وخالق ومدبر الوجود، يهين أرضية تجميع وتركيز الذهن في الصلاة.

يقول ابن سينا في كتاب «الإشارات» في النمط التاسع، بعد توضيح وشرح عبادة عوام الناس والتي هي فقط من أجل الثواب، وليس لها قيمة كثيرة، يتطرق إلى الحديث حول العبادة المقرونة بالمعرفة فيقول:

العبودية من وجهة نظر العارف وأهل المعرفة، هي رياضة للهمم، وللforce

الخيالية. وإثر التكرار والتعود على حضور القلب في حضرة الله سبحانه وتعالى، يسعى دائماً إلى تغيير توجهاتها من المسائل المادية والطبيعية نحو المسائل الملكوتية. وبالنتيجة فإن هذه القوة تنقاد إلى سرّ الضمير والقطرة الإلهية للإنسان، ومطبعة له لدرجة أنه كلما أراد ان يشاهد الحق فإن هذه القوى لا تتحرك في خلاف الجهة، ولا يحصل تداخل بين القوى العلوية والسفلية، ودون أي مزاحمة فإن سر الباطن يتلقى الإشراق<sup>١</sup>.

المرحلة الثالثة: تصل الروح في مراحل قوتها، وقدرتها وربوبيتها وولايتها إلى درجة ومرحلة يكون فيها غير محتاج للبدن في كثير من الأحيان، في حال أن البدن يحتاج إلى الروح مائة بالمائة.

المرحلة الرابعة: ينقاد البدن من جميع الجهات إلى أوامر وإرادة الشخص، بحيث تحصل اعمال خارقة للعادة في دائرة جسده، وهذا المطلب ذو شجون ويحتاج توضيحه إلى تفصيل كثير، يقول الإمام الصادق (عليه السلام):  
«ما ضَعُفَ بَدَنٌ عَمَّا قَوِيَتْ عَلَيْهِ النِّيَّةُ»<sup>٢</sup>.

المرحلة الخامسة: هي أعلى وأسمى المراحل، وذلك إنه حتى الطبيعة الخارجية تصبح تحت نفوذ وإرادة الإنسان ومطبعة له. فمعجزات وكرامات الأنبياء والاولياء (عليهم السلام) من هذا الباب.

والمعجزة تحدث بان صاحبها لديه نوع من القدرة والإرادة حيث يستطيع بإذن الله سبحانه وتعالى، ان يتصرف في الكائنات، فالعصا تصير ثعباناً، والأعمى

١- الإشارات: النمط التاسع.

٢- من لا يحضره الفقيه: ٤/٤٠٠، حديث ٥٨٥٩؛ وسائل الشيعة: ٥٣/١، باب استحباب نية الخير. . .

بصيراً، ويستطيع أن يحيى الموتى، ويعلم الغيب، وتحصل هذه القدرة والمعرفة له فقط عن طريق السير على الصراط المستقيم والتقرب إلى خالق الكون، والولاية والتصرف في المخلوقات لا تعني غير هذا الشيء.

كل هذه المراحل هي نتيجة وثمرة القرب إلى الله سبحانه وتعالى وهذه حقيقة واقعية وليست تعبيراً مجازياً واعتبارياً.

العبادة تكون سبباً للتقرب، والتقرب سبباً لمحبة العبد عند الله جل وعلا، بمعنى ان الإنسان بالعبادة يصبح قريباً من الله سبحانه وتعالى وعلى إثر هذا القرب؛ تكون له القابلية على استقبال الفيوضات والعنايات الخاصة الإلهية، وعلى إثر تلك العنايات، تصبح جوارحه و أعضاؤه من أذنيه، وعينه، ولسانه ويديه الهية وحقانية، فبقدره الله يسمع ويرى ويقول أيضاً، وكذلك يدافع عن الحق، ويستجاب دعاؤه وتحقق طلباته.

وعلى اساس اعتقاد مذهب التشيع، فالوسيلة الوحيدة للوصول إلى المقامات الإنسانية، واجتياز طريق العبودية بصورة كاملة وتامة، لا تكون إلا بالعناية الروحية والقيادة للإنسان الكامل الذي هو حجة الله سبحانه وتعالى<sup>١</sup>.

«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْوَلَايَةِ وَلَمْ يُنَادِ بِشَيْءٍ كَمَا تُودَى بِالْوَلَايَةِ»<sup>٢</sup>.

نعم، فالإنسان مع العبادة الخالصة والإرشاد انسان كامل، فإن نفسه وقواه تصبح تحت نفوذ و ارادة الحق، وعليه يتحول الإنسان إلى موجود رباني وذو

١- «خلافت و ولايت: ٣٨١ چاپ اول».

٢- وسائل الشيعة: ٤/١.

كرامة.

وأرى من الضروري في هذا الفصل ان على القراء البحث قليلاً في الآيات والروايات والكتب الاخلاقية العرفانية، وتربية النفس، عسى ان تفتح علينا باب أخرى من المعرفة والاعتقاد.

### النفس ومراحلها السبعة:

تعتبر مسألة النفس في البحوث العرفانية من المباحث المحورية، لأن العرفان في جميع المسائل التي يطرحها يركز حول تركية وتصفية النفس. والذي لا يستطيع ان يروض نفسه الامارة بالسوء ولم يقيد غرائزه وشهواته بالضوابط الإلهية، ولم يتجاوز نفسه، ولم يتوجه بقلبه إلى القبلية الحقيقية، لا يستطيع ان يكون عارفاً، فتهذيب وتركية النفس من الأهداف الأساسية والرئيسية لأنبياء الله ﷺ.

ان جميع المصائب التي عانى منها البشر في حياتهم كان سببها ومنشأها هو هوى النفس، فلا نستطيع ان نتوقع الخير وفعله من صاحب النفس الشريرة وإذا ما صدر خير منه فإنه يحبط.

ان النفس المهذبة والزركية تتحلى في الآخرة بأربع خصال عظيمة وابدية.

١ - علم بلا جهل.

٢ - ثروة وغنى بلا فقر.

٣ - عزة بلا ذل.

٤ - حياة بلا موت.

فتزيين النفس بهذه الخصال الاربع الاخروية مستقى من مادة الفلاح التي ذكرها القرآن الكريم من اجل تزكية النفس، كما ذكرها الراغب الأصفهاني في (المفردات):

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾<sup>١</sup>.

ان من أهم الوظائف التي يجب أن نقول أنها من أولى مهمات الانسان ووظائفه هي مخالفة طلبات النفس الغير مشروعة لها، والتي عُبر عنها في الآثار الإسلامية بالجهد الاكبر.

فعشاق الله ومريده وسالكو طريق العشق، كانوا في رهبة حتى آخر لحظة من حياتهم من شر هذه النفس؛ لدرجة ان رسول الله ﷺ كان يقول في دعائه:

«نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا»<sup>٢</sup>.

فحقاً؛ هل نستطيع ان ندعي محبة الله سبحانه وتعالى في الوقت الذي تكون فيه أنفسنا ملوثة بالردائل وأسيرة لشتى أنواع المعاصي والذنوب؟! وهل نستطيع ان نطلق على أنفسنا عبّاداً مؤمنين بالله سبحانه وتعالى؟

إن العارفين العشاق احصوا لهذه النفس سبع منازل، يجب على من يريد أن يصل إلى المقصود والمنى ان يجتازها ويصل إلى المرحلة الأخيرة وهي:

١ - النفس الأتارة:

١- الشمس ٩١: ٧-٩.

٢- المبسوط: ٤/١٩٥.

في هذه المرحلة وكما أشار القرآن إليها في سورة يوسف الآية (٥٣) بالنفس الحيوانية التي تسيطر على حياة الإنسان بالكامل، فمع وجود هذه النفس الأمارة بالسوء فإن النفس الناطقة لا تستطيع ان تكشف عن وجهها الملكوتي لنا على الإطلاق، وهذا النوع من الناس لا يصدر منهم شيء سوى الآثار الحيوانية والبهيمية، فجميع اعمال وحركات وسكنات الإنسان في هذه المرحلة انما تدل على طبيعته الحيوانية ونفسه التي تأمره بالشر والسوء.

والإنسان الملوّث بالذنوب يبقى متورطاً بالنفس الامارة بالسوء، وتغذيتها بارتكاب المعاصي وهذا يؤدي إلى الخسران الأبدي، فالإنسان في هذه المرتبة السافلة لا يفرق كثيراً عن الحيوان، بل في بعض الأحيان يكون أضل سبيلاً منها. فهذه النفس الامارة الخطيرة، لديها النفوذ والسيطرة والغلبة - في هذه الأيام - على أكثر الناس الموجودين على الكرة الأرضية، بل حتى على تلك الأمم المتحضرة الغارقة في الشهوات والماديات.

فالإنسان السالك في هذه المرحلة يكون مشغولاً أكثر في التغلب على القوى الحيوانية والمادية للجسم، ويجب عليه ان يربيهما على اساس القواعد الإلهية.

## ٢ - النفس اللوامة:

في هذه المرحلة - التي تشير إليها الآية الثانية من سورة القيامة - تبدأ القوى العقلية بالنمو والبلوغ شيئاً فشيئاً ويستقيظ الإنسان من غفلته، فيميز بين الاعمال الحسنة والسيئة، ويظهر فيه شعور داخلي في القلب ينبهه ويخوفه من ارتكاب الاعمال السيئة، ولكن هذا الشعور الداخلي مازال ضعيفاً وليس له تأثير كبير، كل ما هنالك هو انه بعد ارتكاب أي عمل سيء، ينتاب الإنسان شعور بالندم.

ولكن أولئك الذين هم في مراقبة لأنفسهم ويعلمون السبب الحقيقي لاضطراب قلوبهم، ينتابهم شعور في ذمّ و لومها للنفس، وهذا النوع من التوبيخ واللوم لا يصدر عن النفس الحيوانية، بل هو صوت النفس الناطقة أو الروح الملكوتية التي تدعو الإنسان إلى كسب الفضائل.

فوصية اغلب علماء الدين الاتقياء واولياء الله سبحانه وتعالى والعارفين وأهل المعرفة والبصيرة لنا بالعزلة والاشتغال بالمناجاة والصلاة والصوم، والابتعاد عن الحياة اليومية لساعات، وذلك ليستيقظ الإنسان من الغفلة، ويتحرر من وساوس النفس الحيوانية، وينسى الدوافع الخارجية، ويسكت شهواته، ويظفيء نار حرصه، لفترة وجيزة ويتمكن من سماع ذلك النداء السماوي من داخله. والعارف في هذه المرحلة يجب ان يشتغل بترويض تلك الأحاسيس والقوى النفسية وجعلها مطيعة له.

### ٣ - النفس الناطقة أو المتفكرة:

في هذه المرحلة فإن قوة التفكير والتمييز في النفس تبدأ بالظهور والنمو بصورة جيدة ويشاهد فيها البلوغ المحسوس، وبالطبع فإن قدرة النفس في هذه المرحلة هي نتيجة وثمره الاجتهاد الذي بذله الإنسان في تربية وتهذيب نفسه، قال تعالى:

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>١</sup>.

وهذه المراحل الثلاث هي البداية للعارف لكي يتغلب ويتحكم في نفسه ووظيفته المراقبة والارشاد وربما في بعض الأحيان محاربة النفس، في هذه المراحل يجب على الإنسان ان يجعل صدره درعاً للصعوبات والمشاكل

والعذاب الذي يتحملة، وأن يصل إلى يقين بأن كل مشقة وألم سوف لن يبقى دون فائدة أو مكافأة.

ليس المقصود من هذا العذاب والاجتهاد هو قتل النفس، بل ترويضها ووضع قواها في مسارها الجديد الصحيح العلوي، بشكل تكون جميع الرغبات والاحساسات - بالإلهام من الوحي - خادمة للقلب الطاهر، والإرادة العقلية والنفس الناطقة.

#### ٤- النفس العاقلة أو الملهمة:

في هذه المرحلة تنمو وتنضج قوة التعقل تماماً وتتجلى وتظهر مع قوة الإرادة العقلية، وفي هذه المرحلة يتفرد العقل بالسيادة وتسري بالإرادة العقلية أيضاً أحكام وأوامر العقل في جميع شؤون الحياة.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾!

وهذه المرحلة انطلاقاً من الآيات السابقة يمكن تسميتها مرحلة النفس الملهمة؛ بلحاظ أن نفس السالك تستضيء لأول مرة بنور الإلهام الرباني.

هذه المرحلة الرابعة بما أنها برزخ بين المراحل الثلاث الأولى والمراحل الثلاثة اللاحقة، لذا فوفق قانون التكافل والبرزخية لها اشكال وصور وقوى طرفي الاعلى والاسفل.

و في هذه المرحلة ستستخدم القوى العقلية والحيوانية أقصى درجات قوتها ودفعها لكي تحافظ على موقعيتها ولذا يشهد قلب السالك وهو منشغل بتزكية النفس حركات عصيان وانقلابات و عواصف قوية جداً، بل ودموية، ولكن في



الختام تكون القوى الدنية والسفلية الحيوانية والرغبات الأنانية النفسانية مغلوبة للأنوار القاهرة العلوية المعنوية، وتصبح الجهالة والغفلة مغلوبة لنور المعرفة والفضيلة.

و عندما تظهر هذه الحقيقة في قلب العارف، ستنعم روحه بفيض الراحة الباطنية والاستراحة الوجدانية مما ينشأ عن الانتصار على النفس الحيوانية وستذوق لذة الغلبة على النفس.

يبتدئ الإنسان السالك في هذه المرحلة من التزكية تدريجياً بتذوق الثمرة الحلوة لأتعبه ومساغبه ومحروميته ورياضاته ومقاوماتها مما نحمله بصلابه وتوكل وإيمان.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾<sup>١</sup>

ومن هذا التاريخ يلج عملياً في المراحل الاعلى، فواقع كل تلك الحقائق التي هي في مقام وحالات مختلفة لتزكية النفس والتي سمع عنها، كالمكاشفة والإلهام والانجذاب والذوق والاشتياق؛ وهو الآن يوقن ويشعر بها عملياً، وتقوى يوماً بعد يوم قواه القلبية والايمانية ويقوى أيضاً اعتماده وتوكله على فيوضات وهداية حضرة الرب جلا وعلا.

٥ - النفس المطمئنة:

في المرحلة الرابعة، ومع تكامل قوة التعقل والإرادة العقلية، لاتخلو حياة الإنسان شخصية كانت ام اجتماعية لا تخلو أيضاً من الذنوب؛ لأن القوى النفسانية والحيوانية لم تقلع من جذورها بعد، وبعبارة أصح وأدق لم تبدل إلى

قوى روحانية وهي إلى الآن في مرحلة ما قبل النضوج. لذلك، فإنه في أغلب الاوقات، نرى أن تلك القوى الحيوانية تبرز برأسها وتظهر حياتها وقوتها، وهذه الحالة قد تتكرر مراراً في حياة السالك، وفي بعض الأوقات قد توقعه وتورطه في الوحشة والحيرة واليأس.

إن بصيري القلب قد مرّوا بهذه التجارب، وأخبرونا عن ظهور هذه الحالات. ففي هذه الحالة من الرجوع والنزوع، لا ينبغي ان نفقد رباطة القلب ونیأس ونضطرب، بل يجب ان نزيد من المراقبة وان نتقبل تلك الحوادث المرّة بكل وجودنا وبنفس عالية، وان نسعى لحلها؛ لأنها أحد شروط تزكية النفس والدخول في هذا السلوك.

والنفس في هذه المرحلة تأخذ صفة النفس المطمئنة، وتثبت وتصمد بشكل لا يخاف عليها من خطر الزلل و السقوط، وتكون مغلوبة لمكر النفس والهوى ووساوس الشيطان.

فسماء حياته قد أصبحت خالية من غيوم القوى المضادة، وتراها تتجلى بكل عظمة وجلال كالشمس تسطع باسعتها في قلب السماء الصافية، و تكون مرآة قلب العارف الغيبية قد طهرت كلياً من جميع صداد هوى النفس، وتصبح مظهراً رائعاً للروح السبحانية.

وفي هذا المقام تنتهي محاربة النفس وتصبح النفس الحيوانية طيبة مؤتمرة، ويتحرر العارف من أغلال الرغبات والاثارات والاعاصير النفسانية الشديدة وحتى البدن أيضاً يتبع الإرادة الإلهية ولا يستقل ذلك، بل يصبح قادراً متحملاً.

هذه المرحلة هي مقام العشق والوادي المهيب للرضا والتسليم، ففي هذه المرحلة سيتم امتحان النفس الإنسانية مرة أخرى، وبيوتقة المصائب الباطنية والروحية ستحمي بنار الشك والشبهة والتزلزل والخشية والأمل مما كانت قد تغلبت عليه كي تسجل كلياً صفاءها وخلوصها وتثبت ذلك.

إذن، هذه المرحلة مقام تغذية النفس وميدان التضحية، وعلى النفس الناطقة، والناطقة الإنسانية ان تثبت كفاءتها للطف ومحبة الروح الملكوتية وتأهلها للعناية والفيض اللاهوتي وأنها جاهزة للتغذية بكل شيء وحتى حياتها أيضاً وبل مشتاقه، فهذا المقام ليس ساحة التعاشقات المجازية بل ينبغي هنا اللعب التوجه نحو الحقيقة، وحتى التضحية بآلاف الأرواح لأجل اسم وعشق المحبوب وينبغي السعي منتشياً راقصاً نحو عمود المشنقة.

هنا حيث لا يبقى فرق بين مشيئة الخالق وإرادة عبده ويكون الإنسان واعياً عن معرفة حقيقية عاملاً حقيقياً بإرادة الحق بل معيناً على تفصيل خطة الخلقه وتكامل العالم.

هذه المرحلة هي مقام تغذية النفس والتسليم والرضا المحض من جانب، ومن جانب آخر أيضاً موقع تجلي أنوار الكشف والإلهام والوصول، وفي هذا المقام لم يعد ظل الانفصال وستار الضعف موجوداً، ذلك ان نور عشق المعرفة يستوعب كل حياة العارف الباطنية والظاهرية وهو يرى ولا يعرف شيئاً سوى ما في رضا الحق والاستسلام له واوامره وإرادته.

في مقام الوصل هذا وتحت شعلة العشق الإلهية المحرقة تحترق كل القوى الممانعة واطداد الطبيعة وتمتزج ببعضها وتتحول إلى قوة تبعث على الحياة.

## ٧ - النفس المرضية:

هذه المرتبة أسمى وآخر مقام لكمال النفس الإنسانية، فهذه المرتبة مقام لوصل وتودد النفس الناطقة بالروح الملكوتية.

ففي المرحلة السادسة كان الرضا والاستحسان من قبل العاشق، بيد أن العاشق لم يكن مطمئناً تماماً من رضا المعشوق، وإنما كان يستشعر أحياناً آثاراً لرضا المحبوب، ولكن في هذا المقام السابع تحصل النفس الناطقة على الاطمئنان القلبي، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى أيضاً يظهر له رضاه عن النفس الناسوتية ويثبت ويعلن له عشقه سبحانه له.

في هذا المقام تعلم النفس الناطقة باليقين العيني، بل وبحق اليقين تدرك أن علاقة العشق من الجانبين، أي ان المحبوب أيضاً مشدود إلى حبه بل هو أكثر شغفاً من هذا المجنون الناسوتي، كما ورد في الحديث القدسي ما مضمونه «يا ابن آدم أنا احبك وهذا خفي عليك، فأحبنى أنت أيضاً».

نعم، في هذا المقام يزال الستار عن السر الخفي بأن الخالق هائم بمخلوقه أمام عين العارف.

نقل عن عارف عاشق انه قال: طلبت الله ثلاثين عاماً، فلما نظرت، كان هو يطلبني وأنا المطلوب!!

كل ساعة، بل وكل لحظة، هو بحد ذاته أكبر حظ روحاني وفيض سماوي وسرور أبدي.

في هذا المقام حيث تسمع النفس الناسوتية نداء «أنت الحبيب وانت المحبوب» بل وتشارك في صفات المحبوب، بل وقد توحدت في هذا المقام ارادة وآمال

العاشقين، والعاشق والمعشوق كليهما أي النفس الناطقة والحق تعالى. طبعاً لاجل الوصول إلى المرحلة النهائية وهي المرتبة السابعة، ينبغي أن نتزود بأمرين:

أولاً: الإرادة. وثانياً: العمل، وهو العمل بالقواعد التي وصلتنا فقط عن طريق الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

في هذه المرحلة والسفر يكون اتباع أوامر غير الله والاختذ بالمسائل العرفانية التي هي من صنع البشر هو عين الضلالة، وليس فقط ان ذلك لا يوصل الإنسان إلى شيء، بل يضيع عمره ويلقيه بوادي التهلكة.

العرفان من لسان الإمام علي عليه السلام:

«سَأَلَ كُمَيْلُ بْنُ الزُّبَادِ النَّخَعِيَّ مَوْلَى الْعَارِفِينَ وَسَيِّدَ الْمُوحِّدِينَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: يَا عَلِيُّ مَا الْحَقِيقَةُ؟ قَالَ عليه السلام: مَالِكَ وَالْحَقِيقَةُ؟ قَالَ: أَوْلَسْتُ صَاحِبَ سِرِّكَ؟ قَالَ: بَلَى وَلَكِنْ يَرْتَشِعُ عَلَيْكَ مَا يَطْفَعُ مِنِّي، قَالَ: أَوْ مِثْلَكَ تُخَيِّبُ سَائِلًا؟ فَقَالَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: الْحَقِيقَةُ كَشَفُ سَبَّحَاتِ الْجَلَالِ مِنْ غَيْرِ إِشَارَةٍ، فَقَالَ: زِدْنِي بَيَانًا، فَقَالَ عليه السلام: مَخَوُ الْمُؤْهُومِ مَعَ صَحْوِ الْمَعْلُومِ، فَقَالَ: زِدْنِي بَيَانًا، فَقَالَ عليه السلام: هَتَكَ السِّتْرَ لِغَلْبَةِ السِّرِّ، فَقَالَ: زِدْنِي بَيَانًا، فَقَالَ عليه السلام: جَذَبُ الْأَحَدِيَّةِ لِصِفَةِ التَّوْحِيدِ، فَقَالَ: زِدْنِي بَيَانًا، فَقَالَ عليه السلام: نُورٌ يَشْرُقُ مِنْ صَحْحِ الْأَرْلِ فَيَلْوَحُ عَلَى هَيَاكِلِ التَّوْحِيدِ آثَارُهُ، فَقَالَ: زِدْنِي بَيَانًا، فَقَالَ عليه السلام: أَطْفِ

## السَّرَاجُ فَقَدْ طَلَعَ الصَّبْحُ.

نقل هذا الحديث الشريف عن كميل عن أمير المؤمنين (عليه السلام) .  
اغتنم كميل يوماً الفرصة، وسأل مولى العارفين ما الحقيقة؟

ما الحقيقة؟:

قال جماعة: المراد من الحقيقة مقام حقيقة الحقائق والهوية وسر السرّ وغيب الغيوب مما قد اشير إليه في سورة الاخلاص ﴿قُلْ هُوَ﴾، «هو» مقام الربوبية والهوية المستورة والغيب المطلق وهذا الاسم يعتبره العارفون الاسم الاعظم، كما نقل في الفصول المهمة للشيخ الحر العاملي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنني رأيت الخضر في الرؤيا في الليلة التي هي قبل ليلة بدر، فقلت له: علمني شيء أظفر به على الاعداء، قال: قل: «يا من هو يا من لا هو إلا هو»، فعرضت صباحاً رؤياي على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: عرفت الاسم الاعظم لذا فان أهل الله يقومون بتعليم ذلك للاذكار القلبية واللسانية لأهل السير والسلوك بوصفه الاسم الاعظم. اعتبر البعض الحقيقة مقام ظهور ذلك، أي مرتبة الإلوهية وما عبر عنه في سورة التوحيد بالله الاحد وفسر الحقيقة آخرون بالحقيقة المحمدية.

لعل مراد كميل من سؤاله هذا حقيقة كل شيء، حقيقة المبدأ والمعاد، والنبوة، والولاية، حقيقة حال المؤمن والكافر، حقيقة مقام الخلافة وأنه لماذا بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)؛ يصبح باب علمه جليس بيته ويستشهد أبنائه وتخفي الحقائق

١- «گلشن راز: ٢٠٢»؛ مجالس المؤمنین المرحوم القاضي - ١٠/٢؛ شرح الاسماء الحسنی ملا هادی

القرآنية وأسرار ولطائف العلوم السماوية على الناس.

ولعل المراد من الحقيقة، الحقيقة الولوية للغائب القائم وسر سر العالم، والآدمي وهو مظهر حقيقة وحقائق الشريعة والقدرة والعدالة.

ولعل مقصود كميل حقيقة حال النفس الناطقة في السير والسلوك إلى المقامات العالية لمعرفة الله وكان يريد في الحقيقة ان يقول: يا علي! حقيقة حال الإنسان في تزكية النفس وصفاء الباطن وما مقامه النهائي في السلوك إلى الله ومتى يتخلص من عالم المجاز والأغراض الجسمانية والالوهام الباطلة ويسقط عن عين باطنه الحجاب النوراني والظلماني ويصل من الدنيا والآخره وكل الغايات الوسطى المجازية، ليلبغ غاية الغايات ويتمكن من الوصول إلى مقام شهود الحق وذلك غاية آمال العارفين، وما هو سبيل بلوغ ذلك المقام؟

ولعل المراد سير الروح والنفس الكلية الإلهية وهو المعنى السابق، لكن من جهة وحيثية أخرى، أي من السير التجردية ونيل الفناء وهو بعد طي الاسفار الاربعة: ١- من الخلق إلى الحق. ٢- بالحق في الحق. ٣- من الحق إلى الحلق بالحق. ٤- بالحق في الخلق.

على كل حال لعل المراد من الحقيقة مفهومها مما يشمل هذه المعاني كلها، وينبغي معرفة ان ليس لحضرتة تعالى حجاب عنه وان الوجود كله من مقام (هو) أي هوية الذات المتفردة ما يعبر عنه بمقام غيب الغيوب، ومقام التجلي وهو مقام الإلوهية والذات المستجمعة لجميع الاسماء والصفات الكمالية ومقام التجليات الاسمائية مما لدى الحكيم، عالم الربوبية وعالم العناية والنظام الرباني ولدى العارف، عالم تجلي الفيض الاقدس وظهور الماهيات الامكانية العلمي في

الحضرة العلمية أو نشأة الاعيان الثابتة، والى مقامات التجليات فيض المقدس الالغالية وتلك حقائق الخلقة والظهور الخلقى العيني، أي جميع عوالم اللاهوت والجبروت والملكوت والناسوت والكرات اللامحدودة لهذا الفضاء اللامتناهي تتضح لذاته كلاً وجزءاً ولن يكون أي خفاء وغيبية في سماوات عوالم الارواح المجردة وارضى الاشباح المادية، لتلك الحقيقة المحيطة بالكل، لكن لتلك الذات المتفردة الوحيدة عن خلقها حجب كثيرة، بل وغير متناهية؛ اذ كل واحد من الوجودات غير المتناهية مما هو تجليات الحق وكل من الماهيات اللامتناهية التي هي مظهر تعينات الاسماء الالهية، ستكون حجاباً على وجه ذلك الوجود الصرف والحقيقة المطلقة والوجود المحض ولن تستطيع أي من المراتب الخلقية من مقام العقل الأول والحقيقة المحمدية حتى سائر القوى الادراكية النظر إلى ذلك لشهود كل الجمال، دون حجاب وغيره، فلن يقدر احد غيره مشاهدة ذلك الحسن الكلي منكشفاً دون ستار وفي كنهه وبشكل عام فإن تلك الحجب اللامتناهية على قسمين: نوراني وظلماني.

#### الحجاب النوراني والحجاب الظلماني:

حجاب الظلمة: هو التوجه إلى اللذات والشهوات الحيوانية والآمال والميول النفسانية والنظر إلى الماهيات الامكانية والتوجه إلى الذات والخلق من الجهة الخلقية، بينما الحجاب النوراني نوغان: احدهما سبحات وانوار الجلال مما اشير إليها في هذا الحديث وباقي أنوار الجمال.

لكن أنواع ذلك الجلال هو اشراقاتي وهو لفرط العظمة والنورانية واللانهائية، يبعد عنها العاشق بعتاب «لن تراني» ويدع المعشوق بقهر «يحذركم الله نفسه»،



فالعاشق في حمى الحيرات ومن تلك الاشواق، يرى العارف نفسه أبداً في بُعد وفراق ويعتبر مقام الوصال ممتعاً عليه.

وأنوار الجمال لتلك الاشراقات التي تؤمل العاشق بالوصال وتجعل العارف يترنم بـ «وصلك منى نفسي ولقاؤك قرّة عيني» ويدعو ببناء «فإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ»، ثم يدعو إلى مشاهدة جماله في مرآة الآفاق والأنفس قائلاً «لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»، ويجعل مرآة قلب العارف العاشق مظهرًا للجمال المتوحد.

والحاصل ان العارف يصاب إثر اشراق الجلال بحالة اليأس من الوصال وحال الدهشة والخوف والحيرة والبعد عن الحضرة، أي الجلال ويحصل باشراق الجمال مقام وصل وانس وقرب وشهود، ذاك الحسن الذي ليس له مثال آخر، ماسكاً يد العاشق مستقدياً اياه من بيداء الحيرة إلى محل خلوة الوصال، لكن مقتضى ذلك أن لكل جلال جمال؛ فلا يزال لكل هجر لطف لذلك المعشوق وسبحات الجلال تلك واشراق العظمة التي تطرد العاشق عن المعشوق وتقيمه على نار الفراق، في ذلك الاحراق أيضاً يأخذ لطفه بيد العاشق لسحبه إلى جنة اللقاء وفردوس الشهود، اذ العارف السالك انما يرى نفسه بمتهى البعد و الجوى عن المعشوق الحقيقي حين يكون قد حصل على كمال القرب، لذا ففي كل هجر لطف وفي كل جلال جمال ومع كل منع عطاء وان منعه، وتحذيره وردعه هو في حقيقته وباطنه عطاء ورأفة ودعوة من قبله.

ومقصود سلطان الحقيقة من ذلك هو لعله ان من يشاق إلى سر سر العالم

ويعشق شهود حقيقة حقائق الوجود، وإنما يتمكن من نيل هذا المراد حينما تدفع سبحات جلال وانوار واشراقات الجمال الإلهي، الستار عن قلبه، كي يلقي العاشق عن نفسه حجة الآنية ويرفع ستار الاغيار والالمانية والتظاهر وهو ما يستر عين النظر إلى الحقيقة، كي تتضح الحقيقة، نظر إلى وجه الشاهد المقصود بعين القلب غير المحجوب بالظلمة، لكن دون اشارة حسية أو عقلية، اذ ان تلك الذات التي لا محل لها بسيطة متفردة فوق لا تناهي الوجود ومنزهة عن الجسم والجسمانيات، فالاشارة الحسية الخاصة بالاجسام تستحيل بالنسبة إليه واذا لا ماهية له بل صرف الوجود، لذا تمتع بالنسبة له الاشارة العقلية المختصة بالمعاني والماهيات الكلية، وبما أن تعينه وتشخصه عن ذاته المقدسة وبينوته على الخلق بينونة وصفية لا عزلية، فلا تميز وتعين له وليس مقدوراً اطلاقاً الاشارة إلى ذات غيب الغيوب الروحية والمعنوية ايضاً في مقام روح السر الخفي وأخفى؛ اذ كل ما أشار إليه بالحس أو العقل أو الروح يكون متميزاً محدوداً وتحيطه في تلك الاشارة الحسية والعقلية، بيد أن الله محيط بكل شيء، إذن فحيث تنكشف للعارف السالك إلى الله الانوار والاشراقات الإلهية ونظر إلى الله سبحانه وتعالى من باطن؛ من مطاوي جلال وجمال حجب القهر واللطف بعين القلب، هذا الشهود هو عين الوصال وعين الفراق وهو مع انه عين المعرفة عجز عن المعرفة، اذ المشاهدة بنحو لا يمكن معها مع تحقق الشهود أي اشارة حسية وعقلية وروحية وغير ذلك وفي الحقيقة ان العارف يدرك بالشهود فناء في المدارك ويتجلى عن نفسه بالكلية ويوجد بالحق، كي يرى الرفيق بعين الرفيق و هنا طلب كميل من بحر العرفان وموج الفناء ذلك ان يوضح أكثر.

قال عليه السلام: الحقيقة محو الموهوم مع صحو المعلوم.

المحو يعني افناء الشيء أو اعدام اثار شيء، الموهوم في المصطلح يعني ما تدركه قوة الوهم ولعل المراد هنا مطلق ادراك القوى الباطنة من خيال ووهم وعقل.

والصحو بمعنى التنبه والخروج من السكر إلى الوعي، والمعلوم هنا بمعنى الواقع والمتحقق واليقين وثابت الهوية والحاصل الذات؛ ومقصوده ﷺ من هذه العبارة ان العارفين والعشاق الإلهيين الذين هم سلك ديار الحقيقة ومساقري اقليم القدس، عليهم اغلاق عين وهم النظر إلى الكثرة وان يفتحوا عين القلب الناظرة إلى الله؛ اذ ان طالب وصال المعشوق الحقيقي ومشتاق جمال الشاهد الازلي، انما يصل إلى شهود حسن الكل ذاك عندما يلقي ستار وهم العالم عن عين البصيرة ويحرق شهود معشوقه العالم والعالمين بنار العشق ويرى الجميع وهماً فانيين في الحق، كي يسفر المعلوم والمشهود وهو الحقيقة، عن وجهه، فيشاهد جمال الحق الآخذ بالقلب؛ بعد محو حجب الموهوم؛ اذ ما دام ستار الموهوم حجاب عين القلب، فبصر البصيرة محروم والسالك متوقف في محل الاوهام وهو حمى عتبه الحقيقة أو محضر سلطان العزة وينشغل بمشاهدة مظاهره ويفتن بشؤون تجلياته، لذا لا يتدى له الحسن الاعظم الأتم الإلهي الذي هو خارج عن حجب الجسم والروح وستار الصورة والمعنى، وان طالب اللقاء بدون محو الموهوم وبالانشغال بالنعمة، لن يوفق للقاء المنعم.

هنا حيث على الجميع ان يعلم، ان المقصود من بعثة رسل الحق ﷺ ومن بسط السياسات الإلهية، وحكمة وضع الاحكام وأنواع العبادات، تزكية وتصفية النفس وتهذيب الروح وإيجاد والأنس والحب للنوع الانساني، وايضاً ان المقصود

من رسالة الأنبياء باقامة آثار الروح المعنوية والصفاء والوفاء والحقيقة وكذلك ان مراد اولئك الاجلاء تعلم الاخلاق والاداب ونشر العلوم والمعارف الربانية، كما وان هذه البرامج لاستكمال الروح وان الهدف النهائي أيضاً الوصول إلى هذا المقام وهو ان يصبح خلق الله عارفين به اولاً، ثم وبالسير والسلوك العلمي والعملية ان يصلوا إلى مراتب معرفة الله العليا، إلى حيث محو الموهوم وهو عبارة عما سوى الله ويوفقوا إلى كشف شهود كل الجمال، الحق والحقيقة، تلك الحقيقة التي هي منتهى آمال العارفين.

ازداد مع ذلك عطش شوق «كميل» وطلب شرح المقصود، فقال عليه السلام: هتك الستر الغلبة السر، أي تمزيق الستار والقاؤه واظهار المخفي بالحجاب، الستر بمعنى الحجاب وكل ساتر، السر بمعنى الامر المخفي والمغطى وما هو يخفى على الافكار والادراك.

لعل مقصوده عليه السلام ان طالب مقام الحقيقة ووصل وشهود حضرة الاحدية، يزيع اولاً بغلبة العشق كل ستار واي مانع من امام نظر العقل الوهمي ويمزق حجب العقل النورانية فضلاً عن ظلمانية الوهم يمزق ذلك كله ولا يتوقف في أي مرحلة عن السير إلى الله ويتجاوز كل حجاب نور وظلمة خلقي ووصفي، كي يستغرق سير الاحدية روحه ويقهر ويغلب كل مشاعره وقواه الادراكية.

ويوفق عبر غلبة سر الحق على باطن العارف، إلى شهود الحقيقة، بينما العارف تتعطل في الفناء الشهودي جميع مداركه الحسية والعقلية بسبب مشاهدة نور تجلي وجه الله ويذهل عن نفسه ويرتفع عن وسوسة المشاعر الحسية يصاحب القلب وكل القوى الادراكية، الى حد الصعق<sup>١</sup> كي ينال اشراق انوار

الجمال والجلال الإلهي بدون جهة وإشارة وكيفية و هكذا هو حال غلبة سر الله على قلب العارف وعلى جميع قواه الإدراكية بعد ادراك الحقيقة وفي هذا الحال يكون الشاهد الحقيقي «فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا» يسفر عن وجهه، وحيث أن القهر والغلبة والاستيلاء الكامل هو للسر الإلهي على باطن وظاهر العارف، فيفنى على نفسه ويشاهد وجه الحقيقة عياناً بعين الحق تعالى.

إذن فما لم تغادر كل فكرة وصورة القلب بغلبة سر الله وتنعطل جميع المدارك والحواس البشرية وما لم يندك جبل إنية العارف بل و يحترق، لم يطلع السالك بعد على الحقيقة والحقيقة الصرفة تلك ولم يلج بعد إلى محل الوحدة ذلك.

ما دامت باقية بقايا الوجود، كيف يصفى من الكدر قدح الشهود.

ما دامت علاقة النفس والبدن قائمة، كيف يزبح البرقع عن وجهه مقصود الكل.

ما دام الغبار يغطي عين الروح، كيف يمكن النظر الى وجه الحبيب عياناً.

مرة أخرى كميل ظمآن ينشد الحقيقة يطلب من ذلك العظيم شرحاً، فيقول ﷺ: «جذب الاحدية لصفة التوحيد» الحقيقة: جذب عشق الاحدية قلب العارف نحو جانب اقليم التوحيد.

الجذب في اللغة يعني السحب و النقل من مكان إلى آخر والسير السريع

وغير ذلك.

وصفة التوحيد تعني تطهّر العارفين السالكين من أي شائبة شرك خفي وجلي؛ ومن أي التفاتة غير التوجه إلى الله، وفراغ القلب تماماً من كل ما عدا عشق وشهود الحق تعالى ومشاهدة ذلك الحسن المطلق.

إذن فمعنى الكلام المتألي لبحر العرفان اللامحدود؛ ذاك ان الحقيقة إنما سيدركها من قد اجتذبه عشق الاحدية إلى عالمه وجرده عن أي توجه إلى عالم كثرته وسحبه الوحداني الجهة شطر كعبة المقصود.

وفي العبارة إشارة إلى أنّ المحبة والعشق وجذبة مقام الاحدية باللفظ الخاص الازلي، ما لم تشمل أهل السلوك، فلن يتيسر بلوغ هذا المقام بمجرد السعي والجد والاجتهاد، بل ليس في المقدور في أي مرحلة بلوغ شيء بمجرد الجد والاجتهاد، دون لطف وعناية الحق تعالى.

إذن فقد اطلع ذلك العظيم كميل على السر الإلهي بأن الوصول إلى مقام الحقيقة وهو منتهى مقصد السالكين في طريق الله، انما يتيسر بجذب الاحدية العارف وما لم تدع جذبة المعشوق الخفية تلك، العاشق، فلن يضع العاشق قدماً في ب

جادة الوصال وعشق المعشوق اذ يجيز للعاشق اللقاء، ويحدث في المرحلة الثانية عشق العاشق، والعاشق ما لم يمر بمراتب العشق وما لم يطوي مقامات العاشق، فلن يبلغ اطلاقاً مقام الوصال ولن يسمح له ان يطرق مقر خلوة الشهود و الخلاصة ان حب الحق للخلق وجذبة عشقه التي هي اثر عشقة لذاته، المبدأ الأول لعشق العاشق، ثم العشق والشوق يتسبب في سيره وصعوده إلى حيث

الشهود.

مرة أخرى أراد كميل وقد أهاجه الشوق والحماس؛ وطلب منه ﷺ ايضاحاً أكثر، فقال ﷺ: نور بشرق من صبح الازل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره. أي أن تلك الحقيقة التي تسأل عنها، النور الإلهي الذي أشرق في صبح الازل على هياكل التوحيد، أي على الماهيات التي لا وجود لها، هي ووجودها آية وحدة الحق.

والمراد من صبح الازل، لعله عالم العناية الازلية وعالم الربوبية والنظام الرباني المقصود، إذن فالمراد من شروق نور الحق وشمس حقيقة الوجود واشراق المعشوق المطلق على هياكل التوحيد، ظهور آثار التجلي في مظاهره ومجالاته وبعبارة أخرى، المراد من تجلي نور الحق في الماهيات الامكانية، ظهور الاشياء، وجميع المراتب من ذاتٍ وذاتيات الماهيات والجواهر والاعراض؛ المجرد والمادي والبسيط والمركب والملك والملكوت من صبح ازل وجه الله و (أنا الله).

ولذلك الوجود التام فوق التمام؛ العالم بمنزلة المرأة؛ والانسان الذي انطوى في وجوده كل عالم الخلق بالوحدة والبساطة، مرآة أخرى في مقابل وجه الله الذي قال سبحانه في القرآن:

﴿سُنُّرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾<sup>١</sup>.

إذن فالعالم والإنسان نور ظهور الحقيقة العينية، وهو شاهد حضرة الربوبية بعين الشهود.

والمراد من هياكل التوحيد الحقائق العقلية والارواح الكلية والنفوس القدسية الذين هم وحدهم المطلعون على هذا المعنى بالعلم والشهود ولعل المراد من ذلك جميع الاشياء باعتبار الربوبية وتدلي الاشياء ارتباطاً بالحق تعالى، اذ:  
وفي كل شيء له آية، تدل على أنه واحد!

ومن الممكن ان المراد هم الافراد الذين من نفوس الأنبياء والاولياء القدسية، وهم مظهر وجهه الله، نعم، انهم هياكل التوحيد ومظهر الاثار ومظهر التوحيد وخليفة الله والرحمة للعالمين.

كلامه ﷺ قد بلغ هذا الموضوع، إذ طلب كميل - عاشق مظهر الرب - منه اشراقاً آخر، حيث سمع جواباً: «اطف السراج فقد طلع الصبح». اطفأ تماماً مصباح أنيتك والشهود، والتوجه والطلب والإرادة والاشتياق، وانفس كل ما عدا الله حينما تطلع عليك شمس المعرفة وصبح الحقيقة ويضيئ قلب العارف بنورها. نعم، عند ما يرى العارف ببصيرة الباطن، شمس وجود الحق والاشراق الإلهي الاعظم التام فوق التمام، وشاهد ذلك النور الساطع الباهي الانور الاشد اللامتاهي، بعين القلب، تختفي سائر الانوار الضعيفة، وجوده هو وجودات العالم الظلية الفقرية، يختفي كل ذلك عن نظره تماماً وفي مقابل تلك الشمس الاعظم الانور ينطفئ شمع وجوده المحدود المخلوق وأنيته.

النظر الذي رأى فيه هو بصفاء القلب، الله، فوالله، لن يرى بعد ذلك نفسه ولا غير.

افتح عين الحيرة لترى جمال الحبيب، اذ قد احرق برق الغيرة اجنبه



عقلنا ووعينا.

قلل البحث بمصباح العقل عن اللا اثرية، بشأن الشمس المشرقة اين

تكون السهى.

وجه الحبيب لن تراني تراه من الف ستار، إن ازحت أنت عن مرآة

القلب ما سواه.

نعم، إنظفاً كميل إلى الابد، حيث كان مؤهلاً لأن يطلع على الحقيقة وينال

المعشوق!

إلى هنا تم بحد الامكان ايضاح كلمة العارف - التي وردت في متن رواية

الإمام الصادق عليه السلام - والعرفان ومقامات سير وسلوك العارفين وقواعد السير

والسلوك إلى الله والآن نقوم بإيضاح أصل الرواية واول اجزائها هو الخوف وهو

من اصول حال العارفين، طالباً من الله تعالى المدد بهذا الخصوص اذ بغير مدده

لن يتحقق أي برنامج ايجابي.

ازمة الامور طراً بيده، والكلُّ مستمدة من مدده!

١- الحكمة الإلهية: ٦٩، بتلخيص وتصرف قليل في العبارات.

٢- ملا هادي السيزواري.

«نَجْوَى الْعَارِفِينَ تَدْوِرُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصُولٍ: الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَالْحُبُّ»

## الخوف:

يعتقد أهل السلوك وعشاق الله أنّ الخوف على ثلاثة أنواع:

١ - الخوف الطبيعي.

٢ - الخوف المذموم.

٣ - الخوف الممدوح.

## الخوف الطبيعي:

الخوف الطبيعي أيضاً وكسائر الحالات الواقعية الأخرى، من الخطوط الأصلية للنفس ويستفاد من هذه الحالة لحفظ النفس من حوادث كالمريض، وحوادث السير، والابتعاد عن منطقة الخطر، وكيفية مواجهة الحيوانات المفترسة، والزلازل، والرعد والبرق، والسيول والرياح العاتية.

إن لم توهب هذه الحالة النفسانية الرفيعة إلى الإنسان، ولم يخف الإنسان على نفسه من كل تلك الحوادث والوقائع، لم يكن بصدد حفظ نفسه وعندئذ لم يكن ليأمن من أي حادثة وكانت حياة الإنسان على الكرة الأرضية في معرض القضاء.

الإنسان الذي يخشى من وقوع المرض، أو لدى الإصابة بالمرض، يخشى

هلاكه، فيتوقى وقوع المرض، أو ينهض عند الألم والتوجع للعلاج، وهذا الخوف يكون سبباً لمراعاة الإنسان مبادئ الصحة في كل المجالات.

الذي يتنبأ بوقوع الزلزلة، والعاصفة والسيول أو هجوم الحيوانات عليه وعلى أسرته و تهدد حياته سوف تعينه حالة خوفه منها، كي ينهض لصد ومكافحة الخطر المحتمل من أي نوع. ولا ينبغي معاتبة أي انسان لاجل هذا الخوف؛ إذ إن هذا الخوف هو احد افضل ادوات مكافحة الحوادث.

### الخوف المذموم:

الخوف المذموم خوف لا علاقة له بالمسائل ذات المخاطر وكما لا ربط له بالمسائل الإلهية العليا مثل الخوف من عذاب اليوم الاخر، أو الخوف من مقام وهيبة الحق تعالى، بل سبب ذلك التصورات الباطلة والوهم والخيالات الذاتية بشأن بعض الأمور، مما ينشأ عن التخيلات والالوهام التي وبأدنى تأمل يدرك الإنسان ان خوفه مما لا طائل تحته وهو حالة غير منطقية.

معلم الاخلاق الكبير، المرحوم المولى مهدي النراقي، شرح حالة الخوف المذموم بشكل مفصل، وتقرؤون أدناه خلاصة ذلك:

١- الخوف مما هو أمر وقوعه حتمي، ولا يتمكن الإنسان اطلاقاً منع ذلك، مثل الأجل الطبيعي وهو محتم بالنسبة إلى الإنسان وأبيه وامه وذويه وباقي البشر، واولاده ورفاقه واصدقائه، فالإنسان الخائف من الآن؛ أي نفع يعود عليه هذا الخوف، أو أي ضرر يبعده ذلك عنه.

كيف يمكن لهذا الخوف ان يعينه بعد حادثة حتمية الوقوع، لا ثمرة للإنسان من هكذا خوف سوى الأسى والمشقة للبدن وعذاب الروح والاضطراب في

الفكر والتعقل. وينبغي القول: لا سبب منطقي لهذا الخوف في وجود الإنسان سوى الغفلة والجهل.

٢- الخوف مما هو أمر وقوعه وعدم وقوعه متكافئ الطرفين، كأن يفرس نبتة ويتخوف من أنها هل تثمر ام لا؟

حقاً، فأى معنى للخوف في هذا الخصوص وأمثاله؟ في هذه المرحلة؛ الإنسان موظف أن يزرع النواة ويلتزم إلى جانب ذلك قواعد الزراعة، إن أثمرت فمن عنايته تعالى وفضله، وان بقيت دون ثمر، فينبغي البحث عن سبب ذلك، وابعاد ما من شأنه منع نمو الغرس، إضافة لذلك ينبغي معرفة ان كائنات هذا العالم المادي، معرضة للحوادث وقد تتوجه الحادثة احياناً إلى زراعة الإنسان ومحاصيله وهذه الحادثة هي باب من أبواب الابتلاء من قبل الحق تعالى لتنمية العباد، هنا بدل الخوف ينبغي السرور بانتخاب الله جل وعلا الإنسان للاختيار. وحياناً أيضاً تكون الحادثة غرامة لما صدر عن الإنسان من ذنوب، فإن العاقل هو الذي يعتبر بالحادثة ويجعل نفسه في ساحة التمامي والكمال وتدارك النواقص. فالخوف في هكذا أمور إذن، عمل عبثي ولا يتوجه ضرره إلا إلى اعصاب الإنسان ذاته.

٣- الخوف - دون برهان ودليل منطقي - ثمة اشياء كانت منذ القدم، أصبحت أرضية تثير الخوف والرهبنة؛ كالخوف من جنازة الميت، أو الجن، أو من البقاء وحيداً في البيت ليلاً. وسبب هذا الخوف هزيمة العقل امام قوة الوهم، وسبيل علاج هذا الخوف هو التمرين والرياضة.

٤- الخوف من حلول الموت ولها أسبابها، فبمعرفة تلك الاسباب وعلاجها، ينجو الإنسان من مسألة الوحشة من الموت ويحصل له الشوق تجاه سفر الاخرة.

## اسباب الخوف من الموت:

اما اسباب الخوف من الموت فهي:

أولاً: الوحشة من ان الموت ينهي كل شيء و يفضي الى العدم؛ طبعاً هذه الوحشة تخص الماديين الذين هم عبدة الدنيا، الغارقين في لذات البطن والشهوة، اولئك المتمسكين بهذه الدنيا الفانية بكل وجودهم، ولا يعرفون شيئاً غير ذلك؛ ولا يحبون سوى ذلك؛ وكل طلباتهم هو لهذا اليوم. هؤلاء في وحشة شديدة من الموت، اذ ان الموت في خيالهم الفاسد، هو سقوط في بئر العدم. ويخيل إليهم ان الموت ختام كل العلائق وسبب انفصام كل الصلات وتبعثر خطوط الانس!!

لكن علاج هذا الخوف ومداواة هذه الخشية ليس امراً صعباً على اولئك، عليهم ان يتفكروا قليلاً في ثقافة الأنبياء وحياة الاولياء ﷺ، كي يتضح لهم من مجموع هذه الحقائق انه ومن دون شك أن بعد هذا العالم، هنالك عالم آخر يقال له عالم الآخرة وان خط العدل الذي امتد إلى كل اجزاء الخلق، يقتضي حتمية وقوع ذلك العالم و وجوده ولولا ذلك لم يكن ليصر الله العظيم في القرآن الكريم ومائة وأربعة وعشرون الف نبي صادق القول واثنان عشر اماماً على وجود عالم الآخرة، فعلى هؤلاء ان يتفكروا ان المعاد وامور ما بعد الموت، هي احد أهم اسس الدين وأنه من تجليات العدل الإلهي في ميدان الخلق.

والاعتقاد بعالم الآخرة من أكثر العوامل المؤثرة في اصلاح الاخلاق والعمل، ولا يتصور ان المؤمن بعالم الآخرة الذي يستفيد من ايمانه في سبيل تهذيب وتزكية النفس، ان يكون خائفاً من الموت ومستوحشاً من حلوله.

إذن فالخوف من الموت على أنه فصل الختام و نهاية كل شيء، لا سبب له سوى الجهل بالحقائق، وهو خوف مذموم غاية الدم ومستقبح قد رفضته آيات الكتاب والسنة.

ثانياً: الخوف من أن مع الخروج عن هذا العالم يصاب بألم ووجع لا مثيل له في الدنيا، هذا الخوف أيضاً عبثي وفي غير محله؛ إذ لا يصح الخوف اليوم لتوجع غد، بما أن الألم من عوارض الجسم، فسواء خاف الإنسان أو لم يخف فالبدن عرضة للألم والوجع، سواء كان السبب الممرض أو كان السبب في التوجع من خروج الروح من البدن، إضافة لهذا، على الإنسان أن يتحلى بحقائق الإيمان والعمل الصالح، فافضل ساعاته هي حين خروج روحه عن هذا العالم؛ ودخول العالم الآخر، فهل تبقي لذة مواجهة أَلطاف الحبيب وشوق لقاء حضرة المعشوق مجالاً لاستشعار الألم؟

فإنسان المؤمن يُخاطَبُ لدى الموت بخطاب:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً  
مَّرْضِيَةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَاَدْخُلِي جَنَّتِي﴾!

فهل يبقى له مع ذلك ألم وتألم؟

هذا الألم هو عين اللذة والسرور، لا تخف في هذا الخصوص إطلاقاً؛ إذ إن عاشق الحق تعالى لا يفكر بغير الحق، وتحمل ذلك القدر من الألم حين التخليق نحو الحبيب سهل جداً، ولا داعي لخوف المؤمن من هكذا آلام.

لا تتنوا من الالم فرجال درب الحبيب، يعاشون الالم ولا يطلبون الدواء<sup>١</sup>.  
ثالثاً: الوحشة من ان الموت يكون سبباً لنقصان و بطلان خط الحركة نحو  
الكمال.

فهكذا خوف ينشأ أيضاً من الجهل بحقيقة الموت والواقع الوجودي للإنسان،  
الذي تحلى بمعرفة حقيقة الموت ومعرفة واقع الإنسان، فهو يعلم أن الموت  
متمم الإنسان ومكمل لآثاره الايجابية، لدرجة ان جماعة من عشاق الحبيب قد  
أخذوا الموت في الحد المنطقي للانسان وقالوا:

«الإنسان حي ناطق مائت»<sup>٢</sup>، وحد الشيء هو من علل كماله لا النقص  
والسفالة، ألم نقرأ في زيارة سيد الاحرار والشهداء:

«أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ وَأَتَيْتَ الزَّكَاةَ وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَطَعْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ»<sup>٣</sup>.

ألم تسمع نداء عشق امام العارفين من محراب العبادة، حين حلول الموت اذ  
يقول بكل اشتياق «فزت ورب الكعبة»<sup>٤</sup>.

ألا تعلم ان علياً الاكبر قال حينما سمع خبر استشهاده من أبيه الرؤوف: «لا  
نبالي بالموت»<sup>٥</sup>.

١- «وحدت».

٢- جامع السعادات: ١٩٧/١.

٣- بحار الأنوار: ٣٥٩/٩٨، باب ٣١؛ مفاتيح الجنان: ٨٠٥؛ مصباح الكفعمي: ٥٠١.

٤- بحار الأنوار: ٢/٤١، باب ٩٩، حديث ٤؛ اعلام الوری: ٨٦، باب ٤.

٥- بحار الأنوار: ٣٦٧/٤٤، باب ٣٧؛ اللهوف: ٧٠.

الم يكن الأنبياء والأئمة عليهم السلام مشتاقين جداً للوصول إلى لقاء الله؟ الم تسمع قولهم أن كل من مات قد انتهى ألمه و وصل الى مقصوده؟  
فسالك طريق الحبيب لا يرى الموت سبب نقصان، بل يعتبره سبب كمال  
ويعشق نيله.

فإن حلول الموت للأطهار والطيبين، والصلحاء والعشاق هو كالخروج من  
دار الظلمة والانفصال عن الشرور، والدخول إلى عالم النور والاتصال بحصيلة  
الخيرات والمحاسن.

فوقت الموت يكون الوجود مع الارواح الطيبة ومتصلاً بالعقول القدسية  
والنفوس الطاهرة.

أي عاقل يتاجر بتلك الحياة الرفيعة مقابل دنيا؛ أيامها معدودة، أي حكيم  
يستبدل هذه الأيام المعدودة التي ملؤها الألم والاسى ومزاجها الضرر والمشقة؛  
المليئة النقصان والعيب، بحياة الخلد والكمال الانساني تلك؟!!

أي مأس ينبغي تجرعها في محل الظلام هذا، لأجل المحافظة على نور لطف  
الحق في كل أمور الحياة، أي آلام يجب تحملها كي لا تجتاح ضربة المخاطر  
شخصية الإنسان، أي مراقبات تنبغي، كي لا يسقط الإنسان من خط العبودية لله  
إلى ميدان عبودية الشيطان؟ كل هذه البليات تنتهي بحلول الموت ومع نهاية هذا  
السير والسلوك مع كل ما كان فيه من صعوبة وعسر، يصل الإنسان إلى الله وفي  
الحقيقة ينبغي القول: ان الموت نقطة الوصل وانقضاء مدة الفراق.

أجل، يا عزيزي! انهض من نوم الغفلة واخرج عن سكر الطبيعة وبادر إلى  
تقوية اشتياقك إلى الواقع وما يتضمنه من تأصيل ذاتك، كي تغدو عاشق العالم  
الحقيقي والمقر الاصلي.



اخرج عن هذا الجلد الحيواني الذي لا قيمة له واغسل النفس التي ملؤها القبح من غبار الكدر المادي، وطهر نفسك الإلهية من قذارات التراب والغرور الدنيوي.

اكسر قفص تراب هذا البدن، وتحرك نحو عالم الرحمة بجناح الهمة، تحرر من سفالة الجهل، وسافر إلى علو العزة والمعرفة. اخرج عن ضيق السجن الناسوتي واخطو في فضاء القدس اللامتناهي، آه! ماذا حصل لك، فنسيت عهدك وكسرت وعدك مع حضرة الرب، ورضيت بمعاشرة ما لا بقاء ولا دوام له؟! رافق خضر العلم يا موسى القلب، لعلك ان تطوي من هذه الصحراء المنازل. في بئر البدن حتى متى، اخرج أنت يا يوسف الروح، لمصر التجرد وسلطان العدل.

يا حبيبي ينبغي الرحيل عن مدينة البدن، اطلب زاداً ما دمت ذا فرصة في المنزل.

ليس زاد هذا الطريق سوى الطاعة والخدمة، اجتهد لاجل الدين والعلم ولا تقعد ابداً غافلاً.

اللذات الجسمانية الفانية الحبات التي تقدم لك، القدرة والمال والجاه مصيدة يا أيها الطائر العاقل.

عدا ذكر الله فكل ذكر من الشيطان، عدا عشق الحق كل ربح وامل هو باطل. بعشق ذاك الذي بلا شريك، أي الهي، ابغ همة انقطع عن كلا العالمين!

رابعاً: الخشية بعد موته من ضياع اولاده وعياله وان يتلوا بورطة ومشقة.  
هكذا خوف هو وبلا شك من الوسوس الشيطانية ومن امواج الهوس النفسانية.  
حقاً؛ هل اننا مصدر عزة وكمال غيرنا واننا سبب عظمة وشخصية الآخرين؟  
هل ان الإنسان علة تامة في ايجاد قدرة وقدوة ومروءة ومكنة وعزة وذلة  
الآخرين؟

منشأ هذا الخوف هو الجهل بالقضاء والقدر الإلهي والجهل بلطف وعناية  
ورحمة الله على العباد.

ان الله تعالى فيما يتعلق بكل شؤون الكائنات وخاصة الإنسان، إله كريم  
اقتضى فيضه الاقدس ولطفه المقدس ايصال أي ذرة من ذرات العالم إلى كماله  
اللائق؛ وان يوصلها إلى الهدف الذي خلقت من اجله، وفي هذا الخصوص فقد  
غمر كل كائنات العالم وخاصة بني آدم بالقوانين اللازمة سواء في التكوين أو  
التشريع، وهو تعالى يعين كلاً حسب اتصاله بتلك القوانين للوصول إلى كماله  
المطلوب، ولا يقدر احد على تغيير وتبديل السنن الإلهية الحتمية.

فكم من الناس تحملوا، لاجل تربية اولادهم اسي كثيراً، لكنهم بسوء  
اختيارهم لم يستقبلوا السعادة، ما أكثر الاغنياء الذين لأجل راحة اهليهم وعيالهم  
خلفوا بعدهم ثروة بلا حدود، بيد ان الثروة تلك تبددت في فترة قصيرة بأيدي  
الورثة وأدت بالجميع إلى الاستجداء في الطريق!؟

ما أكثر الأبناء الذين حرّموا من الاستغلال بلطف الوالدين ولم يخلفوا لهم  
اقل مال، مع ذلك ومن أجل حسن الاختيار واستعمال العقل والاتصال بالمقررات  
الإلهية النقية، بلغوا من خلال التربية افضل مدارج الآدمية واكتسبوا بظل سعيهم  
وجهدهم ثروة تاجروا بها مع الله الرؤوف.

ما أكثر اليتامى الذين لا يقاس برقيهم المادي والمعنوي، اطفال ترعرعوا في حضن محبة آبائهم وامهاتهم وبحوزتهم ثروة كبيرة.

تاريخ البشرية يبين حقيقة وهي أن انتقال المال والقدرة إلى الابناء من أجل التأكد من أن أهل الإنسان وعياله سيقون بعده مرتاحين، هو مجرد عبث والأفضل ان يوكل الإنسان أولاده وعياله إلى رب الأرباب مع توفير الأرضية ويوكل تربيتهم إلى الله، اذ ان الله الرؤوف هو أفضل وكيل وأعظم حافظ. فكم من الثروات تركها الآباء وأدت إلى اسوداد حياة الأبناء، وكم من القدرات انتقلت إلى الجيل اللاحق وتسببت في ذلته!!

### حكم من نهج البلاغة:

يلزما في خاتمة هذا القسم ان نشير إلى جزء من حكم مولى العارفين الإمام علي عليه السلام التي جاءت في هذا المجال، حتى نعالج هذا الخوف المذموم ويتخلص الإنسان من قيوده.

حكمة ٣٤٤:

قَالَ عليه السلام لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: «لَا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغْلِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ فَإِنَّ يَكُنْ أَهْلُكَ وَوَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَوْلِيَاءَهُ وَإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ فَمَا هُمْكَ وَشُغْلُكَ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ؟!».

هذا الجهد والعمل على أي قياس ومعيار؟ أليس مساعدة أعداء الله يؤدي إلى معاقبة الإنسان بأشد العذاب.

حكمة ٤٠٨:

وَقَالَ لِابْنِهِ الْحَسَنِ عليه السلام: «لَا تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ

تَخَلَّفَهُ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا  
شَقِيَتْ بِهِ وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعَتْ  
لَهُ فَكُنْتَ عَوْنًا لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ هَذَيْنِ حَقِيقًا أَنْ  
تُؤَثِّرَهُ عَلَى نَفْسِكَ».

وما أجمل ان تترك الوارث لله سبحانه وتعالى، ويستثمر الإنسان من ماله الذي  
كسبه لبناء آخرته.

حكمة ٤٢١:

قال ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ  
مَالًا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَ  
فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ وَدَخَلَ الْأَوَّلُ بِهِ النَّارَ».

فمن العجيب حقاً، انه عندما يورث الإنسان مالاً - كان قد كُسب بطريقة  
شرعية - من شخص، يكون ذلك الشخص المورث مسائلاً عنه يوم القيامة. واما  
عندما يرث الإنسان مالاً حراماً من شخص، ويظهره وفق المعايير الإلهية، وينفقه  
في سبيل الله، فيدخل الوارث به الجنة ويدخل الموروث به النار.

لذا فإن الخوف على الاهل والولد بعد الممات يعتبر خوف لا معنى له، و لا  
يجب ان يُعالج هذا الخوف عن طريق انتقال الارث والقدرة للزوجة والأولاد.  
وأساساً على الإنسان ان لا يفتح الباب على نفسه لمثل هذه المخاوف، انما  
يجب على الإنسان ان يخاف بعد موته من أن يخرج أهله واولاده عن دائرة  
عبادة الحق ويحرموا من التربية الإلهية.

و على كل، ان هذه المخاوف وغيرها مما يشبهها مذموم على لسان أهل

العرفان، ويرجع جذورها إلى جهل الواقعيات والبعد عن الحقائق.

الخوف الممدوح:

الخوف الممدوح، هو خوف مثل الحالات السامية الروحية التي تعتبر من ضروريات الإنسان.

بدون هذا الخوف لا يوجد طريق للرقي والسمو، وبدونه أيضا لا يوجد مكان لقرب الإنسان من الله سبحانه وتعالى.

ان هذا الخوف يعتبر من الأوصاف السامية للموقنين ومن الآثار البارزة للمتقين ومن علائم اتصال المحيين بالله سبحانه وتعالى.

فعشاق الله سبحانه وتعالى ما كانوا منفصلين عن هذا الخوف أبداً ولم يعيشوا بدونه.

قال خاتم الأنبياء ﷺ: «أَنَا أَخَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ!».

فما أكثر المسائل المهمة المنقولة حول خوف الأنبياء في القرآن الكريم والكتب الإسلامية وما أكثر البرامج المهمة التي جاءتنا في هذا المجال من أولياء الله وأئمة الهدى ﷺ والعارفين.

ألم تسمعوا بان رأس دائرة العارفين وروح العشاق، الإمام علي ﷺ كان يغمى عليه عدة مرات في الليلة، من خوف الله و من خشيته ومن اوضاع العالم للذين خرجوا من ﷻ.

يقول سالك و هذا الطريق:

إنّ اقل درجة للخوف هو تجليه في الاعمال والأطوار، هنالك عندما يتجنب

المرء ارتكاب كل ذنب، يتبين أنه من الخوف المفيد، والجدير بالذكر أن اجتناب الذنوب هذا يسمى الورع في الثقافة الإلهية، أما إذا اجتنب الإنسان الشبهات فإنه امتلك التقوى، وعندما لا ينظر إلا إلى الله ولا يتنفس إلا بذكر الله، فإنه امتلك الصدق، ودخل في زمرة الصديقين.

الخوف هو بمثابة الجناحين يستطيع بواسطتها عباد الله ان يحلقوا به إلى أي مقام لائق، وبها يجتازون أهوال يوم القيامة.

كيف للإنسان ان يأمن من عذاب القيامة غداً وهو غارق في الشهوات وغارق في كل اللذات المحرمة ولا يملك خوفاً يحفظه من السقوط في مستنقع الذنوب؟

نقرأ في حديث هام عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه يقول:

« لا يَكُونُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا حَتَّى يَكُونَ خَائِفًا رَاجِيًا، وَلَا يَكُونُ خَائِفًا رَاجِيًا حَتَّى يَكُونَ عَامِلًا لِمَا يَخَافُ وَيَرْجُو ».

حقاً الإنسان الذي يملك الخوف يتعد عن الذنب، ولديه الأمل في الاستفادة من الدنيا والآخرة بإطاعة اوامر الله سبحانه وتعالى.

وقد نقلت جملة من بعض الحكماء حول هذا الموضوع وهي:

« من خَافَ شَيْئًا هَرَبَ مِنْهُ وَمَنْ خَافَ اللَّهَ هَرَبَ إِلَيْهِ ».

نعم، فالإنسان الذي يخاف الذنب وعواقبه يهرب منه، والذي يخاف الله يلجأ إليه لكي يبدل خوفه أمناً.

فالخوف الممدوح هو الخوف الذي يجلب الامن والاستقرار للباطن،

واستقرار الفكر والروح؛ في الدنيا والآخرة، كما ورد في القرآن المجيد: ﴿... وَلَيَبْدَلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...﴾.

وعلة الأمان في الدنيا والآخرة هو الإيمان والعمل الصالح والخشية من الله، والخوف من ارتكاب الذنب، وعذاب الغد.

فأصحاب هذا الخوف قد ورد مدحهم في القرآن المجيد والروايات الشريفة والأخبار وقد ورد ذكرهم في عباده الصالحين.

إذا لم يكن هذا الخوف في أحد، فإنه يعتبر ناقصاً وبناءً على قول نبي الإسلام العظيم ﷺ: الناقص ملعون.

إذا لم يكن هذا الخوف، يعني الخوف من عظمة الله وصغر الإنسان، الخوف من مقام الله، الخوف من الذنب، الخوف من سوء العاقبة غير موجود بسبب انعدام التربية الصحيحة للإنسان، فما هي العلة لرشد وتكامل الإنسان وحفظه وصونه من الأخطار الداخلية والخارجية؟

إذا لم يكن هذا الخوف، فكيف للإنسان ان يكون عبداً لله، وما الذي يجعله يجتنب الذنب، وينقذ نفسه من عذاب الآخرة؟

فبدون هذا الخوف، كيف يتأتى للإنسان ان يكون انساناً، وكيف له ان يحارب أعداء الشرف والفضيلة؟

الحكمة في القرآن:

القرآن المجيد في آيات مختلفة قد عبّر عن الحكمة - وهي مجموعة من الحقائق الملهمة والعقائد الحقيقية والاعمال الحسنة والنور الإلهي والحالات

العرفانية الباطنية - بأعظم النعم وفضل الإحسان وقد مدح القرآن أصل الحكمة والمتحلين بها.

فيقول سبحانه وتعالى في سورة البقرة:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...﴾<sup>١</sup>.

وفي سورة لقمان، مدح الباري سبحانه وتعالى لقمان الحكيم<sup>٢</sup> بالحكمة، حيث قال:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ...﴾<sup>٣</sup>.

ويقول سبحانه وتعالى في سورة البقرة:

﴿... وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ...﴾<sup>٤</sup>.

وقد مدح الله سبحانه وتعالى آل ابراهيم في سورة النساء بتحليلهم بالحكمة، حيث قال سبحانه وتعالى:

﴿... فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾<sup>٥</sup>.

﴿... وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ...﴾<sup>٦</sup>.

١- البقرة: ٢: ٢٦٩.

٢- هذا الفقير، قد ألف كتاباً في ٤٥٠ صفحة، والذي طبع ثلاث مرات حتى الآن، جمع فيها حكم لقمان الحكيم، وشرحها شرحاً مسهباً.

٣- لقمان ٣١: ١٢.

٤- البقرة: ٢: ٢٥١.

٥- النساء: ٤: ٥٤.

٦- المائدة: ٥: ١١٠.



وذكر في سورة البقرة الآية (١٢٩) وسورة آل عمران الآية (١٦٤) وسورة الجمعة آية (٢) بأن إحد الأهداف العظيمة لرسالة الرسول الأكرم ﷺ هو تعليم الحكمة.

فالحكيم هو الشخص الذي وجوده قويٌ بجذور القوانين والأصول الإلهية، ووجوده منبع خير وفيض للآخرين، والمجتمع الحكيم هو المجتمع الذي يعيش وفق الضوابط والموازن الإسلامية.

رأس الحكمة مخافة الله:

نظراً للأهمية التي خصّ القرآن الكريم بها الحكمة، وايضاً للمدح الذي جاء في القرآن والروايات للحكماء، نرى ان الرسول الاعظم ﷺ يقول:

«رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ»<sup>١</sup>.

ومن هذه الجملة وتلك الامثال نفهم دور الخشية والخوف من الله في صياغة الانسان وانها من ضروريات حياة عباده الصالحين.

وجاء في الحديث الشريف:

«رَأْسُ الْحِكْمَةِ خَشْيَةُ اللَّهِ»<sup>٢</sup>.

### انواع الخوف الممدوح:

- ١ - الخوف من وقوع الخطر للناس وإعلان ذلك لنجاتهم.
- ٢ - الخوف من سوء العاقبة.
- ٣ - الخوف من مقام الله سبحانه وتعالى.

١- الشافي: ٢٢٩/١.

٢- كلمة الله: ٤١٥.

- ٤ - الخوف من عواقب الذنوب المرتكبة، ويعتبر هذا الخوف من أفضل أسباب التوبة.  
 ٥ - الخوف من نقصان أو قلة العبادة أمام عظمة الله سبحانه وتعالى.  
 ٦ - الخوف من صغره امام عظمة الله الذي ليس لها حد.

### ١- الخوف من وقوع الخطر للناس:

الخوف من وقوع الخطر للمجتمع واعلانه للناس لكي ينتبهوا مختص بالانبياء والاولياء والأئمة والحكماء وعباده المشفقين البصيرين.  
 هذا الخوف الذي ينشأ من من شفقتهم على عباد الله، يجعلهم ينهضون بكل وجودهم من اجل سعادة الدنيا والآخرة، ويحفظهم من الوقوع في أسر الانحراف و الضلال.

يقول الله سبحانه في قرآنه الكريم حول خوف نوح عليه السلام لقومه:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>١</sup>.

ويقول سبحانه وتعالى أيضاً:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ \* أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾<sup>٢</sup>.

ويقول القرآن المجيد حول خوف شعيب عليه السلام من مستقبل قومه، ومن

الأخطار التي كانت تهددهم:

١- الاعراف: ٥٩/٧.

٢- هود: ٢٥/١١-٢٦.

﴿وَإِلَىٰ مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾<sup>١</sup>.

وهود عليه السلام الذي يخاطب قومه:

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>٢</sup>.

وينقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله خوفه على مستقبل أمته:

«إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي: الْهَوَىٰ وَطُولُ الْأَمَلِ، أَمَّا الْهَوَىٰ فَإِنَّهُ يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ وَهَذِهِ الدُّنْيَا قَدْ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً وَهَذِهِ الْآخِرَةُ قَدْ ارْتَحَلَتْ مُقْبِلَةً وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَافْعَلُوا فَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ فِي دَارِ عَمَلٍ وَلَا حِسَابٍ وَأَنْتُمْ غَدًا فِي دَارِ حِسَابٍ وَلَا عَمَلٍ»<sup>٣</sup>.

وينقل عن الإمام علي عليه السلام أنه قال في إحدى خطبه:

«وَإِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ وَطُولُ الْأَمَلِ فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا»<sup>٤</sup>.

١- هود: ٨٤/١١

٢- الشعراء: ١٣٥/٢٦.

٣- بحار الأنوار: ٩٠/٧٠، باب ١٢٢، حديث ٦٣، الخصال: ٥١/١ حديث ٦٢.

٤- نهج البلاغة: خطبة ٢٨.

ويحذر رسول الله ﷺ من ثلاثة أشياء خطيرة على أمتة فيقول:

«إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي ثَلَاثًا: شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا وَإِمَامًا ضَالًّا!».

يقول سيد الشهداء الحسين (عليه السلام):

أوصيكم بتقوى الله و احذركم أيامه و ارفع لكم اعلامه فكان  
المفدفت قد أفد بمهول و روده و نكير حلوله و بشع مذاقه  
فاعتلق مهجكم و حال بين العمل و بينكم فبادروا بصحة  
الاجسام في مدة الاعمار كأنكم بيغثات طوارقه فتقلكم من  
ظهر الارض الى بطنها و من علو ها الى سفلها و من أنسها  
الى وحشتها و من روحها وضونها الى ظلمتها و من سعتها  
الى ضيقها؛ حيث لا يزار حميم و لا يعاد سقيم و لا يجاب  
صريخ أعاننا الله و اياكم على أحوال ذلك اليوم و نجانا و  
اياكم من عقابه و أوجب لناولكم الجزيل من ثوابه.

عباد الله!

فلو كان ذلك قصر مرماكم و مدى مظعنكم كان حب العامل  
شفلاً يستفرغ عليه احزانه و يذحله عن دنياه و يكثر نصيبه  
للخلاص منه فكيف و هو بعد ذلك مرتهن:

باكتابه مستوقف على حسابه لا وزير له يمنعه و لا ظهير عنه

يدفعه و يومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو  
كسبت في إيمانها خيراً.  
قل انتظروا إنا منتظرون.

أوصيكم بتقوى الله فان الله قد ضمن لمن اتقاه ان يحوله عما  
يكره ان ما يجب و يرزقه من حيث لا يحتسب فايحكم أن  
تكونوا ممن يخاف على العباد من ذنوبهم و يأمن العقوبة من  
ذنبه فان الله تبارك و تعالى مما يخدع عن جنته و لا ينال ما  
عنده ألا؟؟؟ بطاعته

ان شاء الله<sup>١</sup>

ويقول الامام علي عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية:

«يَا بُنَيَّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ فَإِنَّ الْفَقْرَ  
مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ مَذْهَبَةٌ لِلْعَقْلِ دَاعِيَةٌ لِلْمَمْتِ»<sup>٢</sup>.

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«فَإِنَّهُ لَا سِوَاءَ إِمَامٍ الْهُدَى وَإِمَامٍ الرَّدَى وَوَلِيٍّ النَّبِيِّ وَعَدُوٍّ  
النَّبِيِّ وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي  
مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْتَعُهُ اللَّهُ بِإِيْمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ  
فَيَقْتَمَعُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ

١- تحف العقول ص ٤٠.

٢- نهج البلاغة: الحكمة ٣١١.

عَالِمِ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ<sup>١</sup>.

نعم، فإن الرسول الأعظم ﷺ مع عظمته، كان يخاف من شر من المنافقين على أمته.

ويقول الإمام علي عليه السلام في «نهج البلاغة»:

«أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ»<sup>٢</sup>.

٢- الخوف من سوء العاقبة:

ان أهل المعرفة والحق يعتقدون ان الإنسان إلى آخر لحظه من عمره في مواجهة مستمرة مع عدوين هما: أعداء في الداخل واعداء في الخارج. فالاعداء الباطنيون؛ مثل هوى النفس وتوابعه كالرياء والنفاق، والكبر، والغرور، والتجبر، والحسد، والبخل، و... ، والاعداء الظاهريون، مثل ابليس، و شياطين الانس، أشباه الإنسان من الأصدقاء، والقوى المستبدة والاستعمارية، كل هؤلاء الاعداء يسعون بأن يحرفوا الإنسان عن الصراط المستقيم ويجروه إلى وادي الضلالة والجهل.

و شك، فالإنسان لا يستطيع بسهولة ان يتخلص من كل هذا، بل انه يحتاج إلى لمعرفة أولئك الاعداء ومحاربتهم بإصرار.

و أولياء الله في وجود كل هذه المخاطر، فإنهم دائماً قلقين من عاقبة أمورهم و وجلين من نهاية اعمالهم، وهل أنهم سينتصرون ام ان النصر يكون حليف

١- نهج البلاغة: الرسالة: ٢٧.

٢- نهج البلاغة: الخطبة: ٤٢.

اعدائهم الباطنيين والظاهريين! وهذا الخوف الايجابي و التوجس من عاقبة الأمور، له أهمية كبيرة؛ لأنه يدفع بهم الى ان يكونوا في حالة من المراقبة والانتباه، وتلزمهم على معرفة اعدائهم ومحاربتهم وتصنع منهم اناساً عارفين وذوي بصيرة.

وما أجمل تعبير النبي ﷺ في هذا المجال:

«لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ خَائِفًا مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ لَا يَتَيَقَّنُ الْوُصُولَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ حَتَّى يَكُونَ وَقْتُ نَزْعِ رُوحِهِ وَظُهُورِ مَلَكِ الْمَوْتِ لَهُ»!

أمثلة من القرآن الكريم حول سوء العاقبة:

أشار القرآن الكريم إلى سوء عاقبة بعض الأفراد من الامم السابقة وكذا بعض المسلمين، ويريد من الناس أن يعتبروا و يراقبوا ويحافظوا على أنفسهم حتى لا يسقطوا في حاوية سوء العاقبة.

برصيصة العابد:

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾!

يعتقد أكثر المفسرين ان هذه الآية تبين سوء عاقبة احد رجال بني إسرائيل و

١- سفينة البحار: ٢٠٩/٢.

٢- الحشر ٥٩: ١٦.

يدعى برصيصة.

وقصته كالتالي:

كان في بني إسرائيل عابداً اسمه برصيصة، عبد الله زماناً من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعودهم فيبرؤون على يده، وإنه أتى بامرأة في شرف قد جنت وكان لها إخوة فأتوه بها وكانت عنده، فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت، فلما استبان حملها قتلها ودفنها، فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي أحد إخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب وأنه دفنها في مكان كذا، ثم أتى بقية إخوتها رجلاً رجلاً فذكر ذلك له، فجعل الرجل يلقي أخاه فيقول: والله لقد أتاني آت ذكر لي شيئاً يكبر علي ذكره، فذكره بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم، فسار الملك والناس فاستنزلوه فأقر لهم بالذي فعل، فأمر به فصلب، فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال: أنا الذي ألقيتك في هذا، فهل أنت مطيعي فيما أقول لك أخلصك مما أنت فيه؟ قال: نعم، قال: اسجد لي سجدة واحدة، فقال: كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة؟ فقال: أكتفي منك بالإيمان، فأوماً له بالسجود، فكفر بالله، وقُتل الرجل!

ثعلبة بن حاطب:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ  
وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ \* فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ  
وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ \* فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ



يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١﴾.

فقد ذكر المفسرون، أن هذه الآيات نزلت في حق «ثعلبة بن حاطب» الذي كان واحداً من الأنصار، وقصته كالتالي:

جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري إلى رسول الله ﷺ، وقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال: «ويحك يا ثعلبة، قليل تؤذي شكره خير من كثير لا تطيقه»، ثم جاءه بعد مدة وكرر عليه القول فقال له: «أما لك في أسوة حسنة؟» والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت»، ثم جاءه بعد مدة وكرر عليه القول وقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فقال له رسول الله ﷺ: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً»، فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود، فكان يصلي مع رسول الله ﷺ الظهر والعصر ويصلي عند غنمه باقي الصلوات، ثم أصبح لا يشهد مع رسول الله ﷺ سوى الجمعة، ثم كثرت غنمه وزادت فتقاعد حتى لا يشهد الجمعة ولا الجماعة. فقال رسول الله ﷺ ذات يوم: «ما فعل ثعلبة؟»، ف قيل له: اتخذ غنماً لا يسعها واد، فقال: «يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة»، فلما وجبت الزكاة أرسل الرسول ﷺ رجلين ليجمعا الصدقة وقال لهما: «مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل من بني سليم فخذاهما»، فمرا على حاطب وأمره بدفع الزكاة فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، وطلب منهما العودة إليه عند الفراغ من جمعها، فذهبا إلى السلمي فأخرج أطيّب ما عنده، فرجعا إلى

حاطب فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، اذها حتى أرى رأيي، فأقبل الرجلان على رسول الله ﷺ، فقال قبل أن يسألهما: «يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة».

فبقي مشغولاً بجمع الثروة ومضاعفتها، حتى ذهبت جميع ثروته من يديه واصبحت عاقبه إلى سوء كما صرح بذلك القرآن الكريم.

امثلة من تاريخ الإسلام:

«الزبير» أحد اعظم رجال الإسلام البارزين، وكان له دور مؤثر وكبير في الجهاد في سبيل الله، ومساندة الرسول ﷺ.

ففي احدى المعارك التي كان فيها مع رسول الله ﷺ، كُسر سيفه، فأخذ الرسول فوراً خشبة ومسح بيديه الكريمتان عليه فتبدلت إلى سيف باذن الله، فأخذ الزبير السيف واستعمله في طريق الإسلام وتحقيق أهداف الرسالة.

فقد قالوا ان افضل اربعة مدافعين عن الإسلام هم: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، والزبير بن العوام، وأبو دجانة الأنصاري، وسلمان الفارسي.

وكان الزبير، أحد القلائل الذين قبلوا دعوة أمير المؤمنين (عليه السلام) للدفاع عن الحق، بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ؛ دون قيد أو شرط.

وكان أحد الأربعة، الذين قبلوا الدفاع عن الحق بعد وفاة الرسول ﷺ ولم يجد أمير المؤمنين (عليه السلام) خامساً لهم، والثلاثة البقية هم: سلمان وابو ذر والمقداد.

وباع الزبير، يوم السقيفة علياً (عليه السلام).

وكان ممن أوصت به بنت الرسول ﷺ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أن يكون في تشييع جنازتها بعد وفاتها.

وكتب علي عليه السلام في رسالة إلى أحد أصحابه: الزبير، هو أحد اشجع شجعان هذه الأمة.

ولكن للأسف مع جميع تلك المنزلة والفضل، وكل تلك الشجاعة والفتوة والمصاعب التي تحمّلها في طريق الإسلام وأهل بيت الرسول، تورّط ووقع في حب الجاه والدنيا؛ الذي أدّى به إلى الخروج من دائرة الحق والعداوة مع أفضل خلق الله.

فكانت عاقبته أن اغتر بحديث معاوية، وترغيب عائشة له، فقام بتضليل أهل البصرة وسائر المدن الإسلامية، وجمع آلاف الناس ضد أمير المؤمنين عليه السلام - الذي كاد ان يعيد الثقافة الإسلامية إلى مسيرها الصحيح بعد مدة طويلة - وشغل الإمام مدة من الزمن في محاربة الأعداء في معركة اسمها «الجمل»، ثم بعد في معركة الصفين والنهروان، وذلك الإمام الهمام في آخر المطاف استشهد في المحراب، ونال شرف الشهادة، ولم يصل إلى هدفه وهو إصلاح الإمة الإسلامية. وتورّط الزبير في دماء آلاف المسلمين والأبرياء في معركة الجمل، وأوجد فتنة شديدة لدولة الحق آنذاك، وقتل دون كسب مادي وديوي، فقد قتل على يد رجل في الصحراء، وساءت عاقبته، لدرجة انه يُذكر بإمام الضلالة والكفر في الكتب الإسلامية<sup>١</sup>.

نعم، إن أهل الصحوة وعشاق الله حتى آخر لحظة من عمرهم و من خلال العبر التي جاءت في القرآن الكريم والتاريخ، فإنهم يعيشون حالة من الخوف والوحشة حول عاقبة امرهم.

نعم، ومن بركة هذا الخوف، فإنهم دائماً في حالة مراقبة انفسهم، ومن أجل دفع الخطر عن حياتهم الروحانية، فإنهم دائماً في حالة جد واجتهاد.

لذا فإن الخوف من سوء العاقبة، حقيقة يحتاج لها الإنسان المؤمن. وإذا لم تكن مع الإنسان، فإنه لا يتحرك لإزالة ودفع موانع حسن العاقبة عن طريق حياته.

### ٣ - الخوف من معصية الله سبحانه وتعالى:

منذ فجر الحياة البشرية، و من أجل منع وقوع الجرائم، وضعت العقوبة والقوانين الجزائية. قانون العقوبات والقوانين الجزائية؛ بشقيها الشخصية والاجتماعية، هي من أهم العوامل في ايجاد الخوف من ارتكاب الجرائم، وتساعد على التقليل من المفسدات والجرائم الاجتماعية.

إن القوانين الإلهية - التي تحتوي على جميع الاحكام اللازمة لحياة الإنسان وهدفها هو جلب الفائدة ودفع الضرر عن الإنسان - عادة ما تنص على أن هناك نوعين من الجزاء للجرائم والذنوب؛ اولها: العقوبات الدنيوية التي هي نتيجة للأعمال والسلوك الشخصي والاجتماعي للإنسان، والعقوبات الأخروية التي هي مختصة بالذنوب أيضاً.

ان كل الكتب السماوية، والأنبياء والأئمة عليهم السلام، قد وضّحوا جميع حالات الأحكام للجرم والجريمة، ولم ينسوا شيئاً منها.

فالذين آمنوا بالله واليوم الآخر، والذين هم من تلاميذ مدرسة الأنبياء والأئمة عليهم السلام،

لا يلوثون أنفسهم بالذنوب، خوفاً من عصيان الله، وذلك لأنهم يعرفون بأن الذنب يكون سبباً في طرد الإنسان عن رحمة الله سبحانه وتعالى.

فقلوب العشاق والسالكين لطريق الحق، لا تكون خالية أبداً من هكذا خوف، ولهذا فإنهم يبدؤون حياتهم بالطهارة ويختمونها بالطهارة.

القرآن الكريم والروايات الشريفة والاحاديث تمنح هذا النوع من الخوف، وتعتبر اصحاب هذا الخوف هم عباد الله الحقيقيين ومن أظهر عباد الله سبحانه وتعالى. نعم، فسبب رشد وكمال وطهارة الروح والجسد، هو هكذا خوف، الذي بدونه، يستحيل الوصول إلى مقام القرب الإلهي.

في هذا الفصل من اللازم ان نشير إلى بعض الآيات المرتبطة بالخوف وحالات الخائفين حتى تُعرف قيمة هذا الخوف ومكانته في حفظ حياة الإنسان من الذنوب، ويُعلم بكل وضوح ان الخوف من عذاب الله، هو افضل سبب لإيجاد حالة من الأمن والأمان في حياة والآخرة.

الخوف من العذاب في القرآن:

يقول الله سبحانه وتعالى، لرسوله الكريم ﷺ:

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>١</sup>

ويقول سبحانه وتعالى أيضاً: أن قل للمؤمنين:

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

ويقول القرآن الكريم في حق أهل البيت عليهم السلام:

﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا \* وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا \* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا \* إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّوسًا قَمَطِرِيرًا \* فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾<sup>٢</sup>

ان الخوف من يوم الجزاء ومن مقام الله سبحانه وتعالى، من أهم العوامل في تهيئة الإنسان لقبول الأحكام واوامر الله سبحانه وتعالى، فلأجل هذا يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وآله:

﴿... فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٌ﴾<sup>٣</sup>

نعم، فأولئك الذين يخافون من يوم الحشر ومن الدقة في الحساب يعلمون انه في ذلك اليوم لا ينفع صديق أو شفيع سوى الله سبحانه وتعالى، فهم دائماً في طريق الرشد والتكامل والحركة نحو القرب الإلهي، وأولئك هم الذين بكل شوق وعشق يتلون القرآن الكريم، و يزيّنون حياتهم بآياته، يقول القرآن الكريم حول الخوف الممدوح:

١- آل عمران ٣: ١٧٥.

٢- الإنسان ٧٦: ٧-١١.

٣- ق ٥٠: ٤٥.

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾<sup>١</sup>.

وكذلك يقول القرآن المجيد:

﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ \* وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ \* وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾<sup>٢</sup>.

ويقول أيضاً عن عباده الطاهرين والمؤمنين:

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾<sup>٣</sup>.

فالقرآن الكريم قد وضع أوصاف المذنبين في يوم القيامة أمام الناس، وبهذا فقد أوجد ارضية الخوف في قلوب العشاق، وبهذه الطريقة فإنه يدعوهم إلى سبيل الرشاد والطهارة، إذ يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ

١- الأنعام: ٦: ٥١.

٢- الرعد: ١٣: ٢٠-٢٢.

٣- النور: ٢٤: ٣٧.

خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ  
الْمُبِينُ<sup>١</sup>!

ويقول أيضاً:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ<sup>٢</sup>﴾.

### الخوف في الروايات:

«عَنْ حَمْرَةَ بْنِ حُمْرَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ مِمَّا حُفِظَ مِنْ خُطْبِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ وَإِنَّ لَكُمْ نَهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نَهَايَتِكُمْ، أَلَا إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَعْمَلُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ: بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَفِي الشَّبَابِ قَبْلَ الْكِبَرِ وَفِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ مُسْتَعْتَبٍ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ»<sup>٣</sup>.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ قَالَ: مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ وَيَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَيَعْلَمُ

١- الزمر ٣٩: ١٥-١٦.

٢- النازعات ٧٩: ٤٠-٤١.

٣- الكافي: ٧٠/٢، حديث ٩؛ وسائل الشيعة: ٢١٨/١٥، حديث ٢٠٣١٩؛ بحار الأنوار: ٣٦٢/٦٧، حديث ٧.



مَا يَعْمَلُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فَيَحْجُزُهُ ذَلِكَ عَنِ الْقَبِيحِ مِنَ الْأَعْمَالِ  
فَذَلِكَ الَّذِي خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ

عَنِ الْهَيْثِمِ بْنِ وَاقِدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: مَنْ  
خَافَ اللَّهَ أَخَافَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ أَخَافَهُ  
اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۗ

عَنْ أَبِي حَمَزَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ خَافَ اللَّهَ  
وَمَنْ خَافَ اللَّهَ سَخَتْ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا ۗ

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يَا إِسْحَاقُ! خَفِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَإِنْ كُنْتَ لَا  
تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، فَإِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّهُ لَا يَرَاكَ فَقَدْ كَفَرْتَ وَإِنْ  
كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاكَ ثُمَّ بَرَزْتَ لَهُ بِالْمَعْصِيَةِ فَقَدْ جَعَلْتَهُ مِنْ  
أَهْوَى النَّاطِرِينَ عَلَيْكَ ۗ

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ آبَائِهِ فِي وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله لِعَلِيِّ عليه السلام:  
يَا عَلِيُّ ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ: خَوْفُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَصْدُ  
فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَكَلِمَةُ الْعَدْلِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ ۗ

١- الكافي: ٧٠/٢، حديث ١٠ و ٨٠/٢، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ٢١٩/١٥، حديث ٢٠٣٢١؛ بحار

الأنوار: ٣٦٤/٦٧، حديث ٨

٢- الكافي: ٦٨/٢، حديث ٣؛ وسائل الشيعة: ٢١٩/١٥، حديث ٢٠٣٢٢.

٣- الكافي: ٦٨/٢، حديث ٤، ووسائل الشيعة: ٢٢٠/١٥، حديث ٢٠٢٣٥، بحار الأنوار ٣٥٦/٦٧، حديث ٣.

٤- الكافي: ٦٧/٢، حديث ٢، ووسائل الشيعة: ٢٢٠/١٥، حديث ٢٠٣٢٤، بحار الأنوار ٣٥٥/٦٧، حديث ٢.

٥- وسائل الشيعة: ١٠٥/١ باب ١٢٣، حديث ٢٥٤.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: قَوْمٌ يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي وَيَقُولُونَ نَرَجُوا فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمُ الْمَوْتُ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ يَتَرَجَّحُونَ فِي الْأَمَانِيِّ كَذِبُوا لَيْسُوا بِرَاجِينَ، إِنَّ مَنْ رَجَا شَيْئًا طَلَبَهُ وَمَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ هَرَبَ مِنْهُ!

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

«الْمُؤْمِنُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ: ذَنْبٌ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا صَنَعَ اللَّهُ فِيهِ وَعُمْرٌ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا يَكْتَسِبُ فِيهِ مِنَ الْمَهَالِكِ فَهُوَ لَا يَصْبِحُ إِلَّا خَائِفًا وَلَا يُصَلِّحُهُ إِلَّا الْخَوْفُ»<sup>١</sup>.

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:

«مَنْ خَلَا بِذَنْبٍ فَرَأَى اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ وَاسْتَحْيَى مِنَ الْحَفَظَةِ غَفَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ جَمِيعَ ذُنُوبِهِ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ ذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ»<sup>٢</sup>.

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ:

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَصْبِحُ إِلَّا خَائِفًا وَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا، وَلَا يَمْسِي إِلَّا خَائِفًا وَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا لِأَنَّهُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: بَيْنَ وَتٍ قَدْ مَضَى

١- الكافي: ٦٧/٢، باب الخوف والرجاء حديث ٥، وسائل الشيعة: ٢١٦/١٥، باب وجوب الجمع بين

الخوف والرجاء، حديث ٢٠٣١٢، بحار الانوار: ٣٥٧/٦٧، باب الخوف والرجاء وحسن الخلق، حديث ٤.

٢- الكافي ٧١/٢، باب الخوف والرجاء، حديث ١٢، وسائل الشيعة: ٢١٩/١٥، باب وجوب الخوف من

الله، حديث ٩، بحار الانوار: ٣٦٥/٦٧، باب الخوف والرجاء وحسن الخلق، حديث ١٠.

٣- وسائل الشيعة ٢٢١/١، باب وجوب الخوف من الله، حديث ٢٠٣٢٨.

لَا يَدْرِي مَا لِلَّهِ صَانِعٌ بِهِ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ اقْتَرَبَ لَا يَدْرِي مَا  
يُصِيبُهُ مِنَ الْهَلَكَاتِ أَلَا وَقُولُوا خَيْرًا تَعْرِفُوا بِهِ وَاعْمَلُوا بِهِ  
تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ، صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَإِنْ قَطَعُوكُمْ وَعُودُوا  
بِالْفَضْلِ عَلَى مَنْ حَرَمَكَ وَأَدُّوا الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكُمْ وَأَوْفُوا  
بِعَهْدٍ مَنْ عَاهَدْتُمْ وَإِذَا حَكَمْتُمْ فَاغْدِلُوا!.

في مناهي النبي ﷺ:

«مَنْ عَرَضَتْ لَهُ فَاحِشَةٌ أَوْ شَهْوَةٌ فَاجْتَنَبَهَا مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ وَأَمَّنَهُ مِنَ الْفِرْعِ الْأَكْبَرِ، وَأَنْجَزَ لَهُ  
وَعْدَهُ فِي كِتَابِهِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ  
جَتَّان»<sup>٢</sup>.

وجاء في الحديث القدسي:

«يا موسى خَفْنِي فِي سَرَائِرِكَ أَحْفَظُكَ فِي عَوْرَاتِكَ»<sup>٣</sup>.

يقول الإمام علي عليه السلام حول الخوف من المعاد ويوم الحساب - الذي يعتبر من  
افضل العوامل المانعة من الذنب ومن أهم أوصاف عشاق الله - في نهاية رسالته  
لعثمان بن حنيف يقول:

«فِي مَعْشَرِ أَسْهَرِ عَيْونِهِمْ خَوْفٌ مَعَادِهِمْ»<sup>١</sup>.

١- بحار الانوار: ٢٠٤/٧٤، باب مواظب أمير المؤمنين عليه السلام حديث ٢٩، الامالي الشيخ الطوسي: ٢٠٨،

المجلس الثامن، حديث ٣٥٧-٧.

٢- من لا يحضره الفقيه: ١٣/٤، باب ذكر جمل من مناهي النبي عليه السلام حديث ٢٩٧-٢٠.

٣- ارشاد القلوب: ١٠٥/١، الباب الثامن والعشرون في الخوف من الله تعالى.

وكذلك في وصف العشاق يقول:

«وَأَرَأَيْتَ دُمُوعُهُمْ خَوْفَ الْمَحْشَرِ»<sup>٢</sup>.

وفي عهده لـ (محمد بن أبي بكر) ينصح الناس ويقول ضمن كلامه المضي:

«وَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ»<sup>٣</sup>.

وفي جانب آخر من عهده لمحمد بن أبي بكر، يقول:

«وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنًّا بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفًا لِلَّهِ»<sup>٤</sup>.

الخوف من الله في الأدعية الإسلامية:

الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل يطلب من الله بأن يكونه خوفه خوف أهل اليقين، الذي يكون من أول ظهوره في الإنسان، وحتى لحظة الموت، يكون رادعاً للإنسان من الذنوب، فيقول عليه السلام:

«وَأَخَافُكَ مَخَافَةَ الْمُوقِنِينَ»<sup>٥</sup>.

ويبين الإمام السجاد عليه السلام في زيارة أمين الله فضيلة الدموع التي تذرف من

خوفه؛ فيقول:

«وَعَبْرَةٌ مَنْ بَكَى مِنْ خَوْفِكَ مَرْحُومَةٌ».

وللإمام السجاد عليه السلام مناجات مع خالق الدنيا تحت عنوان مناجات الخائفين

١- نهج البلاغة: رسالة ٤٥.

٢- نهج البلاغة: خطبة ٣٢، الراغبون في الله.

٣- نهج البلاغة: رسالة ٢٧.

٤- نهج البلاغة: رسالة ٢٧.

٥- البلد الأمين: ١٩١؛ مصباح الكفعمي: ٥٥٩، الفصل الرابع والأربعون.

يقول فيها:

«إِلٰهِي أَتَرَكَ بَعْدَ الْإِيْمَانِ بِكَ تُعَذِّبُنِي، أَمْ بَعْدَ حُبِّي  
 إِيَّاكَ تُبَعِّدُنِي، أَمْ مَعَ رَجَائِي لِرَحْمَتِكَ وَصَفْحِكَ تَحْرِمُنِي،  
 أَمْ مَعَ اسْتِجَارَتِي بِعَفْوِكَ تُسَلِّمُنِي، حَاشَا لِرُؤْيُوكَ الْكَرِيمِ  
 أَنْ تُحْيِيَنِي، لَيْتَ شِعْرِي الْإِلْسِقَاءَ وَوَلَدْتَنِي أُمِّي، أَمْ لِلْعَنَاءِ  
 رَبَّتْنِي، فَلَيْتَهَا لَمْ تَلِدْنِي وَلَمْ تُرَبِّنِي، وَلَيْتَنِي عَلِمْتُ  
 مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ جَعَلْتَنِي وَبِقُرْبِكَ وَجِوَارِكَ خَصَصْتَنِي،  
 فَتَقَرَّبْتُ بِذَلِكَ عَيْنِي وَتَطْمَئِنُّ لَهُ نَفْسِي، إِلٰهِي هَلْ تُسَوِّدُ وَجُوهُهَا  
 خَرَّتْ سَاجِدَةً لِعَظَمَتِكَ، أَوْ تُخْرِسُ الْإِنْسَانَ نَطَقَتْ بِالثَّنَاءِ  
 عَلَى مَجْدِكَ وَجَلَالَتِكَ، أَوْ تَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ أَنْطَوَتْ  
 عَلَى مَحَبَّتِكَ، أَوْ تُصِمُّ أَسْمَاعًا تَلَذَّذَتْ بِسَمَاعِ ذِكْرِكَ فِي  
 إِرَادَتِكَ، أَوْ تُغْلِقُ أَكْفًا رَفَعَتْهَا الْأَمَالُ إِلَيْكَ رَجَاءَ رَأْفَتِكَ،  
 أَوْ تُعَاقِبُ أَبْدَانًا عَمِلَتْ بِطَاعَتِكَ حَتَّى نَجَلَتْ فِي مُجَاهَدَتِكَ،  
 أَوْ تُعَذِّبُ أَرْجُلًا سَعَتْ فِي عِبَادَتِكَ، إِلٰهِي لَا تُغْلِقْ عَلَى  
 مُوَحِّدِكَ أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَلَا تَحْجُبْ مُشْتَاقِيكَ عَنِ النَّظَرِ إِلَى  
 جَمِيلِ رُؤْيَتِكَ، إِلٰهِي نَفْسٌ أَعَزَّزْتُهَا بِتَوْحِيدِكَ كَيْفَ تُذَلِّهَا  
 بِمَهَانَةِ هِجْرَانِكَ، وَضَمِيرٌ اِنْعَقَدَ عَلَى مَوَدَّتِكَ كَيْفَ تُحْرِقُهُ  
 بِحَرَارَةِ نِيرَانِكَ، إِلٰهِي أَجْرْنِي مِنْ أَلِيمِ غَضَبِكَ وَعَظِيمِ سَخَطِكَ  
 يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ، يَا رَحِيمُ يَا رَحْمَنُ، يَا جَبَّارُ يَا قَهَّارُ، يَا غَفَّارُ يَا

سَتَّارٌ، نَجَّيْنِي بِرَحْمَتِكَ مَنْ عَذَابِ النَّارِ وَقَضِيحَةِ الْعَارِ، إِذَا  
 امْتَازَ الْأَخْيَارُ مِنَ الْأَشْرَارِ، وَحَالَتِ الْأَحْوَالُ وَهَالَتِ الْأَهْوَالُ،  
 وَقَرَّبَ الْمُحْسِنُونَ وَبَعَّدَ الْمُسِيئُونَ، وَوَقَّيْتُ كُلُّ نَفْسٍ  
 مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»<sup>١</sup>.

### عاقبة الخائفين:

#### المرأة الزانية:

#### جاء في الاخبار:

كانت امرأة زانية، تفتن شباب بني إسرائيل آنذاك، وكانت جميلة جداً  
 لدرجة ان بعض الشباب قالوا لو أن العابد الفلاني قد رآها، لاستسلم لها.  
 فسمعت تلك المرأة الزانية كلامهم، وقالت في نفسها: والله لن أرجع إلى  
 البيت حتى أغوي ذلك العابد بالشهوة.

فلما جنَّ الليل ذهبت إلى بيت العابد وطرقت الباب وقالت: أريد الدخول،  
 فلم يقبل العابد دخولها في ذلك الوقت من الليل، فصاحت المرأة ان مجموعة  
 من الفساق يتبعونني وإن لم تفتح لي الباب، سوف أكون معهم وانت السبب.  
 فلما سمع العابد كلامها، فتح الباب لها من أجل نجاتها من اولئك الفساق.  
 فلما دخلت البيت، نزعت جميع ملابسها بسرعة، فسحر جمالها الفتان وبدنها  
 عيني العابد، فمد يديه ولمس بدنها، ولكنه سرعان ما أرجع يديه ووضعها في  
 النار التي كانت مشتعلة تحت القدر. فقالت تلك المرأة له: ماذا تفعل؟ فأجابها:

١- مفاتيح الجنان: ١١٩، مناجاة الخائفين.

إن اليد التي تقوم بعمل يخالف أوامر الله، لجديرة بأن تُحرق. فهورلت المرأة إلى الخارج مسرعةً، فرأت مجموعة من بني إسرائيل وصاحت: ألقوا ذلك العابد، فو الله لقد أهلك نفسه، فهرع الناس إلى ذلك العبد الخائف من الله وشاهدوا متعجبين، ان العابد. قد أحرق يديه بالنار خوفاً من عذاب الله!

يحیی والخوف من الله:

ينقل لنا الشيخ الصدوق رواية عن أبيه فيقول:

«قال رسول الله ﷺ: كان من زهد يحيى بن زكريا عليه السلام أنه أتى بيت المقدس فنظر إلى المجتهدين من الأبحار والرهبان عليهم مدارع الشعر، وبرانس الصوف، وإذا هم قد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوها إلى سواري المسجد، فلما نظر إلى ذلك أتى أمه فقال: يا أماه انسجي لي مدرعة من شعروبرنسا من صوف حتى آتي بيت المقدس فأعبد الله مع الاحبار والرهبان، فقالت له أمه: حتى يأتي نبي الله وأوامره في ذلك، فلما دخل زكريا عليه السلام أخبرته بمقالة يحيى، فقال له زكريا: يا بني ما يدعوك إلى هذا وإنما أنت صبي صغير؟ فقال له: يا أبه أما رأيت من هو أصغر سناً مني قد ذاق الموت؟ قال: بلى، ثم قال لأمه: انسجي له مدرعة من شعر، وبرنسا من صوف، ففعلت فتدرع المدرعة على بدنه، ووضع البرنس على رأسه، ثم أتى بيت المقدس فأقبل يعبد الله عزوجل مع الاحبار حتى أكلت مدرعة الشعر لحمه، فنظر ذات يوم إلى ما قد نحل من جسمه فبكي، فأوحى الله عزوجل إليه: يا يحيى أتبكي مما قد نحل من جسمك؟ وعزتي وجلالي

لو اطلعت إلى النار اطلاعة لتدرعت مدرعة الحديد فضلا عن المنسوج، فبكى حتى أكلت الدموع لحم خديه، وبدا للناظرين أضراره فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبل زكريا عليه السلام واجتمع الاحبار والرهبان فأخبروه بذهاب لحم خديه، فقال: ما شعرت بذلك، فقال زكريا عليه السلام: يا بني ما يدعوك إلى هذا؟ إنما سألت ربي أن يهبك لي لتقر بك عيني، قال: أنت أمرتني بذلك يا أبه، قال: ومتى ذلك يا بني؟ قال: ألسن القائل: إن بين الجنة والنار لعقبة لا يجوزها إلا البكاؤون من خشية الله؟ قال: بلى، فجد واجتهد وشأنك غير شأني، فقام يحيى فنفض درعته فأخذته أمه، فقالت: أأذن لي يا بني أن أتخذ لك قطعتي لبود تواريان أضراسك وتنشفان دموعك؟ فقال لها: شأنك، فاتخذت له قطعتي لبود تواريان أضراره وتنشفان دموعه حتى ابتلتا من دموع عينيه فحسر عن ذراعيه، ثم أخذهما فعصرهما فتحدر الدموع من بين أصابعه، فنظر زكريا عليه السلام إلى ابنه وإلى دموع عينيه فرفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم إن هذا بني وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين.

وكان زكريا عليه السلام إذا أراد أن يعظ بني إسرائيل يلتفت يمينا وشمالا فإن رأى يحيى عليه السلام لم يذكر جنة ولا نارا، فجلس ذات يوم يعظ بني إسرائيل وأقبل يحيى قد لف رأسه بعباءة فجلس في غمار الناس والتفت زكريا عليه السلام يمينا وشمالا فلم ير يحيى فأنشأ يقول: حدثني حبيبي جبرئيل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أن في جهنم جبلا يقال له السكران، في أصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان لغضب الرحمن تبارك وتعالى، في ذلك الوادي جب قامته مائة عام، في ذلك الجب توايت من نار، في تلك التوايت صناديق من نار، وثياب من نار، وسلاسل من نار، وأغلال من نار، فرفع يحيى عليه السلام رأسه فقال: واغفلناه من السكران، ثم أقبل هائما على وجهه، فقام زكريا عليه السلام من مجلسه فدخل على أم



يحيى فقال لها: يا أم يحيى قومي فاطبي يحيى فإني قد تخوفت أن لاتراه إلا وقد ذاق الموت، فقامت فخرجت في طلبه حتى مرت بفتيان من بني إسرائيل فقالوا لها: يا أم يحيى أين تريدن؟ قالت: أريد أن أطلب ولدي يحيى، ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه، فمضت أم يحيى والفتية معها حتى مرت براعي غنم فقالت له: يا راعي هل رأيت شابا من صفته كذا وكذا؟ فقال لها: لعلك تطلبين يحيى بن زكريا؟ قالت: نعم ذاك ولدي، ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه، قال: إني تركته الساعة على عقبة ثنية كذا وكذا، ناقعا قدميه في الماء، رافعا بصره إلى السماء يقول: «وعزتك مولاي لا ذقت بارد الشراب، حتى أنظر إلى منزلتي منك» فأقبلت أمه فلما رآته أم يحيى دنت منه فأخذت برأسه فوضعت بين ثدييها وهي تناشده بالله أن ينطلق معها إلى المنزل فانطلق معها حتى أتى المنزل، فقالت له أم يحيى: هل لك أن تخلع مدرعة الشعر وتلبس مدرعة الصوف فإنه ألين؟ ففعل، وطبخ له عدس فأكل واستوفى فنام فذهب به النوم فلم يقم لصلاته، فنودي في منامه: يا يحيى بن زكريا أردت دارا خيرا من داري وجوارا خيرا من جوارى؟ فاستيقظ فقام فقال: يارب أقلني عثرتي، إلهي فوعزتك لا أستظل بظل سوى بيت المقدس، وقال لأمه: ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت أنكما ستورداني المهالك، فتقدمت أمه فدفعت إليه المدرعة وتعلقت به، فقال لها زكريا: يا أم يحيى دعيه فإن ولدي قد كشف له عن فناع قلبه ولن ينتفع بالعيش، فقام يحيى عليه السلام فلبس مدرعته ووضع البرنس على رأسه، ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله عز وجل مع الأحبار حتى كان من أمره ما كان<sup>١</sup>.

١- أمالي الشيخ الصدوق: ٢٧، المجلس الثامن، حديث ٣؛ بحار الانوار: ١٤/١٦٦، باب قصص زكريا

بجانب النار المحرقة:

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

كان عابد في بني إسرائيل قد دعى امرأة إلى بيته، وفي تلك الليلة بات مترصداً فعل السوء لها، ولكنه مباشرة مد يديه إلى النار وتراجع عن نيته. ولكنه مرة ثانية غلبت عليه نية السوء، ومرة أخرى مد يديه إلى النار. وكرّر هذا الشيء إلى الصباح كلما راودته نفسه. فلما أصبح الصباح قال للمرأة: أخرجي من بيتي فإنك ضيفة سيئة!

معاقة النفس:

يقول أحد أصحاب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

بينما كنا في حرّ الصيف مع رسول الله صلى الله عليه وآله جالسين تحت ظل شجرة، إذا رأينا شاباً قد أقبل من بعيد، ونزع ملابسه عن جسمه، وقلّب جميع بدنه ووجهه على حصة الصحراء الحارة، وكان يقول بينما هو في هذا الحال: يا نفس ذوقني، لأن العذاب الموجود عند الله، هو أكبر من اعمالك الحسنة.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعاين هذا الشاب، فلما فرغ الشاب من عمله هذا، ولبس ملابسه وأراد الذهاب، طلبه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال له: يا عبد الله، رأيت منك شيئاً لم أعهد له لأحد من قبل، فما الذي دعاك إلى هذا؟

فأجاب: الخوف من الله، فقال صلى الله عليه وآله: لقد أديت حق الخوف من الله، والله عز وجل مباهٍ بك ملائكته في السموات، ثم التفت إلى أصحابه وقال: من منكم مستعد هنا إلى الذهاب إلى ذلك الشاب كي يدعوا له؛ فذهب جميع أصحابه إليه

ودعا الشاب بهذا الدعاء: اللهم اجعل جميع أفعالنا في رضاك، وزودنا بالورع عن ذنوبك، وأدخلنا الجنة، واجعلها دار مقرّنا.

الشاب الخائف والرجل العابد:

يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام):

صعد رجل مع عائلته إلى سفينة، مسافراً، وفي الطريق وإثر الأمواج العاتية للبحر، غرقت السفينة ومن كان عليها إلا زوجته، فإنها نجت. وتمسكت بخشبة وذهب بها موج البحر إلى جزيرة من الجزر التي كانت موجودة في بالقرب منها. وكان يعيش في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ويرتكب كل محرّم دون، ويفعل كل قبيح. فلما أصبح الصبح رآها بجانبه، فقال لها: هل أنت من الإنس أم الجن؟ فأجابت: بل من الإنس، فلم يقل ذلك أي كلام آخر وهمّ بأن يفعل بها الفاحشة، فلما أستوى وأراد أن يزني بها، أرعدت فرائصها، فتعجب من ذلك وسألها، فأشارت بيدها: أخاف من الله، فقال لها: وهل فعلت الفاحشة من قبل؟ فأجابت: أقسم بعزته، أني لم أفعل أبداً ذلك في حياتي. فقام عنها وقال لها: مع أنك لم تفعلي هذا من قبل، فإنك تخافين من الله، وقد أجبرتك عليه، فوالله إنني لأجدر منك بالخوف من الله.

استيقظ الرجل من نوم الغفلة بفضل (عليه السلام)، وصمّم على التوبة ورجع إلى أهله، وفي الطريق التقى براهب ورافقه في السفر، وكانت أشعة الشمس ملتبهة تؤذيهما معاً، فقال الراهب للرجل: لندعوا ان يظل علينا الغمام، لقد احرقتنا الشمس الملتبهة.

فقال: إني لا أملك حسنة واحدة عند الله، ولا أجرأ على طلب شيء منه. فقال الراهب: إذن أدعو أنا وأنت آمن على دعائي، فقبل الرجل بذلك، فدعا الراهب وأمن الرجل على دعائه، فجاءت غمامة في تلك اللحظة وظللتها ومشيا كثيراً من الطريق تحت ظلها. حتى وصلوا إلى مكان بفتراقات فيه، فلما أراد أن يذهب كل واحد منهما في طريقه، جاءت الغمامة فوق ذلك الشاب التائب وظلته، فقال الراهب للشاب: انت أفضل مني، لأن الدعاء قد استجيب بفضلك، فقل الآن ما هي قصتك؟

فقص عليه الشاب ما جرى بينه وبين تلك المرأة. فقال له الراهب: قلبك لقد نفذ في الخوف من الله سبحانه وتعالى، وقد قد غفر لك جميع ما تقدم من ذنبك، فانظر ما فاعل أنت تجاه ربك في المستقبل<sup>١</sup>.

#### ٤- الخوف من عذاب الذنوب أفضل سبب للتوبة:

على الإنسان ان يتبه في مسألة الذنب والمعصية، عليه أن يعرف اي وجود يعصي، وأي أمر يخالف، وأي مولى يحارب؟ فالذنب والمعصية تكون دائماً في مقابل الله سبحانه وتعالى الذي وهبه الحياة، وأسبغ عليه نعمه المتعددة التي لا تحصى منذ بدأ خلقه.

الله الذي أنعم على الإنسان بنعمة العافية وحفظه من جميع المكاره والمصائب، تلك التي عجزت عن حلها الوسائل المادية، فأعانه سبحانه وتعالى عليها.

الخالق و الربّ يعشق ويحب الإنسان، ومن اجل ان لا يسقط الإنسان في فخ الشيطان، أرسل مائة وأربع وعشرين ألف نبي ورسول، و مائة وأربعة عشر كتاباً

سماوياً، و نصب اثني عشر إماماً، وكل هؤلاء الحكماء والمصلحين والعارفين ومحببي الخير، الذين جعلهم في خدمة الإنسان.

المعصية أمام عزيز يريد خير الإنسان فقط، ولا يحب الشر للإنسان حتى ولو كانت أصغر من الذرة.

الذنب أمام مولى رؤوف والذي يعفو عن عباده بمجرد طلب العفو والمغفرة، ويغض الطرف عن عقاب الإنسان.

الذنب أمام وجود مقدس الذي هو مع الإنسان في كل مكان، حتى أنه أقرب إليه من حبل الوريد.

على الانسان أن لا يرتكب الذنب أمام الذي خلق الإنسان، ولا يوجد غيره خالق للإنسان و هو الذي يعينه في المحن والشدائد، ولا يوجد غيره يلبي ما يريده الإنسان.

يقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة:

«يَا مَنْ قَلَّ لَهُ شُكْرِي فَلَمْ يَحْرِمْنِي وَعَظَّمْتَ خَطِيئَتِي فَلَمْ يَفْضَحْنِي وَرَأَيْتَنِي عَلَى الْمَعَاصِي فَلَمْ يَشْهَرْنِي يَا مَنْ حَفَظَنِي فِي صَغَرِي يَا مَنْ رَزَقَنِي فِي كِبَرِي يَا مَنْ أَبَادِيهِ عِنْدِي لَا تُحْصَى وَنِعْمُهُ لَا تُجَازَى يَا مَنْ عَارَضَنِي بِالْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ وَعَارَضْتُهُ بِالْإِسَاءَةِ وَالْعِصْيَانِ يَا مَنْ هَدَانِي لِلْإِيمَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُعْرِفَ شُكْرَ الْإِمْتِنَانِ، يَا مَنْ دَعَاؤُهُ مَرِيضاً فَشَفَانِي وَعُرْيَاناً فَكَسَانِي وَجَائِعاً فَأَشْبَعَنِي وَعَطْشَاناً فَأَرَوَانِي وَذَلِيلًا فَأَعَزَّنِي وَجَاهِلًا فَعَرَّفَنِي وَوَحِيدًا فَكَثَّرَنِي وَغَايِبًا فَرَدَّدَنِي وَمُقِلًّا فَأَغْنَانِي وَمُتَّصِرًا

فَنَصَرَنِي وَغَنِيًّا فَلَمْ يَسْلُبْنِي وَأَمْسَكْتُ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ  
فَأَبْدَأَنِي؛ فَلَكَ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ يَا مَنْ أَقَالَ عَثْرَتِي وَنَفَسَ كُرْمَتِي  
وَأَجَابَ دَعْوَتِي وَسَتَرَ عَوْرَتِي وَغَفَرَ ذُنُوبِي وَبَلَّغَنِي طَلْبِي  
وَنَصَرَنِي عَلَى عَدُوِّي وَإِنْ أَعَدَّ نَعْمَكَ وَمِنَّكَ وَكَرَائِمَ مِنْحِكَ  
لَا أَحْصِيهَا، يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الَّذِي مَنَنْتَ أَنْتَ الَّذِي أَنْعَمْتَ أَنْتَ  
الَّذِي أَحْسَنْتَ أَنْتَ الَّذِي أَجْمَلْتَ أَنْتَ الَّذِي أَفْضَلْتَ أَنْتَ  
الَّذِي أَكْمَلْتَ أَنْتَ الَّذِي رَزَقْتَ أَنْتَ الَّذِي وَفَّقْتَ أَنْتَ الَّذِي  
أَعْطَيْتَ أَنْتَ الَّذِي أَعْزَيْتَ أَنْتَ الَّذِي أَقْنَيْتَ أَنْتَ الَّذِي أَوْبَيْتَ  
أَنْتَ الَّذِي كَفَيْتَ أَنْتَ الَّذِي هَدَيْتَ أَنْتَ الَّذِي عَصَمْتَ أَنْتَ  
الَّذِي سَتَرْتَ أَنْتَ الَّذِي غَفَرْتَ أَنْتَ الَّذِي أَقَلْتَ أَنْتَ الَّذِي  
مَكَّنْتَ أَنْتَ الَّذِي أَعَزَّزْتَ أَنْتَ الَّذِي أَعَنْتَ أَنْتَ الَّذِي  
عَضَدْتَ أَنْتَ الَّذِي أَيَّدْتَ أَنْتَ الَّذِي نَصَرْتَ أَنْتَ الَّذِي شَفَيْتَ  
أَنْتَ الَّذِي عَافَيْتَ أَنْتَ الَّذِي أَكْرَمْتَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ فَلَكَ  
الْحَمْدُ دَائِمًا وَلَكَ الشُّكْرُ وَاصْبِيًّا أَبَدًا، ثُمَّ أَنَا يَا إِلَهِي الْمُعْتَرِفُ  
بِذُنُوبِي فَاعْفِرْهَا لِي. أَنَا الَّذِي أَسَأْتُ أَنَا الَّذِي أَخْطَأْتُ أَنَا  
الَّذِي هَمَمْتُ أَنَا الَّذِي جَهَلْتُ أَنَا الَّذِي غَفَلْتُ أَنَا الَّذِي سَهَوْتُ  
أَنَا الَّذِي اعْتَمَدْتُ أَنَا لَدِي تَعَمَّدْتُ أَنَا الَّذِي وَعَدْتُ أَنَا الَّذِي  
أَخْلَفْتُ أَنَا الَّذِي نَكَّثْتُ أَنَا الَّذِي أَقْرَرْتُ أَنَا الَّذِي اعْتَرَفْتُ  
بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَعِنْدِي، وَأَبُوءُ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْهَا لِي يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ

ذُنُوبٌ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ طَاعَتِهِمْ وَالْمُوفِّقُ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا  
مِنْهُمْ بِمَعُونَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

فَلَكَ الْحَمْدُ إِلَهِي وَسَيِّدِي أَمَرْتَنِي فَعَصَيْتُكَ وَنَهَيْتَنِي فَارْتَكَبْتُ  
نَهْيَكَ فَأَصْبَحْتُ لَا ذَا بَرَاءَةَ لِي فَأَعْتَذِرُ وَلَا ذَا قُوَّةٍ فَأَنْتَصِرُ فَبِأَيِّ  
شَيْءٍ أَنْتَصِرُ فَبِأَيِّ شَيْءٍ أَسْتَقْبِلُكَ يَا مَوْلَايَ أَبَسْمِعِي أَمْ بِبَصْرِي أَمْ  
بِلِسَانِي أَمْ بِيَدِي أَمْ بِرِجْلِي؟ أَلَيْسَ كُلُّهَا نِعْمَكَ عِنْدِي  
وَبِكُلِّهَا عَصَيْتُكَ يَا مَوْلَايَ؟».

نعم، هكذا الله، وهكذا العبد، فهو المنعم عليه بكل هذه النعم وهو المذنب،  
فلنفكر مرة أخرى أننا أمام أي عظيم نرتكب الذنب والمعصية، وبأي جرأة  
تعدينا على أوامره؟

أليس جدير ونحن ملوثين بجميع هذه الذنوب أن نخاف من عذابه وانتقامه  
وسخطه؟ من ذنوب؛ حسب ما ورد عن المعصوم عليه السلام في دعائه بعد زيارة الإمام  
الرضا عليه السلام؛ أن لو أطلعت عليها الأرض لابتلعني، والسماء لا طبقت علي، والجبال  
لندكدت علي، والبحار لأغرقتني!

وما أفضل أن نطالع بدقة في القرآن الكريم والروايات الشريفة والأخبار  
الواردة حول عقاب الذنوب وجزاء المعاصي، فربما تكون هذه المعرفة والبصيرة  
سبباً في تخويفنا، وهذا الخوف يكون سبباً في التوبة عما ارتكبناه من الذنوب،  
وسبباً لورعنا عن المعاصي في المستقبل.

جزاء الذنوب في القرآن الكريم:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾<sup>١</sup>.

وقال تعالى:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ  
وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ  
تَكْفُرُونَ﴾<sup>٢</sup>.

وقال أيضاً:

﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ  
مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾<sup>٣</sup>.

فهؤلاء كما ذكر في «تفسير نور الثقلين»<sup>٤</sup>، قوم كانوا مؤمنين صادقين ارتابوا  
وشكوا وناقضوا بعد ايمانهم، وكانوا أربعة نفر، ومن أجل تكفير أخطائهم أنفقوا  
كل اموالهم في سبيل الله.

فيجب أن نعلم أن هذا العفو والغفران هو لأناس قد تابوا من كفرهم في دار  
الدنيا ورجعوا للإسلام ولا يشمل الكفار في يوم القيامة.

﴿وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ

١- آل عمران ٣: ٥٦.

٢- آل عمران ٣: ١٠٦.

٣- التوبة ٩: ٦٦.

٤- نور الثقلين: ٢٣٨/٢.



فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾

وقال تعالى أيضاً:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ  
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ \* خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ  
عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ٢.

جزاء السيئات والخطايا:

﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ  
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٣.

وقال تعالى أيضاً:

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ  
مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعاً  
مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٤.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ  
أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ

١- البقرة ٢: ٣٩.

٢- البقرة ٢: ١٦١-١٦٢.

٣- البقرة ٢: ٨١.

٤- يونس ١٠: ٢٧.

كُفَّارٌ أَوْلِيكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً<sup>١</sup>.

وأيضاً:

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ<sup>٢</sup>﴾.

جزاء النفاق والمنافق:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ<sup>٣</sup>﴾.

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً<sup>٤</sup>﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً<sup>٥</sup>﴾.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً<sup>٦</sup>﴾.

جزاء الشرك والمشرك:

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ

١- النساء: ٤: ١٨.

٢- فاطر ٣٥: ١٠.

٣- التوبة ٩: ٦٨.

٤- النساء: ٤: ١٣٨.

٥- النساء: ٤: ١٤٠.

٦- النساء: ٤: ١٤٥.

وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
رَحِيمًا ﴿١﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ  
خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ ﴿٢﴾.

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ  
الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ  
عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿٣﴾.

جزاء الذنوب في الروايات الشريفة:

العبادات المخالفة لأوامر الحق:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «عَبَدَ اللَّهُ حَبِيبًا مِنْ أَحْبَابِ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
حَتَّى صَارَ مِثْلَ الْخَلَالِ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى نَبِيِّ زَمَانِهِ قُلْ  
لَهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَجَبْرُوتِي لَوْ أَنَّكَ عَبَدْتَنِي حَتَّى تَذُوبَ  
كَمَا تَذُوبُ الْإِلَیَّةُ فِي الْقَدْرِ مَا قَبِلْتُ مِنْكَ حَتَّى تَأْتِيَنِي مِنْ  
الْبَابِ الَّذِي أَمَرْتُكَ» ﴿٤﴾.

١- الأحزاب ٣٣: ٧٣.

٢- البينة ٩٨: ٦.

٣- الفتح ٤٨: ٦.

٤- ثواب الاعمال: ٢٠٣، باب عقاب من اتى الله من غير بابيه، بحار الانوار: ٢٧، ١٧٦، باب ٧،

حديث ٢٣، اعلام الدين ٤٠٠

نعم، العبادة الواقعية، هي التي تكون مبنية قواعدها على أوامر إلهية، والعبادة الخالية من الأوامر والبرامج الإلهية هي بدعة، والبدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

الغفلة عن أوامر الحق:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْغَفْلَةَ فَإِنَّهُ مَنْ غَفَلَ فَإِنَّمَا يَغْفَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّهَاوُنَ لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَإِنَّهُ مَنْ تَهَاوَنَ بِأَمْرِ اللَّهِ أَهَانَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

التخلي عن أهل البيت عليهم السلام:

عَنْ أَبِي الْحَمَزَةِ قَالَ لَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: «أَيُّ الْبِقَاعِ أَفْضَلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَابْنُ رَسُولِهِ أَعْلَمُ، قَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ الْبِقَاعِ مَا بَيْنَ الرُّحْنِ وَالْمَقَامِ وَلَآنَ رَجُلًا عَمَرَ مَا عَمَرَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يَصُومُ نَهَارًا وَيَقُومُ لَيْلًا فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ ثُمَّ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ بِغَيْرِ وَلايْتِنَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِذَلِكَ شَيْئًا».

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مِنَّا الْإِمَامُ الْمَقْرُوضُ طَاعَتُهُ، مَنْ جَحَدَهُ مَاتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا وَاللَّهُ مَا تَرَكَ الْأَرْضُ مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ آدَمَ إِلَّا وَفِيهَا إِمَامٌ يَهْتَدَى بِهِ إِلَى اللَّهِ حُجَّةً عَلَى

١- ثواب الاعمال: ٢٠٣، باب عقاب المتهاون بأمر الله سبحانه، بحار الانوار: ٢٢٧/٦٩، باب ١١٢

حديث ٣، المحاسن: ٩٦/١، باب ٢٣، عقاب من تهاون بأمر الله.

٢- ثواب الاعمال وعقاب الاعمال: ٢٠٤، باب عقاب من جهل حق أهل البيت عليهم السلام.

العباد، مَنْ تَرَكَهُ هَلَكَ، وَمَنْ لَزِمَهُ نَجَا حَقًّا عَلَى اللَّهِ<sup>١</sup>.

اتباع أئمة الظلم:

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله): «لَا عَذْبَنَ كُلُّ رَعِيَّةٍ فِي الْأِسْلَامِ أَطَاعَتْ إِمَامًا جَائِرًا لَيْسَ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَإِنْ كَانَتْ الرَّعِيَّةُ أَعْمَالَهَا بَرَّةً تَقِيَّةً، وَلَا عَفْوَنَ عَنْ كُلِّ رَعِيَّةٍ فِي الْأِسْلَامِ أَطَاعَتْ إِمَامًا هَادِيًا مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَإِنْ كَانَتْ الرَّعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا ظَالِمَةً مُسِيئَةً»<sup>٢</sup>.

يجب أن لا ننسى هذه الملاحظة بأن اطاعة أئمة الحق يضعف ارادة الإنسان لارتكاب الذنوب تدريجياً، ويقوي ميل الإنسان لاتباع الحق، ففي هذه الحالة، تكثر الحسنات وتكون سبباً لغفران السيئات وجفاف جذور الذنوب في وجود الإنسان.

المدعون الكاذبون:

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ إِمَامٌ وَلَيْسَ بِإِمَامٍ<sup>٣</sup>.

١- ثواب الاعمال وعقاب الاعمال: ٢٠٥، عقاب من مات ولا يعرف امامه، بحار الانوار: ٨٥/٢٣، باب ٤، حديث ٢٧، المحاسن: ٩٢، باب ١٧ عقاب من لم يعرف امامه.

٢- بشارة المصطفى: ٢١٧، باب بشارة المصطفى لشعبة المرتضى الاختصاص: ٢٥٩، حديث في زيارة المؤمن لله، بحار الانوار: ١١٠/٢٥، باب ٣ حديث ١.

٣- غيبة النعماني: ١١١/باب ٥، ما روي فيمن ادعى الإمامة حديث ١، بحار الانوار ١١٣/٢٥، باب ٣، حديث ١٣.

اعداء أهل بيت النبي ﷺ:

قال أبو عبد الله: «مُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ الْوَتَنِ، وَالنَّاصِبُ لَالٌ  
مُحَمَّدَ شَرٌّ مِنْهُ، قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ وَمَنْ أَشْرُّ مِنْ عَابِدِ الْوَتَنِ؟  
فَقَالَ إِنَّ شَارِبَ الْخَمْرِ تُدْرِكُهُ الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنَّ  
النَّاصِبَ لَوْ شَفَعَ فِيهِ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَمْ يُشَفَعُوا»<sup>١</sup>.

بالطبع، يجب علينا ان نعلم ان الشفاعة في يوم القيامة تشمل الذي تاب قبل  
مماته وهذه حقيقة دل عليها القرآن الكريم والروايات الشريفة.

البنغي، قطعة الرحم، الحلف بالله كاذباً:

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ:

«فِي كِتَابِ عَلِيٍّ ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يَمُوتُ صَاحِبُهُنَّ أَبَدًا حَتَّى يَرَى  
وَبِالْهَنْ، الْبُنْغِيُّ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَالْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ يُبَارِزُ بِهَا»<sup>٢</sup>.

المتكبرون:

قال أبو جعفر عليه السلام: «الْعَزُّ رِداءُ اللَّهِ وَالْكَبْرِيَاءُ إِزارُهُ فَمَنْ تَنَاوَلَ  
شَيْئاً مِنْهُ أَكَبَّهُ اللَّهُ فِي جَهَنَّمَ»<sup>٣</sup>.

١- ثواب الاعمال: ٢٠٧، باب عقاب الناصب والجاحد لأمر المؤمنين، بحار الانوار: ٢٣٤/٢٧، باب  
١٠، حديث ٤٦.

٢- الكافي: ٣٤٧/٢، باب قطعة الرحم، حديث ٤، وسائل الشيعة: ٢٠٢/٢٣، باب تحريم اليمين الكاذبة،  
باب تحريم اليمين الكاذبة، حديث ٢٩٣٨٢/الخصال: ١٢٤/١، باب الخصال الثلاثة: حديث ١١٩.

٣- الكافي: ٣٠٩/٢، باب الكبير، بحار الانوار: ٢١٣/٧٠، باب ١٣٠، عوالي اللآلي: ٣٥٩/١.

السرور من ارتكاب الذنب:

عَنْ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا وَهُوَ ضَاحِكٌ دَخَلَ النَّارَ وَهُوَ بَاكٍ»<sup>١</sup>.

الاستهزاء بالصلاة:

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَمِيدَةَ أُعْزِيهَا بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَبَكَتُ وَبَكَتُ لِبُكَائِهَا ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَوْ رَأَيْتَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عِنْدَ الْمَوْتِ لَرَأَيْتَ عَجَبًا، فَتَحَّ عَيْنِيهِ ثُمَّ قَالَ: أَجْمِعُوا لِي كُلَّ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ قَالَتْ: فَلَمْ تَتْرِكْ أَحَدًا إِلَّا جَمَعْنَاهُ قَالَتْ: فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ شَفَاعَتَنَا لَا تَنَالُ مُسْتَحْفًا بِالصَّلَاةِ»<sup>٢</sup>.

اضاعة الصلاة:

عَنْ زُرَّارَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «دَخَلَ رَجُلٌ مَسْجِدًا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ فَخَفَّفَ سُجُودَهُ دُونَ مَا يُنْبَغِي وَدُونَ مَا يَكُونُ مِنَ السُّجُودِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: نَقَرَ كَنَفَرِ الْغُرَابِ لَوْ

١- ثواب الاعمال: ٢٢٣، باب عقاب من اذنب وهو ضاحك، بحار الانوار: ٣٦٧/٦، باب التوبة وانواعها وشرايطها، حديث ٥٧.

٢- أمالي الشيخ الصدوق: ٤٨٤، المجلس الثالث والسبعون، حديث ١٠، فلاح السائل: ١٢٧.

مات، مات على غير دين مُحَمَّد<sup>١</sup>.

البخل والامتناع عن اداء الزكاة:

عن أبي عبد الله عليه السلام: «مَنْ مَنَعَ الزَّكَاةَ فَلَيُمِتَ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا  
أَوْ نَصْرَانِيًّا»<sup>٢</sup>.

الافطار بدون عذر:

عَنْ يُونُسَ بْنِ حَمَادِ الرَّازِي قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ:  
«مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ خَرَجَ رُوحُ الْإِيمَانِ مِنْهُ»<sup>٣</sup>.

ذنب اللسان:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «يُعَذَّبُ اللَّهُ اللِّسَانَ عَذَابًا لَا يُعَذَّبُ بِهِ  
شَيْئًا مِنَ الْجَوَارِحِ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ عَذَّبْتَنِي عَذَابًا لَمْ تُعَذَّبْ بِهِ  
شَيْئًا، فَيُقَالُ لَهُ خَرَجْتَ مِنْكَ كَلِمَةً، فَبَلَغْتَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ  
وَمَغَارِبَهَا فَيَسْفِكُ بِهَا الدَّمَ الحَرَامَ، وَأَنْتَهَبَ بِهَا المَالَ الحَرَامَ،  
وَأَنْتَهَكَ بِهَا الفَرْجَ الحَرَامَ وَعِزَّتِي لِأَعَذَّبَنَّكَ عَذَابًا لَا أُعَذَّبُ بِهِ  
شَيْئًا مِنَ جَوَارِحِكَ»<sup>٤</sup>.

١- أمالي الشيخ الصدوق: ٤٨٣ المجلس الثالث والسبعون، حديث ٨، بحار الانوار ٢٣٤/٨١، باب ١٦، حديث ٨

٢- ثواب الاعمال: ٢٣٥، عقاب مانع الزكاة.

٣- من لا يحضره الفقيه: ١١٨/٢، باب ما يجب على من أفطر، حديث ١٨٩٢، وسائل الشيعة: ٢٥١/١٠، باب ٢ من أفطر في شهر رمضان، حديث ١٣٣٧.

٤- الكافي: ١٢٥/٢، باب الصمت وحفظ اللسان، حديث ١٦، وسائل الشيعة: ٢١/٢٧، باب عدم جواز

القضاء والافناء حديث ٣٣١٠٣، بحار الانوار ٣٠٤/٦٨، باب السكوت والكلام، حديث ٨٠



طالب العدل وهو ظالم:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِنَّهُ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَصَفَ عَدْلًا وَعَمِلَ بَغَيْرِهِ»<sup>١</sup>.

أثر الغضب السيء:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْغَضَبُ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ»<sup>٢</sup>.

التعصب:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ عَصِيَّةٍ بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ أَغْرَابِ الْجَاهِلِيَّةِ»<sup>٣</sup>.

و جاء في القاموس في باب التعصب: الشخص الذي يدافع عن ظلم قبيلته وأقربائه، ويتعصب في غير مكانه لأهله وعشيرته، أو يدافع عنهم، والشخص الذي يصر على الباطل.

مانع حق المؤمن:

١- الكافي: ٣٠٠/٢، باب من وصف عدلاً وعمل به غيره، حديث ٢، وسائل الشيعة ٢٩٦/١٥، باب انه لا يجوز لمن وصف عدلاً، حديث ٢٠٥٥٦.

٢- الكافي: ٣٠٢/٢، باب الغضب حديث ١/وسائل الشيعة، ٣٥٨/١٥، باب ٥٣ وجوب تسكين الغضب.

٣- الكافي: ٣٠٨/٢، باب العصية حديث ٣، بحار الانوار: ٢٨٤/٧٠، باب ١٣٣ العصية والفخر، وسائل الشيعة: ٣٧٠/١٥، باب ٥٧ تحريم التعصب.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا يونسَ مَنْ حَبَسَ حَقَّ الْمُؤْمِنِ أَقَامَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَمْسَ مِائَةِ عَامٍ عَلَى رِجْلَيْهِ حَتَّى يَسِيلَ مِنْ عَرْقِهِ أَوْدِيَةٌ وَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هَذَا الظَّالِمُ الَّذِي حَبَسَ عَنِ الْمُؤْمِنِ حَقَّهُ فَيُوبِخُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ»<sup>١</sup>.

الاعتداء بالطاغوت والحب الشديد للدنيا:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا عيسى ابن مريم عليه السلام في سياحته إذ مر بقرية فوجد أهلها موتى في الطريق والدور، فقال: إن هؤلاء ماتوا بسخط و لو ماتوا بغيرها تدانوا قال فقال أصحابه: وددنا نعرفنا قصتهم، فقبل له: نادهم يا روح الله فقال: يا أهل القرية فأجابه مجيب منهم: لبيك يا روح الله، قال: ما حالكم و ما قصتكم؟ قال: أصبحنا في عافية و بتنا في الهاوية. فقال: ما الهاوية؟ فقال: بحار من نار فيها جبال من النار. قال: و ما بلغ بكم ما أرى؟ قال: حب الدنيا و عبادة الطاغوت. قال: و ما بلغ بكم من حب الدنيا؟ قال: كحب الصبي لأمه إذا أقبلت فرح و إذا أدبرت حزن. قال: و ما بلغ من عبادتكم الطاغوت؟ قال: كانوا إذا أمرونا أطعناهم. قال: فكيف أجبتي من دونهم. قال: لأنهم ملجمون بلجم من نار عليهم ملائكة غلاظ شداد. و أنني كنت فيهم ولم أكن منهم. فلما أصابهم العذاب أصابني معهم، فأنا معلق بشعرة أخاف أن أنكب في النار. قال فقال

١- ثواب الأعمال: ٢٤٠، عقاب من حبس حق المؤمن، بحار الانوار: ١٠٠/١٤٧، باب ٣، حديث ٦.

عيسى عليه السلام لأصحابه: النوم على دبر المزابل و أكل خبز الشعير يسير مع سلامة الدين<sup>١</sup>.

بالطبع فإن الآيات والروايات التي تبين عقاب الذنوب أكثر مما ذكرنا، ومن أراد الاطلاع أكثر فيمكنه أن يراجع كتب «بحار الانوار»، و«عقاب الاعمال»، و«الكافي»، و«المحجة البيضاء».

نعم، عندما يعلم الإنسان جزاء وعقاب الذنوب عن طريق القرآن والروايات النابعة من الوحي؛ يتابه خوف شديد من ذلك؛ وهذا الخوف هو من أهم العوامل الرادعة لارتكاب الذنوب. وهو وسيلة لطلب المغفرة من الذنوب السابقة وتكفيرها، وهذا هو الخوف الضروري واللازم للإنسان، الذي أشار إليه القرآن الكريم والروايات:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ \* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾<sup>٢</sup>.

الابتعاد عن الطاغوت خوفاً من الله عزوجل:

عن الفضل بن الربيع قال: حج هارون الرشيد إلى بيت الله الحرام، فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت: يا أمير لو أرسلت إلي أتيتك. فقال: ويحك قد حل في نفسي شيء فانظر لي رجلاً أسأله، فقلت: ها هنا سفيان بن عيينة فقال: امض بنا

١- ثواب الاعمال: ٢٥٤، عقاب حب الدنيا وعبادة الطاغوت؛ وسائل الشيعة: ٢٥٥/١٦، باب تحريم

مجاورة أهل المعاصي.

٢- النازعات ٧٩: ٤٠.

إليه. فأتيناه ففرعت الباب فقال: من ذا؟ فقلت: أجب الأمير فخرج مسرعاً. فقال: يا أمير، لو أرسلت إلي أتيك. فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله. فحدثه ساعة ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم فقال: أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً انظر لي رجلاً أسأله، فقلت له: هاهنا عبد الرزاق بن همام. قال: امض بنا إليه فأتيناه ففرعت الباب فقال: من هذا؟ قلت: أجب الأمير. فخرج مسرعاً فقال: يا أمير لو أرسلت إلي أتيك قال خذ لما جئناك له فحدثه ساعة ثم قال: له عليك دين؟ قال: نعم قال: أبا عباس اقض دينه. فلما خرجنا قال: ما أغنى صاحبك شيئاً انظر لي رجلاً أسأله قلت: ها هنا الفضيل ابن عياض. قال: امض بنا إليه فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددتها فقال: اقرع الباب ففرعت الباب فقال: من هذا فقلت: أجب الأمير فقال: ما لي ولأمير المؤمنين فقلت: سبحان الله أما عليك طاعة؟ فقال: أليس قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: ليس للمؤمن أن يذل نفسه، فنزل ففتح الباب ثم إرتقى إلى الغرفة فأطفأ المصباح ثم إلتجأ إلى زاوية من زوايا البيت فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف هارون قبلي إليه، فقال: يا لها من كف ما أليتها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل. فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب نقي. فقال: له خذ لما جئناك له رحمك الله. فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء ابن حيوة فقال لهم إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي. فعدت الخلافة بلاء وعددها أنت وأصحابك نعمة فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن إفطارك من الموت، وقال له محمد بن كعب القرظي: إن

أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم عندك ولدا فوقر أباك واکرم أخاك وتحزن على ولدك. وقال له رجاء بن حيوة: إن اردت النجاة غدأ من عذاب الله عز وجل فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واکره لهم ما تكره لنفسك ثم مت إذا شئت. وإني أقول لك أني أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الأقدام فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا؟ فبکی هارون بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت له: أرفق بالأمر فقال: يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وارفق به أنا ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله فقال: يا أمير بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكاً إليه فكتب إليه عمر: يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء قال فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له ما أقدمك قال خلعت قلبي بكتابتك لا أعود إلى ولاية أبدا حتى ألقى الله عز وجل. قال فبکی هارون بكاء شديدا ثم قال له: زدني رحمك الله.

فقال: يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أمرني على إمارة فقال له النبي ﷺ إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل. فبکی هارون بكاء شديدا وقال له: زدني رحمك الله. فقال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك فإن النبي ﷺ قال: من أصبح لهم غاشاً لم تر رائحة الجنة. فبکی هارون وقال له: عليك دين؟ قال: نعم دين

لربي يحاسبني عليه فالويل لي إن سألتني والويل لي إن ناقشني والويل لي إن لم ألهم حاجتي. قال: إنما اعني دين العباد. قال إن ربي لم يأمرني بهذا، أمر ربي أن أوحده وأطيع أمره، فقال عز وجل:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ \* مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ \* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾!

فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقو بها على عبادتك. فقال: سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا! سلمك الله ووفقك. ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال هارون: أبا عباس إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين. فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به. فقال لها: مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بغير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه. فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله فانصرفنا.

يقول «ابو المحاسن» لنا قصة حول خوف الفضيل من مقام الله سبحانه

وتعالى، عن بُشر الحافي؛ فيقول: كنت مع الفضيل في الحج، فبقينا معاً إلى منتصف الليل، ثم قام وطاف بالبيت حتى مطلع الفجر، فقلت له: يا أبا علي، ألا تريد النوم؟ فأجاب: الويل لمن سمع نار جهنم، كيف ترتاح روحه أن تنام؟<sup>١</sup>  
وفي هذا المجال حكاية منقولة تتضمن نظير ما سلف، وهي:

بعث «تيمور گوركاني» أحد خواصه عند الشيخ «زين الدين تاييادي»، و اراد ملاقاته. فأجاب الشيخ: مالنا والأمير، فاضطر تيمور أن يأتي بنفسه إلى الشيخ. فنصحه الشيخ في هذا اللقاء. فقال تيمور: يا شيخ! لِمَ لم تنصح «الملك غياث الدين»؟ فأجابه الشيخ: بلى، قد فعلت، ولكنه لم يستمع إلى ذلك. فسأطك الله عليه، وإن أنت لم تحكم بين عباد الله بالعدل، يسأط الله عليك آخر. فسأل تيمور: ومن يسأط علي؟ فأجابه الشيخ: عزرائيل.<sup>٢</sup>

#### ٥- الخوف من النقصان في العبادة:

هذا الخوف هو من أعلى مراحل الكمال الانساني ومن افضل العوامل المشوِّقة للوصول إلى مقام أفضل.

فبمساعدة هذا الخوف، يسعى الإنسان أكثر في عبادة وطاعة مولاه، والى أن تكون عبادته جامعة لكل الشروط المطلوبة.

فالذي ينور قلبه بنور معرفة الله، ويعرف ربه حقاً، ويعلم عظمته، بكل تأكيد؛ فإنه سوف يرى عبادته مع كثرتها وإخلاصها؛ قليلة، بل لا شيء أمام عظمة الله

١- «تصوّف وادبيات تصوف»: ٢٧٠-٢٨١.

٢- «مقدمه حافظ انجوي»: ٦٠.

وكبرياته.

فالإنسان في قلق و توجس حقاً أمام عظمته اللامتناهية، ولأجل رفع تلك الوحشة فهو مضطر لأجل يبذل جميع ما في وسعه.

فالإنسان على أساس علمه بالقرآن الكريم والمعارف الإلهية، يصل إلى نتيجة بأن علم المحبوب محيط بكل شيء، ولا يخفى عليه ذرة في عالم الوجود. فالإنسان بهذه المعرفة والتوجه، ينتبه إلى نفسه ويصبح: لربما هنالك نقص وقصور في عبادتي واطاعتي لرب العالمين، وأنا لا أعلم بسبب علمي ومعرفتي المحدودة، الذي قد يؤدي هذا القصور إلى عدم قبول أعمالي عند المحبوب، أو لربما لم يكن فيها نقص أو قصور، ولكن أعمالي أمام عظمته سبحانه وتعالى قليل أو بالاحرى هي لاشيء. فعندما يحاسب الإنسان نفسه هكذا، يؤدي به إلى الخوف الشديد، وبالنتيجة إلى تحسين عبادته وطاعته لله سبحانه وتعالى دائماً.

يروى عن رسول الله ﷺ؛ أنه حينما كان في يقف في محراب العبادة أمام الله عز وجل، يقول:

«ما عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ وَمَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ»<sup>١</sup>.

فالذي يعشق الله كلما يقترب إليه، يعرف عظمة وجلالة الله أكثر، وتنتابه حالة خوف عظيم ويرى عبادته لا شيء؛ أمامه وإن كانت كثيرة، ويعقب هذا الخوف، العبادة الكثيرة، إلى ان يصل السالك إلى مقام القرب من الله وإلى وصال ولقاء المحبوب، عند ذلك؛ يتحول هذا الخوف إلى أَمْن، ويرتقي إلى أسمى المراتب الإنسانية.



ويمكننا ان نجد مثل هكذا سير وسلوك تجاه المحبوب، وهذا الشكل من الحب والشوق، والخوف منه، وكثرة العبادة، في وجود إمام العارفين، ومولى الموحيدين، وقائد العشاق، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.  
 في هذا المجال، من الأفضل لنا ان نرجع إلى كلام «ضرار بن ضمرة» المحب والعاشق للإمام علي عليه السلام، عندما سأله معاوية أن يصف له أمير المؤمنين عليه السلام، فقد روى المجلسي في البحار أنه:

«دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية بن أبي سفيان يوما فقال له: يا ضرار صف لي عليا فقال: أو تعفيني من ذلك؟ قال: لا أعفوك قال: أما إذا لابد: فإنه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة على لسانه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل وظلمته. كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما جشب. كان والله معنا كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ويجيبنا إذا سألناه وكان مع دنوه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ النظيم. يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله. أشهد بالله لرأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه ماثلا في محرابه قابضا على لحيته يتململ يتململ السليم ويكي بكاء الحزين وكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا يا دنيا أبي تعرضت؟ أم إلي تشوقت؟ هيهات هيهات غري غيري لا حان حينك قد أنتك (طلقتك) ثلاثا عمرك قصير وخيرك حقير وخطرك غير كبير آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. فوكفت دموع معاوية على لحيته وجعل يستقبلها بكمه واختنق القوم جميعا بالبكاء وقال: هكذا [كان] أبو الحسن يرحمه الله فكيف وجدك عليه

يا ضرار؟ فقال: وجد أم واحد ذبح واحدا في حجرها؛ فهي لا يرقى دمعها ولا يسكن حزنها!.

حديث السجّاد عليه السلام مع جابر بن عبد الله حول العبادة:

روي أنّ السيدة سكينه لما نظرت إلى ما يفعل أخوها علي بن الحسين بنفسه من الدأب في العبادة، أتت جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري فقالت له:

«يا صاحب رسول الله إن لنا عليكم حقوقا، من حقنا عليكم أن إذا رأيتم أحدا يهلك نفسه اجتهادا أن تذكروه الله وتدعوه إلى البقاء على نفسه، وهذا علي بن الحسين بقية أبيه الحسين قد انخرم أنفه، وثفتت جبهته وركبته وراحته، إءاءاً منه لنفسه في العبادة، فأتى جابر بن عبد الله باب علي بن الحسين عليه السلام، وبالباب أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام في اغيلمة من بني هاشم قد اجتمعوا هناك، فنظر جابر إليه مقبلا فقال: هذه مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسجيته، فمن أنت يا غلام؟ قال: فقال: أنا محمد بن علي بن الحسين، فبكى جابر رضي الله عنه، ثم قال: أنت والله الباقر عن العلم حقا ادن مني بأبي أنت، فدنا منه فحل جابر أزراره، ووضع يده على صدره فقبله، وجعل عليه خده ووجهه وقال له: اقرئك عن جدك رسول الله صلى الله عليه وآله السلام وقد أمرني أن أفعل بك ما فعلت وقال لي: يوشك أن تعيش وتبقى حتى تلقى من ولدي من اسمه محمد يبقر العلم بقرا، وقال

١- أمالي الشيخ الصدوق: ٦٢٤، المجلس الحادي والتسعون، حديث ٢، بحار الانوار: ٣٣/٢٧٤،

لي: إنك تبقى حتى تعمى ثم يكشف لك عن بصرك، ثم قال لي: ائذن لي على أبيك، فدخل أبو جعفر على أبيه فأخبره الخبر، وقال: إن شيخا بالباب وقد فعل بي كيت وكيت، فقال: يا بني ذلك جابر بن عبد الله، ثم قال: أمن بين ولدان أهلك قال لك ما قال، وفعل بك ما فعل؟ قال: نعم، قال: إنا لله إنه لم يقصدك فيه بسوء، ولقد أشاط بدمك، ثم أذن لجابر فدخل عليه، فوجده في محرابه قد أنضته العبادة، فنهض علي عليه السلام فسأله عن حاله سؤالا حفيثا ثم أجلسه بجانبه، فأقبل جابر عليه يقول: يا ابن رسول الله أما علمت أن الله تعالى إنما خلق الجنة لكم ولمن أحبكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك؟ قال له علي بن الحسين عليه السلام: يا صاحب رسول الله أما علمت جدي رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلم يدع الاجتهاد وتعبد - بأبي هو وامي - حتى انتفخ الساق وورم القدم، وقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: أفلا أكون عبدا شكورا؟ فلما نظر جابر إلى علي بن الحسين عليه السلام وليس يغني فيه قول من يستميله من الجهد والتعب إلى القصد، قال له: يا ابن رسول الله البقيا على نفسك فإنك من اسرة بهم يستدفع البلاء، ويستكشف اللأواء، وبهم تستمطر السماء، فقال له: يا جابر لا أزال على منهاج أبوي مؤتسيا بهما صلوات الله عليهما حتى ألقاهما، فأقبل جابر على من حضر فقال لهم: والله ما أرى في أولاد الانبياء بمثل علي بن الحسين إلا يوسف بن

يعقوب عليه السلام، والله لذرية علي بن الحسين أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب إن منهم لمن يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً<sup>١</sup>.

حقاً، ما اعجب هذا الرجل الذي كان كله عبادة، الإمام الذي يسجد بعد صلاة الصبح ويقول في سجده ألف مرة:

«لا إله إلا الله حقاً حقاً، لا إله إلا الله عبودية ورقاً لا إله إلا الله إيماناً وتصديقاً».

الإنسان الذي كان يحمل جراب الطعام على كتفيه بعد أربعين عاماً من حادثة عاشوراء الأليمة، ويوصلها إلى الفقراء والمحتاجين. السيد الذي كانوا يقطعوا أنسجة جبهته وركبته مرتين في السنة من كثرة ركوعه وسجوده. العظيم الذي سعى بكل ما أوتي، من أجل تربية الناس. ومع كل هذا فإنه يرى عبادته أمام الله لا شيء، وهذه الرؤية في أن عبادته قليلة أمام عظمة الحق سبحانه وتعالى، تجعله في توجس من لقائه؟

بكل تأكيد، فإن هذا الخوف، هو أفضل سبب للرشد والكمال، ورؤية الإنسان لأعماله أنها لا شيء أمام الله، هي أعلى درجات التواضع أمام الحق سبحانه وتعالى والخلق.

فقد سئل الفضيل ليلة عرفة: كيف ترى أحوال هؤلاء الناس؟ فأجاب: الكل مغفور له، إن لم أكن معهم<sup>٢</sup>.

يقول استاذ الاخلاق المرحوم الحاج الشيخ محمود الياسري:

١- أمالي الشيخ الصدوق: ٦٣٦، حديث ١٣١٤؛ بحار الأنوار: ٦٠/٤٦، باب ٥، حديث ١٨.

٢- «تصوّف وادبيات تصوف: ٢٨٢».

قال رسول الإسلام ﷺ لجبرائيل: اخبرني عن عجائب ما رأيت؟ فأجاب أمين الوحي: في الأرملة السابقة، بينما كنت أريد النزول إلى أحد الأنبياء، رأيت عبداً في أحد الجزر يعبد الله بكل شوق، ويدعو الله أن يجعل منيته وهو ساجدٌ له.

فما احسن عبادته، وقد عبد ربه اربعمائة عام، وكان دعاؤه مستجاباً، فأحبت أن أرى حاله في يوم القيامة.

فكانت أعماله يوم القيامة مقبولة، وجاء الخطاب إليه:

«أَدْخُلْ جَنَّتِي بِرَحْمَتِي».

فقال ذلك العابد:

«أَدْخُلْ جَنَّتِكَ بِعَمَلِي».

فجاء الخطاب: يا ملائكتي، أنه يريد ان اعامله بعدلي، احصوا جميع نعمي عليه، أمام عبادة هذا العابد، فإن رجحت كفة عبادته، فهو إلى الجنة، وإلا فهو إلى النار. فبدوا بإحصاء النعم، بدءاً من نعمة البصر، فكانت هذه النعمة كافية لان ترجح كفتها على جميع عبادة ذلك العابد، فأرادوا به إلى النار، فقال العابد: يارب، إن شيئاً آخر لي، فجاء الخطاب: ماهو؟ فقال: كنت آمل بكرمك، وحسن ظني بك، والأكثر من ذلك فقري وحاجتي. فيأتي النداء مرة أخرى: أن زحزحوا بعبيدي من النار إلى الجنة بحسن ظنه بي، فلمّا أراد الدخول إلى الجنة، قال:

«أَدْخُلْ جَنَّتِكَ بِرَحْمَتِكَ».

نعم، فمهما كانت عبادتنا كثيرة، فإنها من لطفه وعنايته، وما قدر عبادتنا قياساً

بعظمته وجلاله سبحانه وتعالى!؟

تعالوا نقول مثلما قال الرسول الأعظم ﷺ:

«ما عبدناك حقَّ عبادتك»<sup>١</sup>.

وكذلك كأمر المؤمنين ﷺ في آهاته الحرى:

«آه من قلة الزادِ وبعْدِ السفر»<sup>٢</sup>.

## ٦- الخوف من ضالة النفس امام عظمة الخالق:

الإنسان هو محدود من ناحية الجسم والروح والعقل، وليس جميلاً للموجود المحدود ادعاء العظمة والتكبر. سبب ادعاء العظمة هو النسيان، فغرة الإنسان وعظمته تكون فقط باتصاله بمقام الحق الذي هو الارتباط بأوامر الله عز وجل، بالاخص التقوى. فهذه العزة والعظمة ليست من ذات الإنسان، بل هو مقام يحصل عليه بواسطة السير في طريق الله. فبدون هذا الارتباط والاتصال فإن الإنسان حاله كحال ذرة من ذرات الأرض. الأرض التي هي لا شيء أمام المنظومة الشمسية والمنظومة امام هذه المجرات الكونية العظيمة هي أيضاً لا شيء، والمجرات امام السماء الاولى ليست أكثر من ذرة من الذرات، والسماء الاولى بالنسبة إلى السماء الثانية فإنها أصغر، وهكذا فالسماوات السبع امام العرش لا شيء.

سمعت أن لكل كوكب عالم، فيه أرض وسماء مستقلة.

والأرض في مقابل هذه الأفلاك، كنبته في عمق البحار.

فانظر ما قيمة نفسك أمام هذه النبتة، ثم بعد ستضحك من غرورك.<sup>١</sup>

١- بحار الأنوار: ٢٣/٦٨، باب ٦١، الشكر.

٢- بحار الأنوار: ٢٧٤/٣٣، باب نواذر الاحتجاج، حديث ٥٣٨؛ إرشاد القلوب: ٢/٢١٨، الجزء الثاني،

في فضائل ومناقب أمير المؤمنين ﷺ.

فالإِنسان مع صغر جرمه، إذا لم يكن ارتباطه بالحق سبحانه وتعالى، فهو ليس إلا عبارة عن لحم وجلد وعظام نخرة، فهل من المناسب له أن يدعي العظمة؟ فالإنسان البصير، عندما ينظر إلى ضالته امام عظمة الله، ينتابه خوف و وحشة شديدة، فلا يرى علاج لهذا الخوف؛ غير التمسك بحبل الله المتين.

نعم، كما قال الإمام الحسين في مناجاته ربّه يوم عرفة:

«ابْتَدَعْتَ خَلْقِي مِنْ مَنِيَّ يُمْنِيَّ وَأَسْكَنْتَنِي فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثَ  
بَيْنَ لَحْمٍ وَدَمٍ وَجِلْدٍ لَمْ تُشْهِدْنِي خَلْقِي، وَلَمْ تَجْعَلْ إِلَيَّ شَيْئاً  
مِنْ أَمْرِي ثُمَّ أَخْرَجْتَنِي لِلَّذِي سَبَقَ لِي مِنَ الْهُدَى إِلَى الدُّنْيَا  
تَاماً سَوِيّاً وَحَفِظْتَنِي فِي الْمَهْدِ طِفْلاً صَبِيّاً».

نعم، تعالوا نطالع بدقة الآيات البيّنات في القرآن الكريم حول صفات الله سبحانه وتعالى التي لا نهاية لها مثل الإرادة، العلم، القدرة، الامر والخلق. . . ، تعالوا، لنشاهد عظمة الخلق التي هي نموذج صغير من اشعة نور عظمة الخالق. تعالوا ننظر إلى صغر أنفسنا حتى نرى كيف ينتابنا الخوف والتوجس، ولكي نعوض صغرنا المخوف هذا، فإننا نتحرك لكي نتصل بالله ونحرر أنفسنا من هذا الخوف، ويصبح حالنا من الذلة إلى العظمة ومن الخوف إلى الأناس.

وبالطبع فإن هذا الخوف، أو بتعبير اللطف؛ «الخشية» إنما تحصل للإنسان عن

طريق المعرفة؛ بجلال وجمال وكبرياء وعظمة الله سبحانه وتعالى التي لا حدود لها.

لاحظوا تاريخ الأنبياء والأولياء وعباد الله الموقنين، اولئك الكرام الذين لم

يخطر على بالهم - طوال حياتهم - لحظةً لارتكاب ذنب، كيف أنهم امام عظمة الله يكون ويستغيثون؛ مع كل تلك العبادة فإنهم لا يعتبرون أنفسهم شيئاً.  
يقال انه: بعد ان هبط آدم إلى الأرض وخروجه من الجنة؛ بكى كثيراً، ونوح - الذي اسمه يدل على معناه - كان يبكي كثيراً وطويلاً<sup>١</sup>.

تصوّروا أن ابراهيم النبي ﷺ مع ما له من مقام سام؛ وما وصفه الله في قرآنه المجيد، ماذا كان يخاطب الله سبحانه وتعالى في دعائه، حتى جاءه الخطاب عن طريق امين الوحي قائلاً له: هل رأيت الصديق يورط محبوبه بالعذاب والتعب؟ فقال لجبرائيل: لا ولكني كلما تذكرت ذنوبي، انسى الصداقة. هذا في وقت دل القرآن الكريم على عصمة وطهارة الانبياء ﷺ، فماذا يعني هذا الخطاب في كلام ابراهيم ﷺ؟ انه ذلك الإحساس بصغر النفس امام عظمة وجلالة الله سبحانه وتعالى.

انظروا إلى الادعية الواردة من الرسول الأعظم ﷺ، والأئمة المعصومين، خصوصاً دعاء كميل، والمناجاة الشعبانية، وكذلك المناجاة الخمسة عشر، ودعاء عرفة، ودعاء أبي حمزة الثمالي - الذي هو من إنشاء الإمام السجاد ﷺ - حتى تروا أن الإنسان بمعرفة عظمة الخالق وذلك في المخلوق، كيف يتابه هذا الخوف الشديد، وكيف أنه من أجل أن يعوّض صغره نفسه، يقدم على العبادة الخالصة لله سبحانه وتعالى؟

١- روى المرحوم المجلسي رحمه الله: أن اسم النبي نوح كان «عبدالغفار»؛ لكنّه بسبب بكانه الشديد والطويل اشتهر باسم «نوح». «عن ابي عبدالله ﷺ قال: كان اسم نوح ﷺ عَبْدَ الْغَفَّارِ وَأَمَّا سُمِّيَ نُوحًا لِأَنَّهُ كَانَ يُنُوحُ عَلَى نَفْسِهِ».



## الفرق بين الخوف والخشية:

من المناسب هنا، ان نذكر قول العلامة الخواجة نصير الدين الطوسي حول الفرق بين الخوف والخشية، حتى نعلم لماذا أن عشاق الله يتناهبم الخوف، وتفيض اعينهم من الدمع، كسحب الربيع:

يقول الخواجة:

الخوف والخشية وإن كان لها في اللغة نفس المعنى، لكنهما لدى أهل العرفان كل واحد منهما له معنى مختلف. فالخوف عندهم هو: اضطراب وقلق القلب من العقاب والجزاء جراء ارتكاب الذنب وترك الطاعة. وهو موجود عند أكثر الناس. وله مراتب سامية كثيرة، وقليل منهم يدرك المرتبة السامية لها. أما الخشية؛ فهي حالة في القلب من درك عظمة وهيبة الله، والخوف من الحرمان من لطفه. ولا تحصل هذه الحالة، إلا لمن عرف جلال كبريائه، وذاق طعم قربه سبحانه وتعالى!

لذا، فإن البكاء والتضرع، والندبة، والعيول، وخشية عشاق الله، هو لمعرفة بعظمة الله، وهذه الخشية والتضرع وتحمل عبء هذه العبادة الشاقة، إنما هو ليجبروا فقرهم واحتياجهم، بواسطة التقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

يقول المرحوم (ملا احمد النراقي) - ذلك العاشق الطاهر - في كتابه «طاقديس»

في باب البكاء العجيب لنبي الله شعيب عليه السلام:

لقد بكى نبي الله شعيب بجانب الجدار، بكى أياماً مضيئة وليال مظلمة.

وعُميت عيناه ولم يستطع الرؤية، وأعطاه الله السلطان عينه.  
والذي أنعم عليه بالعينين من بداية حياته، أعطاه مرةً أخرى عينيه عندما عُميت.  
وهب له عينيه لكي ينظر بعين العبرة إلى الأشياء، ونراه هل اعتبر من الأشياء أم لا؟  
في كل وقت وفي السحر والليل، بكى لدرجة أنه فقد عينيه.  
عُميت عينيه الطاهرتين مرةً أخرى، وأعطاه الخالق عينيه مرةً أخرى.  
وبكى مرةً ثالثة بكاءً شديداً، في مكان ما وفي المدينة والصحراء  
والوديان.

وبكى ليل نهار، حتى عميت عيناه.  
عُميت عيناه ولم يقلّ بكاءه، ولم تجده ساعة دون بكاء أو مَأتم.  
في الليالي يبكي كثيراً، وفي النهار يتحسّر و يطلق الآهات.  
وبكى لدرجة أن الوحوش، والطيور قد أتت من سماع صوت بكائه.  
حتى نوذي ذات ليلة، إلى متى تبكي يا شعيب؟  
فبكاؤك قد أبكى الخلق، فاحترق الروح يؤدي إلى احتراق الجسم.  
وانت بمثابة الروح والرعية بمنزلة جسدك، وانت المعنى والخلائق أسماؤك.  
وكل شخص عندما يبكي فلديه غاية، يا شعيب ما غايتك من بكائك؟  
فإن كان بكاؤك خوفاً من نار جهنم، فإننا قد أغلقناها دونك.  
وحرّمنا عليك نار جهنم، مثلما حرّمنا الجنة على الكفار اللثام.  
وإن كان بكائك لأجل الجنة، والوصول إلى الحور العين.  
فإننا أعددنا الجنة وما فيها لك، وزيّتها الحور العين بأجمل زينة.

الحوار العين ينتظرنك ليل نهار، وقلوبهن مليئة بالشوق إليك.  
فهذه الجنة وهذه الحور وهذا انت يا شعيب، متى ما شئت هلم.  
فلما سمع شعيب هذا النداء من السماء، تأوّه من أعماق قلبه الحزين.  
يا إلهي؛ يا راحة كل روح مستهام، مالي وللجنة والنار.  
ماهي النار كي أخاف منها، أو أبكي من لظاها.  
فأنا الذي وسط النار منذ سنين، وكبرت وشبت في النار.  
وأنا الذي قضيت عمري وتلذذت بالنار، فمن يخوفني من النار؟  
فهؤلاء، ينظرون إلى العظمة الإلهية، ويرون كل شيء صغير وحقير ولا شيء،  
مثلا يصفهم أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة المتقين عندما يقول:  
«عَظَمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَادُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ».  
من اجل هذا، فإنهم لا يؤملون النفس بأي شيء، ولا يفرحون من نيل النعم  
الدينيوية، ولا يحزنون من ذهابها، وكل مصائب الدنيا تهون عليهم إلا فراق  
المحبيب، ولا يتخاصمون على الدنيا مع أحد، ويغضون ابصارهم عن اموالها،  
منزهون من الصفات الرذيلة، لان سببها هو حب الدنيا، ولا يهتمون لهذه الدنيا،  
لذلك؛ فإنهم غير ملوثين بها.  
ويعشقون الله فقط، ولا يعرفون كعبة غير قبلته ولا يطيعون أمر أو نهي أحد  
سواه، ولا يخافون إلا منه، ولا يبحثون عن الذنب أبداً، حتى انهم لا يخطر ذلك  
على بالهم، أظهر الأعمال والأفكار هو عملهم. وجودهم للناس وللعالم بركة،  
ولا يُنتظر منهم إلا الخير والبركة. في وقت هم يتحلون بجميع المحاسن  
والأعمال الحسنة والطيبة، وبعيدين عن الرذائل، فإنهم يحسبون أنفسهم من أفقر

الفقراء وأقل العاملين.

ولهذا فإنهم يتفوقون على الناس، في إطاعة أوامر الحق، والبكاء من خشيته، والتوبة امامه من الفقر والقصور في أداء الطاعة.

يقول الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل مع ما هو عليه من العظمة والجلال - التي حصل عليها عن طريق العبادة:

«فَكَيْفَ لِي وَأَنَا عَبْدُكَ الضَّعِيفُ الدَّلِيلُ الْحَقِيرُ الْمَسْكِينُ  
الْمُسْتَكِينُ»<sup>١</sup>.

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية:

«وَأَنَا أَفْقَرُ الْفُقَرَاءِ إِلَيْكَ»<sup>٢</sup>.

ويقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة:

«إِلَهِي كُلَّمَا أَخْرَسَنِي لَوْمِي أَنْطَقَنِي كَرَمُكَ».

مع من اتكلم؟ مع نفسي! فالرذائل شوّهت وجهي لدرجة أنني لا أريد أن أرى وجهي.  
إلهي! مع من أتكلم؟ مع حضرتك! فإني أرى جميع طرق الوصول إليك  
موصدة بوجهي، وأسكتني ذنوبي ومعاصيبي.

إلهي! مع من أتكلم؟ مع الآخرين! فلا ريب أن النفس سوف تخفي حقيقتها،  
وسوف تظهر لهم محاسنها، في هذا الوقت، سيكون وجهي أقبح وأوسخ من ذي  
قبل، لأنها سوف تضيف إلى سيئاتها، أنها تلوث بدنس الرياء.

١- الأقبال: ٧٠٨؛ مصباح المتعبد: ٨٤٧

٢- الصحيفة السجادية: ٧١، الدعاء العاشر.

إلهي! مع من أتكلّم! مع عالم الطبيعة التي هي مطيعة لك دون أي اعتراض؟ ذلك الموجود الذي سلّم نفسه لواضع القوانين؛ الأزلي، وأي شبه فيّ منه أنا الذي حتى لم أحارب ميول نفسي؟!!

يا إلهي العزيز والرحيم! فلم يبقى موجود آخر لم يتكلم معه هذا التائه الحيران! فكيف يجد مفرّاً من هو ملوّث بالردائل والسيئات؟ هنالك أمر واحد، وسفينة نجاة واحدة فقط، هو كرمك الذي لا نهاية له.

وما أحسن أنني لم أكن بحاجة إلى النطق بالألفاظ، حتى لا أكون خجلاً أكثر من مفاهيم تلك الألفاظ!

نعم، هذا هو رأي العارفين وسالكي الطريق، وهم أهل البصيرة والمعرفة بالله سبحانه وتعالى، مع ان آثار العبودية في سيماهم فإنهم لا يحسبون انفسهم شيئاً امام عظمة الخالق. ومن اجل هذه المعرفة والشعور الكثير، فكلما يتقدمون أكثر ويتقربون أكثر إلى مقام القرب منه، يصلوا إلى حقيقة أنهم لا شيء، ويتتاب وجودهم خشية أثقل، فأولئك بهذه الطريقة يستمرون على هذا النهج، إلى ان ينتقلوا إلى العالم الآخر، وعندها يأتيهم هذا النداء:

﴿.. أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾<sup>١</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً

١- «نبايش حسين: ٥٤».

٢- فصلت ٤١: ٣٠.

## مَرَضِيَّةٌ ﴿١﴾

فتستحيل خشيتهم إلى أمن تام، وبتصالهم بمقام حضرة المحبوب، يتخلصون من هذا النقص المحيط بهم من كل جانب.

حقاً، فأولياء الله ما هذا رأيهم في أنفسهم؟ نعم، ان الإنسان أشرف من كثير من المخلوقات، كلما اطلع هذا الإنسان على فقره واحتياجه وانه لا شيء، كلما تجلت عظمة وكبرياء، وجلال وجمال الحبيب في قلبه، وكلما تجلّى جمال المعشوق في قلب العاشق، وكان على معرفة بعظمة المعشوق، ومطلع على ذلة و ضآلة نفسه، فإنه يتتابه خشية أكثر. و بهذا الزخم المعنوي، فإنه يستمر أكثر في المسير، ومن أجل رفع هذه الذلة والحقارة، فإنه يتقرّب أكثر الى حضرة المحبوب ويسعى.

## «فَالْخَوْفُ فَرْعُ الْعِلْمِ»

### جذور الخوف:

ينظر الإمام الصادق عليه السلام؛ العلم والمعرفة على أنها جذور الخوف. وهذا الكلام هو عين الواقع والحقيقة، لأن الخوف من الأمور القلبية والحصول عليها خارج عن نطاق ارادتنا وليست اختيارية، وحصولها ممكن بمساعدة مقدمات اختيارية وافضل مقدمة أو بالأحرى أكثر عامل مؤثر في تحصيل الخوف والخشية؛ هو العلم والمعرفة.

ان الإنسان المطلع الذي يعي مقام الحق والعالم بذنبه فإنه بكل تأكيد يخاف الله سبحانه وتعالى ويتجه نحو طلب التوبة والانابة منه، والعالم بالجزاء والعقاب، يسعى أن يترك الذنب، والمطلع على تقصيره في عبادته أمام الله جل وعلا، يتحرك لكي يعوّض هذا النقص ويكفّر عن ذنوبه. والذي يعي عن طريق تعاليم الانبياء عليهم السلام، والاطلاع على القرآن الكريم وثقافة أهل البيت عليهم السلام، معرفة الله وعظمته، يدرك كم هو ضئيل وصغير، وينتابه الخوف والخشية بكل تأكيد؛ وكما يقول الله عزوجل:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>١</sup>

و نظرا إلى أهمية العلم والمعرفة، - العلم والمعرفة بالله سبحانه وتعالى وشؤونه - هو أساس الخوف، فسوف نشير إلى بعض الآيات والروايات التي جاءت في باب العلم. وقبل ان ندخل في هذا البحث، يجب علينا ان نعلم ان فضيلة العلم تستند فضيلة نوعها، وبما ان الله سبحانه وتعالى وشؤونه هو أكبر من كل شيء، لذا فان العلم بالله وشؤونه هو من أفضل العلوم، ومصدق الآيات والروايات الكامل للعلم، هو العلم بالله وشؤونه، والتي هي أساس الخوف والخشية، وافضل سبب لطهارة وتربية الإنسان.

العلم في القرآن:

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ

وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>٢</sup>

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ

وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ

لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾<sup>٣</sup>

في هذه الآية، تعد آثار العبودية الحقيقية، ناتجة من معرفة وفهم العبد لله سبحانه وتعالى وشؤونه.

١- فاطر ٣٥: ٢٨.

٢- التوبة ٩: ١٢٢.

٣- الزمر ٣٩: ٩.



﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ \* وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ \*  
وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ \* وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ  
إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾<sup>١</sup>.

الأئمة الأطهار عليهم السلام فسروا هذه الآية على هذا النحو:

لا يستوي الكافر المليء بظلمة الروح، وعمى القلب، مع المؤمن الذي ملؤه النور والضياء، ولا تستوي الحياة المضيئة بنور الهداية، مع الحياة المليئة بالكفر والشيطان، ولا يستوي من هو في ظل لطف الله وظل الإيمان، مع الذي هو غارق في نار العصيان والشقاوة. ولا تستوي الحياة المليئة بالعلم والإيمان والمزينة بالمعرفة والبصيرة، مع الحياة الملوثة بالجهل والحمافة.

وهل يستوي الذي وصل إلى معرفة الله وانبيائه والأئمة عليهم السلام واليوم الآخر، ووصل بفضلها إلى أعلى الدرجات الإنسانية، مع من يشبه الحيوانات؛ وهمه الوحيد هو الأكل والعلف؟

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ  
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>٢</sup>.

العلم في الروايات:

عَنْ الصَّادِقِ عليه السلام: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ:

١- فاطر ٣٥: ١٩-٢٢.

٢- المجادلة ٥٨: ١١.

«أَعْلَمُ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ  
 قِيمَةً أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا، وَأَقَلُّ النَّاسِ قِيمَةً أَقَلُّهُمْ عِلْمًا»<sup>١</sup>.

في حُطْبَةِ خَطْبِهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بَعْدَ رَحِيلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله:

«وَلَا كَنْزَ أَنْفَعُ مِنَ الْعِلْمِ»<sup>٢</sup>.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعَلَّمَهُ حَسَنَةٌ، وَمُدَارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثُ  
 عَنْهُ جِهَادٌ، وَتَعْلِيمُهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ، وَهُوَ أُنَيْسٌ فِي  
 الْوَحْشَةِ، وَصَاحِبٌ فِي الْوَحْدَةِ، وَسِلَاحٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَزَيْنُ  
 الْأَخْلَاءِ، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ قَوْمًا يَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ أَيْمَةً يَقْتَدَى بِهِمْ،  
 تَرْمَقُ أَعْمَالَهُمْ، وَتُقْتَبَسُ آثَارُهُمْ تَرْغَبُ الْمَلَائِكَةُ فِي خَلَّتِهِمْ،  
 يَمَسَّحُونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ لِأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ  
 وَنُورُ الْأَبْصَارِ مِنَ الْعَمَى، وَقُوَّةُ الْأَبْدَانِ مِنَ الضَّعْفِ، وَيُنزَلُ  
 اللَّهُ حَامِلَهُ مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ، وَتَمَنُّهُ مُجَالِسَةَ الْأَخْيَارِ فِي الدُّنْيَا  
 وَالْآخِرَةِ، بِالْعِلْمِ يُطَاعُ اللَّهُ وَيُعْبَدُ، وَبِالْعِلْمِ يُعْرَفُ اللَّهُ وَيُوحَدُ،  
 وَبِالْعِلْمِ تُوَصَّلُ الْأَرْحَامُ وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَالْعِلْمُ أَمَامُ  
 الْعَقْلِ، وَالْعَقْلُ تَابِعُهُ، يُلْهِمُهُ اللَّهُ السُّعْدَاءَ وَيُحَرِّمُهُ الْأَشْقِيَاءَ»<sup>٣</sup>.

١- بحار الأنوار: ١/١٦٣، باب ١، حديث ١، أمالي الشيخ الصدوق: ٢٠، المجلس السادس، حديث ٤.

٢- بحار الأنوار: ١/١٦٥، باب ١، حديث ٣؛ أمالي الشيخ الصدوق: ٣٢٠، المجلس الثاني والخمسون، حديث ٨.

٣- بحار الأنوار: ١/١٦٦، باب ١، حديث ٧، تحف العقول: ٢٨، ذكره صلى الله عليه وآله العلم والعقل والجهل.

هذه الرواية من أفضل الروايات في باب العلم، فقد بُيِّن في هذه الرواية أن درجات المعنوية والعملية للإنسان ترتبط بمقدار علمه. فأشرف العلوم هو العلم بالله، العلم بالآخرة، العلم بالحلال والحرام. علم يعرف الإنسان مع خصائص العالم، ويكون كسَلْم له يرتقي بها جميع الكمالات.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْفِقْهُ وَأَفْضَلُ الدِّينِ الْوَرَعُ»<sup>١</sup>.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَغْدُو فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَيَرُوحُ إِلَّا خَاضَ الرَّحْمَةَ خَوْضًا»<sup>٢</sup>.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى إِبْلِيسَ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ»<sup>٣</sup>.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»<sup>٤</sup>.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى ذَلِكَ التَّعَلُّمِ سَاعَةً بَقِيَ فِي ذَلِكَ الْجَهْلِ أَبَدًا»<sup>٥</sup>.

قَالَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع: «الشَّاخِصُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كَالْمُجَاهِدِ

١- بحار الأنوار: ١٦٧/١، باب ١، حديث ١١؛ وسائل الشيعة: ٣٥٨/٢٠، باب ٣١ - وجوب العفة والورع، حديث ٢٥٨٢٦.

٢- بحار الأنوار: ١٧٤/١، باب ١، حديث ٣٩؛ ثواب الاعمال: ١٣١، ثواب طالب العلم.

٣- أمالي الشيخ الطوسي: ٣٦٦، المجلس الثالث عشر، حديث ٧٧٤-٢٥؛ الاحتجاج: ١٧/١، فصل في ذكر طرف مما أمر الله.

٤- عوالي اللآلي: ٨١/١، الفصل الخامس، حديث ٤١ دعائم الإسلام: ٨١/١، ذكر أمر غائب في العلم.

٥- بحار الأنوار: ١٧٧/١، حديث ٥٠.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَكَمْ مِنْ  
مُؤْمِنٍ يَخْرُجُ مِنْ مَنزِلِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَلَا يَرْجِعُ إِلَّا مَغْفُورًا.  
وَقَالَ ﷺ: «لَا عِلْمَ كَالْتَفَكْرِ وَلَا شَرَفَ كَالْعِلْمِ»<sup>١</sup>.

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ: «يَا مُؤْمِنُ إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ ثَمَنُ  
نَفْسِكَ، فَاجْتَهِدْ فِي تَعَلُّمِهَا فَمَا يَزِيدُ مِنْ عِلْمِكَ وَأَدَبِكَ يَزِيدُ  
فِي ثَمَنِكَ وَقَدْرِكَ، فَإِنَّ بِالْعِلْمِ تَهْتَدِي إِلَى رَبِّكَ وَبِالْأَدَبِ  
تَحْسُنُ خِدْمَةَ رَبِّكَ وَبِأَدَبِ الْخِدْمَةِ يَسْتَوْجِبُ الْعَبْدُ وَلايَتَهُ  
وَقُرْبَهُ، فَأَقْبِلِ النَّصِيحَةَ كَيْ تَنْجُوَ مِنَ الْعَذَابِ»<sup>٢</sup>.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
طَالِبُ الْعِلْمِ بَيْنَ الْجُهَالِ كَالْحَيِّ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ<sup>(٤)</sup>.

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا  
جَاءُوا بِهِ ثُمَّ تَلَا ﷺ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ  
وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ  
اللَّهَ وَإِنْ بَعُدَتْ لِحْمَتُهُ، وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَإِنْ

١- بحار الأنوار: ١٧٩/١، باب ١ حديث ١٦٢ روضة الواعظين: ١٠/١، باب الكلام في ماهية العلوم.

٢- نهج البلاغة: الحكمة ١١٣؛ بحار الأنوار: ١٧٩/١، باب ١، حديث ٦٣.

٣- روضة الواعظين: ١١/١، باب الكلام في ماهية العلم مشكاة الأنوار: ١٣٥، الفصل الثامن في العلم.

٤- أمالي الشيخ الطوسي: ٥٧٧، المجلس الرابع عشر، حديث ١١٩١-٥.

قَرُبْتُ قَرَابَتَهُ<sup>١</sup>!

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ فَهُوَ كَالصَّائِمِ نَهَارَهُ الْقَائِمَ لَيْلَهُ وَإِنَّ أَبَاكَ مِنَ الْعِلْمِ يَتَعَلَّمُهُ الرَّجُلُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَبُو قُبَيْسٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

فَقَالَ ﷺ: «مَنْ جَاءَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِيُحْيِيَ بِهِ الْأُسْلَامَ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ دَرَجَةٌ وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ»<sup>٢</sup>.

حينما ندقق في الآيات والروايات الواردة في باب العلم؛ نلاحظ ان المقصود بالعلم في الدرجة الأولى، هو العلم بالدين، كما أشارت الآيات والروايات بصراحة إليها، وهذا العلم هو الذي يجعل الإنسان في درجة العارفين، والعاملين، والمتقين، والخاشعين والخائفين، إضافة إلى هذا، فإن هذا العلم - الذي يعلم الإنسان الحلال والحرام والقوانين والمقررات الإلهية - يعرفه الحق، وعظمته وجلاله، ويطلع كم هو صغير ولا شيء امام عظمته؛ ولكي يعوض هذا الشعور، الذي أوحشه بشدة، فإنه يؤدي أفضل العبادة، ويصل إلى مقام القرب الإلهي، ويعوض نقصه واحتياجه وذلته وحفارته.

وأيضاً، بسبب هذا العلم، فإنه يطلع على عاقبة الاعمال الحسنة، ويجتهد لأن يؤدي أي عمل خير، وكذلك يطلع على عاقبة الاعمال السيئة، ويجتنب ارتكاب المعاصي، أو انه يسعى بأن يكفر ماضيه من الذنوب ويتجه إلى طلب التوبة من

١- نهج البلاغة: الحكمة ٩٦.

٢- بحار الانوار: ١٨٤/١.

الله سبحانه وتعالى. مثل هكذا إنسان - الذي وصل إلى هذه المرتبة من العلم - يعيش دائماً حالة من البكاء والقلق من خوف الذنب وعاقبته، ومن أجل وحشته من صغره امام عظمة الله سبحانه وتعالى، فإنه يتوسل بعبادة الله والجهاد وأي شيء في سبيل الله، ومن هذا الطريق، فإن وجوده يصبح نبأ للخير والبركة كوجود الانبياء ﷺ، لذلك فإن الإمام الصادق ﷺ يرى كل خوف صحيح هو نتيجة العلم ويقول:

«فَالْخَوْفُ فَرْعُ الْعِلْمِ».

## «وَالرَّجَاءُ فَرَعُ الْيَقِينِ»

### الأمل بالله سبحانه وتعالى:

الأصل الثاني الذي تدور عليه حياة العارفين؛ هو الأمل، الأمل بلطف الله، الأمل برحمة الله، الأمل بعناية الله، الأمل بالله الذي دون أن يسأله الإنسان، أفاض عليه من رحمته منذ تكوين نطفته إلى خروجه من الدنيا، وأسبغ عليه النعم، في جميع شؤونه، وأغدق عليه لطفه وعنايته.

ان أمل الإنسان بالله هي ثمرة اليقين بالحقائق التي صدرت من الله سبحانه وتعالى للإنسان، وهذا الأمل هو من أفضل الثروات الروحية، التي بمساعدتها يستطيع الإنسان ان يصل إلى كمالات هي فوق تصوّر البشر.

الأمل، أحلى ثمرة يتذوقها قلب الإنسان، وأفضل ثروة يستطيع الإنسان من خلالها أن يغنم أرباح تجارة.

لكي نحصل على اليقين الذي يصنع لنا الأمل؛ يجب علينا ان نأخذ ثلاث حقائق بعين الاعتبار:

- ١ - سلوك الله سبحانه وتعالى مع الإنسان.
- ٢ - معاملة الله سبحانه وتعالى للمذنبين النائبين.
- ٣ - التأمل في الآيات والروايات التي جاءت حول الأمل.

و حول مسألة تعامل الله مع الإنسان وكيف ان الله سبحانه وتعالى من باب لطفه وجبه خلق الإنسان وماهي الاسرار التي أودعها في خلقه، وما أسبغ عليه من نعم لا تحصى، فقد ألقت آلاف الكتب حول هذا الموضوع.

في الوقت الذي لم تستطع كل الكتب ان توضح حتى جزءاً بسيطاً من حب الله لعباده، فكيف استطيع أنا في هذه الصفحات القليلة ومع هذا الفكر الناقص ان ابين نعم الله سبحانه وتعالى على عباده؟!!

### وصايا الإمام الصادق عليه السلام للمفضل:

نذكر هنا خلاصة وصايا الإمام جعفر الصادق عليه السلام التي تبين لطف الله سبحانه وتعالى لعباده، ويوضحها عليه السلام للمفضل حتى نستيقظ من نوم الغفلة بعد مطالعة هذه السطور، ونزيل تلك الغيوم السوداء التي المحجة تتحجب، ويضيء نور الامل في قلوبنا. وهذا الامل يؤدي بنا إلى التمسك برحمته، والتحليق نحو مقام القرب الإلهي.

يا مفضل: أول العبر والادلة على الباري جل قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ماهي عليه، فإنك إذا تأملت العالم بفكرك وميزته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسمااء مرفوعة كالسقف، والارض ممدودة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصاييح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وكل شئ فيها لشأنه معد، والانسان كالملك في ذلك البيت، والمخول جميع ما فيه، وضروب النبات مهياً لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه، ففي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتقدير وحكمة، نظام وملائمة، وأن الخالق له واحد هو الذي ألفه ونظمه بعضا إلى



بعض، جل قدسه، وتعالى جده، وكرم وجهه، ولا إله غيره، تعالى عما يقول الجاحدون، وجل وعظم عما ينتحله الملحدون.

نبتدى يا مفضل بذكر خلق الانسان فاعتبر به، فأول ذلك ما يدبر به الجين في الرحم، هو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء ولا دفع أذى، ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة، فإنه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا يزال ذلك غذاؤه حتى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه، وقوي أديمه على مباشرة الهواء، وبصره على ملاقة الضياء هاج الطلق بأمه فأزعجه أشد إزعاج، وأعنفه حتى يولد، إذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم امه إلى ثديها فانقلب الطعم واللون إلى ضرب آخر من الغذاء، وهو كأشد موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه فحين يولد قد تلمظ وحرك شفثيه طلبا للرضاع فهو يجد ثديي امه كالاداوتين المعلقتين لحاجته إليه، فلا يزال يغتذي باللبن مادام رطب البدن، رقيق الامعاء، لين الاعضاء، حتى إذا تحرك واحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشد ويقوي بدنه طلعت له الطواحن من الأسنان والاضراس، ليمضغ به الطعام فيلين عليه، ويسهل له إساغته فلا يزال كذلك حتى يدرك فإذا أدرك وكان ذكراً طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر وعز الرجل الذي يخرج به من حد الصبا وشبه النساء، وإن كانت انثى يبقى وجهها نقيا من الشعر، لتبقى لها البهجة والنضارة التي تحرك الرجال لما فيه دوام النسل وبقاؤه.

اعتبر يا مفضل فيما يدبر به الانسان في هذه الاحوال المختلفة، هل ترى يمكن أن يكون بالاهمال؟ أفرايت لو لم يجر إليه ذلك الدم وهو في الرحم ألم

يكن سيذوي ويجف كما يجف النبات إذا فقد الماء؟ ولو لم يزرعه المخاض عند استحكامه ألم يكن سيبقى في الرحم كالموؤود في الأرض؟ ولو لم يوافقه اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً، أو يغتذي بغذاء لا يلائمه ولا يصلح عليه بدنه؟ ولو لم تطلع عليه الأسنان في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام وإساغته، أو يقيمه على الرضاع فلا يشد بدنه ولا يصلح لعمل؟ ثم كان تشتغل امه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد ولو لم يخرج الشعر في وجهه في وقته ألم يكن سيبقى في هيئة الصبيان والنساء فلا ترى له جلالة ولا وقاراً؟

فقال المفضل: فقلت: يا مولاي فقد رأيت من يبقى على حالته ولا ينبت الشعر في وجهه وإن بلغ حال الكبر، فقال: ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد!

ثم يشير الامام عليه السلام إلى كثير من النعم المادية والمعنوية التي اعطاها الله للإنسان من أجل أن يعرفه و يشكره و يطيعه سبحانه وتعالى مقابل هذه النعم. كل هذه النعم التي نراها أمام أعيننا في الليل والنهار، إذا لم تكن احدى هذه النعم فإننا سوف نواجه مشاكل غير قابلة للحل؛ في الوقت الذي انعمها الله سبحانه وتعالى بلطفه و حبه لعباده ودون طلب عبادته، أو تضرعهم لله سبحانه وتعالى. وكل هذه الاشياء ألا توجد اليقين في قلب وروح الإنسان إزاء الكرم الالهي وعناية الله لعباده؟!

منذ أن كان هذا الإنسان نطفة في صلب أبيه وإلى الآن فهو غارق في انواع النعم التي لا تحصى ودائماً حيث ما كان ويكون فهو موضع إحسان الله سبحانه

وتعالى، وهذا الإحسان قطعي وحسي وهو دليل ومرشد الإنسان إلى الأمل. فلذا علينا أن نكون في حالة أمل ورجاء مع وجود رب كريم ورحيم في قبول التوبة والعتذار وأنه الوحيد الذي يعوض جميع الاحتياجات من باب لطفه وكرمه على عبده، ولا نياس من روحه ورحمته وبهذا تفيد الآيات الواردة في سورة يوسف الذي ذكرت بأن اليأس من رحمة هو محض الكفر.

وبالطبع يجب ان اذكر هنا ملاحظة مهمة وضرورية ألا وهي ان الإنسان الذي يأمل برحمته سبحانه وتعالى يجب ان يكون قد أطاع ويطيع اوامره، وأن يكون قد زرع لآخرفته في دنياه، و ان يتسلح بسلاح التوبة ليكفر عن ذنوبه المتقدمة، وغير هكذا أمل يعتبر من وجهة نظر القرآن والسنة النبوية، أملاً في غير محله؛ حيث يطمع الإنسان بثواب وعطاء الله بدون عمل.

فالفلاح الذي يملك ارضاً زراعية و في فصل الخريف لم يشرع بتنظيف الأرض من الحجارة والحصى، ولم يحراثها ولم يقيم ببقية الاعمال ولم ينثر البذور في الأرض، فإذا كان هذا الفلاح يأمل ان يحصد محصولاً من ارضه، فهو عين الجهل والحمق، وهكذا الأمل بالله، من وجهة نظر الإسلام لا يسمى أملاً، إنما هو أمن من مكر الله سبحانه وتعالى، حيث يعتبر من الذنوب الكبيرة وسبباً للعذاب في يوم القيامة.

فعندما يعد الإنسان جميع المعدات لمجاهدة العدو الباطني والظاهري ويبرز إلى ميدان الحرب، عندها فليكن لديه أمل بالنصر، وليتيقن ان الله ينصره على أعدائه.

وعندما يؤدي الإنسان جميع واجباته ويجتنب ارتكاب الذنوب، عندئذ عليه أن يأمل بلطف ومحبة الله سبحانه وتعالى، وأن يتوقع الأجر والثواب العظيمين.

إذا لم يكن الأمل بعد العمل أو التوبة، فهو ليس بأمل، وبدون العمل وأداء أوامر الله، والابتعاد عن الحرمات، علينا ان لا نأمل برحمته. كما ان الآيات القرآنية والروايات والاخبار اشارت بصراحة تامة إلى هذه الحقيقة؛ التي سوف نبينها في الفصول القادمة.

نعم، فعندما نشاهد الطاف الله سبحانه وتعالى نتيقن بلطفه وعنايته، واليقين هو أيضاً عامل لبروز الأمل، فعندما كان الإنسان يوماً ما، لا يستحق أي لطف ولم يطلب منه جل وعلا، وكان طفلاً ضعيفاً، أو انساناً فقيراً، ولكنه كان موضع جميع هذه الألطف الإلهية.

واليوم عندما يشقى في طاعته وعبادته، وعندما يرتكب معصية فإنه يسهر ليله في حالة إنابة وتوبة؛ فكيف لا يأمل بثواب العمل ومغفرة الذنب؟  
و يوم كان صغيراً كان الله سبحانه وتعالى لم يكلف عبده بالعمل والتوبة، كانت رحمته تسبغ عليه النعم والاحسان، واليوم عندما يربط الله سبحانه وتعالى العمل والتوبة؛ بالثواب، والجنة والنجاة من عذاب جهنم، كيف لا يجازيه بالثواب، في مقابل اطاعته، وكيف لا يغرقه في رحمته ومغفرته مقابل توبته؟!؟

لذا فإن الأمل الذي يرافقه العمل صحيح مثلما خاطب الله سبحانه وتعالى موسى:  
«مَا أَقَلَّ حَيَاءَ مَنْ يَطْمَعُ فِي جَنَّتِي بِغَيْرِ عَمَلٍ. يَا مُوسَى كَيْفَ أَجْوَدُ بِرَحْمَتِي عَلَى مَنْ يَبْخُلُ بِطَاعَتِي»<sup>١</sup>.

الله سبحانه وتعالى والمدننين التائبين:

حقاً ما اعجب وألطف وأكرم الله سبحانه وتعالى، فالإنسان الذي قضى عمره

في الكفر والمعصية ولم يذكر الله ولو لحظة، ولم يعمل عملاً مطابقاً لأوامر الله، عندما يواجه الهداية والإيمان ويقبل ذلك، فإن جميع ماضيه يغفره الله له، إحتراماً لهذا الإرتباط والرجوع إلى حضيرة الرب، في الوقت الذي إذا مات هذا الشخص وهو في حالة إيمان، كان من أهل الجنة، فحقاً، كيف لا يأمل الإنسان بهكذا رب؟

جاء في الآثار الإسلامية:

إن مجوسياً استضاف إبراهيم الخليل ﷺ فقال: إن أسلمت أضفتك فمرّ المجوسي فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم يا إبراهيم لم تطعمه إلا بتغيير دينه و نحن منذ سبعين سنة نطعمه على كفره فلو أضفته ليلة ما ذا كان عليك، فمرّ إبراهيم يسعى خلف المجوسي فردّه و أضافه فقال المجوسي: ما السبب فيما بدا لك؟ فذكر له، فقال المجوسي: أهكذا يعاملني، ثم قال: اعرض عليّ الإسلام فأسلم!

يقول العارف الكبير المرحوم الشيخ النراقي في كتابه الجليل (طاقديس) وفيه يبيّن سلوك الساحة المقدسة تجاه احد عباده المذنبين التائبين في زمان نبي الله موسى ﷺ، فيقول:

رأى موسى كافرأ في طريقه، وكان كبيراً في السن وضالاً.  
يا موسى إلى أين هذا الطريق يؤدي؟، فتذهب فيه أنت مع ادعائك.  
فقال موسى إنما أذهب إلى طور سيناء، أذهب إلى عمق بحر النور.  
أذهب لكي أناجي الله سبحانه، واطلب المغفرة لذنوبك.

يا موسى أيمكنك حمل رسالة، إلى ربك وإيصالها إليه.  
فقال موسى ما هي رسالتك؟ فقال له: قل له عن أحوالي وأوضاعي.  
قل: إن فلاناً يعيش في مشكلاته مضطرباً، ويستحي من لقائك.  
إن كان الرزق عليك فلا أريده، ولا أريد رزقك وأنت تمنّ علي.  
فلا أنت ربي ولا أنا عبد لك، ولا أريد أن أكون ممتناً لرزقك.  
فغضب موسى من كلامه، وقال له: ماتقول يا رجل؟ مه!  
فاستمر موسى في طريقة لمناجاته، وناجى ربه الغني.  
وفي تلك العزلة لم يكن أحد معه، فأراد الرجوع نحو المدينة.  
واستحي إيصال رسالة ذلك الرجل، فلم يقل سوى المناجاة.  
فقال له ربه: أين رسالة عبدي؟، فقال موسى: إنني أستحي ان أقولها.  
اذهب إلى ذلك الرجل، وبلغه سلاماً مني.  
وقل له بأنك تقول إن الله يكسر القلوب، إن كنت تستحي منا، فاستح.  
فنحن لا نستحي منك وكذلك، نحن لا نريد ان نغضب عليك أو نحاربك.  
وإن لم تكن تريدنا فلا، ولكننا نريدك عزيزاً.  
وإن كنت لا تريد أن أرزقك، فرزقك يأتيك من مائدة الفضل والكرم.  
وإذا لا تتحمل منه الرزق، فأرزقك دون منه.  
فيضي يعم الجميع وفضلي كذلك، ولطفي دون نهاية وجودي قديم.  
فالخلق هم عيال الله وفيضه، كالمرضعة الحنون والحسنة الأخلاق.  
فالاطفال يزعلون مرة وأخرى يتدلعون، ومرة لا يقبلون بوضع اللبن من  
ثدي المرضعة.

فالمرضعة تضع ثديها في فمه، وتقول له: يا أنيس الروح.  
 فينحنون تجاه المرضعة ويضعون أفواههم في ثديها، وهي تقبلهم في أفواههم.  
 فلما رجع موسى من جبل الطور، طريقه كان مليئاً بالنور.  
 فقال الكافر إن موسى قد رجع، أين جواب رسالتي، إن كان لديك جواباً.  
 فبلغ موسى رسالة ربه إلى الكافر، فذهب صدى الكفر عن الكافر.  
 فكانت روحه مرآة للصدأ، وكان جواب الله له كالصيقل صقله.  
 وكان الكافر يسير في طريق الضلال، وكان جواب الله له كالجرس  
 أيقظه من الغفلة.

كانت روحه كالليل المظلمة الطويلة، فجواب الله كان له كبزوغ الفجر  
 ونور الشمس.

فطأ رأسه منحنيًا، واضعاً يديه على عينيه خجلاً.  
 ثم رفع رأسه وعينه مبتلة بدموعه، بلسان وباطن مفعم بالحرارة.  
 قال لموسى: قد أحرقتني، واشعلت النار في داخلي.  
 ويلي ماذا قلت ووجهي أسود، يا حيائي وخجلتي منك يا رب.  
 يا موسى، اعرض عليّ الإيمان، فإني الآن كالطفل لا أقدر على الكلام.  
 يا موسى علّمني الإيمان، ويا ربّ ارجعني إليك وخذ روحي.  
 فكلمه موسى حديثاً واحداً، الرجل ردد الكلمات وفاضت روحه.  
 فيا لصفاء الروح، اصبر وتعلّم الإيمان من هذا الرجل.  
 حتى وإن كان كلامك إيماني، مع ذلك فإن حديثك ألدّ وأطيب.

فكلامي كله إسلام، وحديثك تمامه سلام.  
وحتى ولو ان اعمالك عار وذل، مثل الكافر الذي يعبد الأصنام.

الأثر السيء للتكبر:

أن لصاً كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة فمرّ عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عبّاد بني إسرائيل من الحواريين فقال اللصّ في نفسه: هذا نبيّ الله يمرّ وإلى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثاً، قال: فنزل فجعل يريد أن يدنو من الحواريّ فيزدري نفسه تعظيماً للحواريّ ويقول في نفسه: مثلي لا يمشي إلى جنب هذا العابد قال: وأحسّ به الحواريّ فقال في نفسه: هذا يمشي إلى جانبي فضمّ منه نفسه و تقدّم إلى عيسى عليه السلام فمشى إلى جانبه فبقي اللصّ خلفه قال: فأوحى الله تعالى إلى عيسى قل لهما ليستأنفا العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما أمّا الحواري فقد أحبطت حسناته لعجبه بنفسه و أمّا الآخر فقد أحبطت سيئاته بما ازدري على نفسه فأخبرهما بذلك و ضمّ اللصّ إليه في سياحته و جعله من حواريه<sup>١</sup>.

شارب الخمر وتوبته:

كان رجل يعاقر الخمر جمع قوماً من ندمائه و دفع إلى غلام له أربعة دراهم وأمره أن يشتري شيئاً من الفواكه للمجلس، فمرّ الغلام بباب منصور بن عمّار و هو يسأل لفقير شيئاً و يقول: من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات، قال: فدفع الغلام الدرّاهم إليه فقال منصور: ما الذي تريد أن أدعوك فقال: لي سيّد



أريد أن أتخلص منه، فدعا منصور، و قال: الآخر؟ فقال: أن يخلف الله عليّ دراهمي.

فدعا، ثم قال: الآخر؟ فقال: يتوب الله على سيدي فدعا، ثم قال: الآخر؟ فقال: أن يغفر الله لي و لسيدي و لك و للقوم، فدعا منصور، فرجع الغلام فقال له سيده: لم أبطأت فقصّ عليه القصة فقال: و بيم دعا فقال: سألت لنفسي العتق، فقال: اذهب فأنت حرّ، قال: والثاني؟ فقال: أن يخلف الله عليّ الدرّاهم، فقال: لك أربعة آلاف درهم، والثالث؟ قال: أن يتوب الله عليك، فقال: تبت إلى الله، والرابع؟ فقال: أن يغفر الله لي و لك و للقوم، فقال: هذا ليس إليّ فلما بات تلك الليلة رأي في المنام كأنّ قائلًا يقول له: أنت فعلت ما كان إليك أفترى أنّي لا أفعل ما كان إليّ قد غفرت لك و للغلام و لمنصور بن عمّار و للقوم الحاضرين أجمعين!

النباش؛ سارق الأكفان:

جاء أحد اصحاب الرسول ﷺ وهو يبكي فسأله النبي ﷺ عن سبب بكائه فقال: يا رسول الله، ابكاني ذنوب كثيرة، وخفت من جبار غضبان عليّ، فقال له رسول الله: أأشركت بالله شيئاً؟ قال: لا. قال عليه الصلاة والسلام: أقتلت نفساً بغير حق؟ قال: لا. قال عليه الصلاة والسلام: إن الله يغفر ذنوبك، ولو كانت ملء السموات السبع والأرضين السبع، فقال: يا رسول الله ذنبي أعظم من السموات السبع والجبال الرواسي، قال عليه الصلاة والسلام: أذنبك أعظم أم الكرسي؟ قال: ذنبي أعظم. قال له رسول الله: أذنبك أعظم أم العرش؟ قال: ذنبي أعظم.. فقال

له رسول الله: أذنبك أعظم أم الله؟ (يعني غفران الله ورحمته) قال: بل الله أعظم وأجل.. قال له رسول الله: أخبرني عن ذنبك قال: أستحي منك يا رسول الله. قال له رسول الله: لاتستحي مني، أخبرني عن ذنبك، قال: يا رسول الله إني كنت رجلاً نباشاً منذ سبع سنين، حتى ماتت بنت من بنات الأنصار، فنبشت قبرها، وأخرجتها من كفنها، وغلبنى الشيطان، فرجعت إليها وجامعتها، فأنطق الله البنت فقالت: أما تستحي من الله، يوم يضع كرسيه للقضاء، ويأخذ حق المظلوم من الظالم، وقد تركتني عريانة في عسكر الموتى، وأوقفنتي جنباً بين يدي الله، فوثب رسول الله (اي قام بسرعه) فقال له: يا فاسق، أخرج عني، ما جزاؤك إلا النار، فخرج الشاب باكياً نائياً نحو الصحراء، لم يأكل ولم يشرب شيئاً، ثم وضع وجهه على التراب ساجداً ويقول: إلهي أنا عبدك المذنب المخطيء، جئت اليوم الى بابك لتكون شفيعاً لي عند حبيبك، فإنك رحمن الى عبيدك، ولم يبق لي رجاء إلا بك، وإلا أرسل ناراً من عندك، وأحرقني بها في دنيائك قبل أن تحرقني في آخرتك، ثم جاء جبريل عليه السلام الي رسول الله فقال: يا رسول الله، إن الله يقرئك السلام، ويقول: إني قد غفرت له جميع ذنوبه. اطلبه وأزح عنه هذا الهم!

المذنب الآمل:

يروى ان في أيام مالك بن دينار كان هنالك رجل قضى جميع عمره في الخراب والشر، ولم يتجه إلى الخير ولم يخطر في باله عمل خير قط. فحذره الصالحون من ذلك، لكنه لم يعبأ بهم، حتى إذا جاءت سكرة الموت، فلما رأى ذلك وأن لا مفر منه، رأى في جريدة وصحيفة أعماله، فلم يشاهد شيئاً يشجعه

على الأمل برحمة الله، ونظر إلى عمره الذي قضاه في الشر، فلم ير غصن أمل فيها يستطيع أن يتمسك به، فتأوه من أعماق قلبه ونظر إلى السماء وقال:

« يَا مَنْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ أَرْحَمُ مَنْ لَيْسَ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ. »

ففرح أهل المدينة من موته، ورقصوا على جنازته فرحاً، وأخرجوه إلى خارج المدينة، ووضعوا جنازته في إحدى المزابل ورموا القمامة عليها.

فرأى مالك بن دينار في عالم الرؤيا: إن عبداً من عبادي قد مات، وقد رموه في إحدى المزابل خارج المدينة، قم إليه وغسله ثم كفنه وادفنه في مقابر الصالحين. فقال مالك: يا إلهي! لقد كان عبدك معروفاً بين خلقك بالشر والسيئات، فيما استحق كرامتك هذه؟

فجاء النداء: عندما جاء الموت إليه، نظر إلى صحيفة أعماله، فلم ير شيئاً يستطيع التشبث به، فرجع إلينا بكل وجوده، ونظر إلينا نظرة عاجز، ومد يده إلى فضلنا، فرحمتنا ضعفه، وغفرنا له جميع ذنوبه كيوم ولدته أمه، ونجيناها من العذاب، وادخلناه إلى جنات النعيم الخالدة، فمن ذا طرق بابنا وأرجعناه خائباً؟ ومن ذا أتانا مهموماً ولم نلبسه ثوب الراحة والعافية؟<sup>١</sup>

توبة «وحشي»:

« جاء في مجمع البيان في ذيل هذه الآية:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>٢</sup>.

١- منهج الصادقين: ١٠٠/٨.

٢- ترجمة تفسير مجمع البيان: ١٧٧/٥.

فرّ وحشي وأصحابه الذين قتلوا حمزة سيد الشهداء عليه السلام إلى مكة المكرمة. فقدموا مما عملوا مع حمزة عليه السلام عم الرسول صلى الله عليه وآله. فكتبوا رسالة إلى النبي الأكرم طالبين العفو والمغفرة وانهم نادمين على ما أقدموا. غير أن هنالك آية من القرآن الكريم تمنعنا من طلبنا هذا:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾<sup>١</sup>.

ونحن آيسين من الله؛ لأننا قد أشركنا بالله، وقتلنا النفس التي حرّم الله، وفعلنا الفاحشة.

فنزلت هذه الآية في جواب رسالة «وحشي» وأصحابه:

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾<sup>٢</sup>.

فأمر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله رجلاً من أصحابه بالذهاب إلى مكة المكرمة وإبلاغ هذه الآية لوحشي وأصحابه، فلما سمعوا الآية قالوا: هذا شرط شديد، وتكليف صعب. نخاف أن لا نكون ممن يعمل بهذه الآية ويلتزم بها. فأنزل الله هذه الآية:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>٣</sup>.

١- الفرقان : ٢٥ : ٦٨.

٢- الفرقان : ٢٥ : ٧٠.

٣- النساء : ٤ : ٤٨.

فلما بعث الرسول الأكرم ﷺ إليهم بهذه الآية؛ قالوا: نخاف أن لا نكون من  
قُصد في ﴿لَمَنْ يَشَاءُ﴾؟

في الأثناء أنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَمْنَطُوا مِن  
رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ  
الرَّحِيمُ﴾<sup>١</sup>.

قصة المتخلفين الثلاثة في القرآن الكريم:

﴿وَعَلَىٰ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ  
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا  
مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ  
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>٢</sup>.

نقرأ في شأن نزول هذه الآية قصة رجال ثلاثة تخلفوا عن الجهاد وبعد ذلك  
شعروا بالندم الشديد من عملهم القبيح والله الرحمن قبل توبتهم وعفى عن  
عملهم القبيح.

ان اولئك الرجال كانوا من المدينة ومن الأنصار واسماؤهم هي: كعب بن  
مالك، فزارة بن الربيع، وهلال بن امية.

والقصة كما يلي، مع اختلاف بسيط في بعض التفاسير:

١- الزمر ٣٩: ٥٣.

٢- التوبة ٩: ١١٨.

غزوة حدثت للمسلمين بإسم غزوة تبوك وكانت صعبة للمسلمين وكما يقول القرآن في آية (١١٩) من سورة التوبة؛ أنها كانت ساعة العسرة للمسلمين. يقول جابر بن عبد الله الأنصاري: لقد واجهنا في هذه الغزوة ثلاث صعوبات:

قلة الزاد، قلة الماء والجوع، لنا ولأنعامنا، ومشى أكثر الناس سيراً على الأقدام. أمر قائد الإسلام؛ المسلمين بالاشتراك في هذه الغزوة بأمر من الله سبحانه وتعالى، وكان المنافقون يعيشون في المدينة واطرافها، ويروجون شائعات السوء من اجل ان يضعفوا ارادة المسلمين في الذهاب في تلك الغزوة، إذ كانوا يقولون: ما هذا العمل؟ كل شهر وكل اسبوع يجب ان نذهب إلى الجهاد ونهدر اموالنا وانفسنا؟ ما هذا الدين الذي يمنعنا من العيش في الحياة ويسلب منا الراحة؟ فأثرت كلماتهم على مجموعة من الناس، ولم يشاركوا في الجهاد دون عذر شرعي، وإذا لم يحارب الرسول الأعظم ﷺ تلك الشائعات السيئة واولئك الرجال الثلاثة المتخلفين، فانها ستبقى سنة سيئة وكل شخص بأتفه عذر يفرّ من الاشتراك في الحرب.

وعندما رجع الرسول الأعظم من غزوة تبوك، استقبله الناس الذين كانوا معذورين عن مشاركته في الجهاد، وكان ضمن المشاركين اولئك الثلاثة الذين لم يشاركوا في الجهاد، وذلك بسبب جمع الثمار واداء بعض الأعمال المتأخرة، لكنهم في الحقيقة لم يشاركوا في الحرب بسبب الكسل والخمول؛ فعندما رأهم الرسول ﷺ امر جميع المسلمين بعدم معاشرتهم واعتزالهم.

فأطاع أهل المدينة امر الرسول، فالبائعين لا يبيعون لهم شيئاً، والناس قد اعتزلوهم، حتى اصدقائهم كانوا يتجنبون معاشرتهم، لدرجة أن أولادهم وازواجهم قد أداروا لهم ظهورهم، فجاءت نساؤهم إلى المسجد وقلن لرسول

الله ﷻ: بما أن الله سبحانه وتعالى أمر بأن نعتزلهم؛ يا رسول الله طَلَّقْنَا. لكن رسول الله ﷻ قال: لا و لكن ولا تمكنوهم.

حقاً، لقد ضاقت الأرض عليهم بما رحبت وضاقت أنفسهم من هذا الإهمال. نعم، لقد ارتكبوا ذنباً كبيراً، وهو عدم اطاعة اوامر الله وعدم الاشتراك في الجهاد ضد الكفر.

وحينما رأوا اوضاعهم على هذه الحالة هاجروا من المدينة إلى الصحراء، وبكوا اربعين ليلة وكانت نساؤهم تأتي إليهم بما يحتاجونه؛ بأمر من الرسول ﷺ، وبعد كل تلك العبادة و ذلك البكاء والتضرع امام الله فإنه لم يُعَف عنهم، فقال كعب لصاحبيه: ان الله لم يقبل توبتنا وذلك بسبب صداقتنا والآن كل واحد يذهب لوحده، فلتبتعد عن بعضنا الآخر وكل يتضرع لربه.

وفي النهاية أنزل الله الرحمن الآية (١١٨) من سورة التوبة وأمر رسوله ﷺ والناس؛ بأن يعيدوا روابطهم الاجتماعية مع اولئك النفر الثلاثة، فانتظرهم الناس امام المسجد. وأدخلوهم إلى المدينة بكل احترام، فلما وقعت عين الرسول ﷺ على كعب؛ عانقه وقال: لا يوجد شيء هو أثنى في عمرك بعد الإسلام من ساعة قبول توبتك.

الأمل في القرآن الكريم:

﴿فَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>١</sup>.  
 ﴿وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>٢</sup>.

١- البقرة ٢: ٦٤.

٢- البقرة ٢: ٢٠٧.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾<sup>١</sup>!

﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾<sup>٢</sup>.

﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا﴾<sup>٣</sup>.

﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾<sup>٤</sup>.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾<sup>٥</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>٦</sup>.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>٧</sup>.

الأمَل في الروايات:

عَنْ جُنْدَبِ الْغِفَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا قَالَ  
يَوْمًا وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي

١- البقرة ٢: ٢٢١.

٢- آل عمران ٣: ١٥٥.

٣- النساء ٤: ٩٩.

٤- الأنعام ٦: ١٤٧.

٥- الأنفال ٨: ٣٨.

٦- التوبة ٩: ١٢٠.

٧- الزمر ٣٩: ٥٣.



تَأْتِي عَلَى أَنْ لَا أَعْفُوَ لِفُلَانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَبْتُ  
عَمَلَ الْمُتَأَلِّي بِقَوْلِهِ لَا يَغْفِرَ اللَّهُ بِفُلَانٍ»<sup>١</sup>.

ينقل الشيخ المفيد بإسناده عن أبي جعفر الطائي الواعظ عن وهب بن مُنَبِّه قال:  
«قَرَأْتُ فِي زُبُورِ دَاوُدَ أَسْطُرًا مِنْهَا مَا حَفِظْتُ وَمِنْهَا مَا نَسِيتُ،  
فَمَا حَفِظْتُ قَوْلَهُ يَا دَاوُدُ! اِسْمِعْ مِنِّي مَا أَقُولُ مَنْ أَتَانِي وَهُوَ  
يُجِئُنِي أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ يَا دَاوُدُ! اِسْمِعْ مِنِّي مَا أَقُولُ وَالْحَقُّ مَنْ  
أَتَانِي وَهُوَ مُسْتَحِي مِنْ الْمَعَاصِي الَّتِي عَصَانِي بِهَا غَفَرْتَهَا لَهُ  
وَأَنْسَيْتَهَا حَافِظِيهِ يَا دَاوُدُ اِسْمِعْ مِنِّي مَا أَقُولُ، وَالْحَقُّ أَقُولُ مَنْ  
أَتَانِي بِحَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ قَالَ دَاوُدُ: يَا رَبِّ وَمَا هَذِهِ  
الْحَسَنَةُ؟ قَالَ مَنْ فَرَّجَ عَن عَبْدٍ مُسْلِمٍ فَقَالَ دَاوُدُ: إِلَهِي بِذَلِكَ  
لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَكَ أَنْ يَنْقَطِعَ رَجَاؤُهُ مِنْكَ»<sup>٢</sup>.

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرَ عليه السلام يَقُولُ:

«إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ بِأَعْمَالِهِمْ فَأَيَّنَ عِتْقَاءَ اللَّهِ مِنَ  
النَّارِ».

«إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى نَبِيِّهِ عليه السلام إِنِّي أَجْعَلُ حِسَابَ أُمَّتِكَ إِلَيْكَ فَقَالَ:  
لَا يَا رَبُّ أَنْتَ أَرْحَمُ بِهِمْ مِنِّي فَقَالَ: إِذَنْ لَا أُخْزِكَ فِيهِمْ»<sup>٣</sup>.

١- بحار الأنوار: ٤/٦، باب ١٩، حديث ٣؛ أمالي الشيخ الطوسي: ٥٨، المجلس الثاني.

٢- وسائل الشيعة: ٦٢/١٦، باب ٨٣ وجوب الندم على الذنوب، حديث ٢١٧٩٨، أمالي الشيخ الطوسي:

١٠٦، المجلس الرابع.

٣- المحجة البيضاء: ٢٥٩/٧.

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ: «إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِي وَأُمَّتِي يَشِيانَ فِي الْإِسْلَامِ ثُمَّ أَعَذَّبُهُمَا»<sup>١</sup>.

«دَخَلَ عليه السلام عَلَى رَجُلٍ وَهُوَ فِي النَّزْعِ فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: أَجِدُنِي أَخَافُ ذُنُوبِي وَأَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّي فَقَالَ عليه السلام: مَا اجْتَمَعَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا رَجَا وَأَمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ»<sup>٢</sup>.

قَالَ عَلِيُّ عليه السلام «لِرَجُلٍ أَخْرَجَهُ الْخَوْفُ إِلَى الْقَنُوطِ لِكثْرَةِ ذُنُوبِهِ: يَا هَذَا يَا سُكَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذُنُوبِكَ»<sup>٣</sup>.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ آدَمَ عليه السلام قَالَ:

«يَا رَبِّ سَلَطْتَ عَلَيَّ الشَّيْطَانَ وَأَجْرَيْتَهُ مِنِّي مَجْرَى الدَّمِّ فَاجْعَلْ لِي شَيْئًا فَقَالَ: يَا آدَمُ جَعَلْتُ لَكَ أَنْ مَنْ هَمَّ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ، وَمَنْ هَمَّ مِنْهُمْ بِحَسَنَةٍ فَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ وَإِنْ هُوَ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا قَالَ: يَا رَبِّ زِدْنِي قَالَ: جَعَلْتُ لَكَ أَنْ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ سَيِّئَةً ثُمَّ اسْتَغْفَرَ غَفَرْتُ لَهُ قَالَ: يَا رَبِّ زِدْنِي قَالَ:

١- نواذر الراوندي: ٧؛ بحار الأنوار: ٧/٦، باب ١٩، حديث ١٤.

٢- المحجة البيضاء: ٧/٢٥٣.

٣- المحجة البيضاء: ٧/٢٥٣.

جَعَلْتُ لَهُمُ التَّوْبَةَ وَبَسَطْتُ إِلَيْهِمُ التَّوْبَةَ حَتَّى تَبْلُغَ النَّفْسُ هَذِهِ<sup>١</sup> .

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

«مَرَّ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ عليه السلام عَلَى قَوْمٍ يَبْكُونَ فَقَالَ: عَلَى مَا يَبْكِي هؤُلاءِ فَبَيْلَ يَبْكُونَ عَلَى ذُنُوبِهِمْ قَالَ: فَلْيَدْعُوا بِهَا يُغْفَرْ لَهُمْ»<sup>٢</sup> .

قَالَ عليه السلام:

«إِنَّ رَجُلًا يَدْخُلُ النَّارَ فَيَمُكُّتُ فِيهَا أَلْفَ سَنَةٍ يُنَادِي يَا حَنَّانُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى جِبْرِئِيلُ: إِذْهَبْ فَأْتِنِي بِعَبْدِي قَالَ: فَيَجِيءُ بِهِ فَيُوقِفُهُ عَلَى رَبِّهِ فَيَقُولُ اللَّهُ: كَيْفَ وَجَدْتَ مَكَانَكَ، فَقَالَ: شَرُّ مَكَانٍ قَالَ: فَيَقُولُ رُدُّوهُ إِلَى مَكَانِهِ، قَالَ فَيَمْشِي وَيَبْلُغْتُهُ إِلَى وَرَائِهِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَى أَيِّ شَيْءٍ تَلْتَفِتُ فَيَقُولُ: لَقَدْ رَجَوْتُ أَنْ لَا تُعِيدَنِي إِلَيْهَا بَعْدَ إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِذْهَبُوا بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ»<sup>٣</sup> .

لَمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام:

«لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَلْدُمُونَ صُدُورَكُمْ وَتَجَارُونَ إِلَى رَبِّكُمْ فَهَبَطَ

١- الكافي: ٤٤٠/٢، باب فيما اعصى الله عز وجل آدم، حديث ١، وسائل الشيعة: ٨٦/١٦، باب ٩٣، باب

صحة التوبة، بحار الانوار: ١٨/٦، باب ٢٠، حديث ١.

٢- أمالي الشيخ الصدوق: ٤٩٥، المجلس الخامس والسبعون، بحار الانوار: ٢٠/٦، باب ٢٠، حديث ٧.

٣- المحجة البيضاء: ٢٥٤/٧.

جَبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: لِمَ تَقْنُطُ عِبَادِي فَخَرَجَ  
فَرِحًا وَيَبْسُرُهُمْ<sup>١</sup>.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) قَالَ:

«وَجَدْنَا فِي كِتَابِ عَلِيِّ (عليه السلام) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَهُوَ عَلَى  
مِنْبَرِهِ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا أُعْطِيَ مُؤْمِنٌ قَطُّ خَيْرَ الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ إِلَّا بِحُسْنِ ظَنِّهِ بِاللَّهِ وَرَجَائِهِ لَهُ وَحُسْنِ خُلُقِهِ وَالْكَفِّ  
عَنْ اغْتِيَابِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا يُعَذِّبُ اللَّهَ مُؤْمِنًا  
بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ إِلَّا بِسُوءِ ظَنِّهِ بِاللَّهِ وَتَقْصِيرِهِ مِنْ رَجَائِهِ  
وَسُوءِ خُلُقِهِ وَاغْتِيَابِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا يَحْسُنُ  
ظَنًّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ إِلَّا كَانَ اللَّهُ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ؛ لِأَنَّ  
اللَّهَ كَرِيمٌ بِيَدِهِ الْخَيْرَاتُ يَسْتَحْيِ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ قَدْ  
أَحْسَنَ بِهِ الظَّنُّ ثُمَّ يُخْلِفُ ظَنَّهُ وَرَجَاءَهُ فَأَحْسَنُوا بِاللَّهِ الظَّنَّ  
وَارْغُبُوا إِلَيْهِ»<sup>٢</sup>.

«فِي الْحَدِيثِ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ يَلِي حِسَابَ  
الْخَلْقِ؟ فَقَالَ: اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: هُوَ بِنَفْسِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ  
فَتَبَسَّمَ الْأَعْرَابِيُّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): مِمَّ ضَحِكْتَ يَا أَعْرَابِيُّ؟  
فَقَالَ: إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا قَدَرَ عَفَا، وَإِذَا حَاسَبَ سَامَحَ فَقَالَ

١- المحجة البيضاء: ٢٥٤/٧.

٢- الكافي: ٧١/٢، باب حسن الظن بالله عز وجل، حديث ١.

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَ الْأَعْرَابِيُّ أَلَا لَا كَرِيمَ أَكْرَمُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ  
أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ ثُمَّ قَالَ: فَقَّ الْأَعْرَابِيُّ<sup>١</sup>.

هذه الروايات؛ هي نموذج من الروايات الكثيرة التي تبين معاملة الله سبحانه وتعالى لعباده بحكم أن «الإسلام يَجِبُ ما قبله»<sup>٢</sup> فيغفر الله ذنوب الكافر ذي السبعين عاماً بعد إيمانه، كما قال سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ  
يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>٣</sup>.

وكذلك فور قول السحرة في زمان فرعون ﴿آمَنَّا﴾ فإن الله سبحانه وتعالى عفا عن جميع ذنوبهم، وكذلك عندما آمن أصحاب الكهف، فإن الله مع ماضيهم المملوء بالكفر والشقاء، فقد غفر لهم واعطاهم الكرامة والعزة.

فهذا النوع من الآيات والروايات القوية المتينة هي التي يأمل الإنسان من خلالها بالله سبحانه وتعالى، وهذه الآيات التي لا ريب فيها والإنسان قد حصل له اليقين منها، فلذا فإن أمله قائم على اساس اليقين، فلذلك قال الإمام الصادق عليه السلام:

«والرجاء فرع اليقين».

في الحقيقة هذه الجملة جملة عظيمة.

ان الإنسان يرى جميع فضائل وألطف الله له ولجميع الموجودات، ويرى

١- المحجة البيضاء: ٢٦٢/٧.

٢- مستدرک الوسائل: ٤٤٨/٧، حديث ٥٨٦٢٥ بحار الأنوار: ٣١٦/٨١، باب ١٨.

٣- الأنفال ٣٨.

هذه الآيات والروايات التي هي دليل على لطف الله لعباده، فكيف لا يصل إلى اليقين؟ لم لا يحصل له اليقين؟ فإذا ألتجأ هو أيضاً إلى الله سبحانه وتعالى فسوف يلقى الملجأ عنده، ويغرقه في رحمته التي لا نهاية لها.

## «وَالْحُبُّ فَرْعُ الْمَعْرِفَةِ»

### المحبة والمعرفة:

حقيقة لا يمكن انكارها؛ وهي ان معرفة الشخص لشيء ما، سبب في حبه أو كراهيته لذلك الشيء.

عندما يرى الإنسان أن شيئاً ما ينفعه، فإنه يميل إليه ويعشقه، ويبدل قسارى جهده كي يحصل عليه ويكسب رضاه.

فالإنسان يظهر محبته للأشياء التي يحتاج إليها كالأطعمة، والألبسة، والمنزل، لأنه وصل إلى حقيقة أن هذه الأشياء هي مفيدة له ولحياته وفي المقابل، فإن الإنسان يكره بعض الأمور لأنه وصل إلى نتيجة أن هذه الأشياء هي مضره له.

فعندما يرى الإنسان أشياءً وأموراً تنفعه فإنه يسعى إلى الحصول عليها، وبالعكس فإنه يتجنب الأشياء التي تضره.

### معرفة الحق سبحانه وتعالى:

من خلال مراجعة القرآن الكريم والآثار الإسلامية وعن طريقهما، سوف نجد أن الله سبحانه وتعالى - ذلك الوجود المقدس - هو منبع جميع صفات الكمال. صفات كمال لا نهاية لها. وندرك ان كل شيء في هذا الوجود هو في قبضته،

وانه هو مبدأ الوجود، وأنه اعطى كل شيء ما يليق به، ووهب للإنسان أكثر مما يستحقه.

انظروا عن طريق القرآن الكريم واهل البيت عليهم السلام إلى لطفه وعنايته بالمحسنين، وإلى كرمه ولطفه ووجهه للمسيئين التائبين، ورحمته وكرمه لمحبيه في يوم القيامة.

انظروا إلى الآيات التي تبين وضع المحسنين في الجنة، وانظروا إلى روايات باب التوبة والمغفرة والشفاعة؛ شاهدوا كيف ان الله سبحانه وتعالى اسبغ محبته للموجودات جميعاً وخصوصاً الإنسان في هذه الدنيا وشاهدوا قوانينه السامية في القرآن الكريم لتأمين سعادة الإنسان، وتأملوا في ارساله الرسل، و نصبه الأئمة عليهم السلام وفي حكمة الحكماء و عرفان العارفين، وكيف ان الله يخاطب خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله بأنه رحمة للعالمين وأنه وعد المحسنين بأجر عظيم، وكيف أنه يخاطب المذنبين: أيأ كنت، تُب وكفّر عن سيئاتك؛ فإني أغض البصر عن ذنوبك جميعاً؛ إلى أن يتعرف على الله أكثر فأكثر، ويصل بعد هذه المعرفة بعالم العشق والمحبة؛ إلى طريق الله سبحانه وتعالى، ويحصل على المزيد من هذه المحبة.

الانسان بمعرفته هذه، يجعل كل عشق مرتبطاً بعشقه لله، والله يغفر له جميع ذنوبه من أجله، فعندما تصله اوامر الله، يطيعها الإنسان بملء إرادته، وكذلك يجتنب معاصيه ولسان حاله:

يا من هو دواء للمتعبين، يا من ذكره راحة لروح العاشقين.

فمئات آلاف العشاق أملمهم بك، ويقولون في صحراء الغم، إنك آت.



واحترقت الصدور لفراقك، وتبكي العيون لألم فراقك.

شرب شيخ الانصار جرعة من شراب الشوق، فأصبح كالمجنون حيراناً  
يدور بين العالمين.

ويقول الخواجة عبد الله الأنصاري: يا عزيزي، كل من لديه عزيمة العشاق  
فعليه ان يفصل قلبه عن جسده، ومن يقصد السفر إلى حرم الله فعليه ان يرحل  
إلى البادية، وان يكون لديه قلباً طاهراً وصدراً متلهفاً وملتهباً.

والعشق نار محرقة، وبحر لا ساحل له، وكلها روح، وهي قصة لا نهاية لها،  
والعقل والشعور في حيرة من أمره، والقلب عاجز امامه، يحفظ المعلوم ويفشي  
الاسرار، فالروح روح، والفتوح فتوح، فإذا سكت العاشق فإن قلبه يضطرب  
وينسى نفسه، وإذا ترك حبه فحالته ينقلب، وتعلم المدينة بأسرها بخبره، والعشق  
هو نار وماء في آن واحد، وظلام ونور، والعشق داء لا دواء له، وهو دليل الحياة  
وسبب الممات، وهو ثروة الراحة وقاتل الآفة.

قلب العاشق عرين الأسد، ولا يقصده إلا من أراد ان يودع الحياة، والحديث  
عن مغامرات العشق المؤلمة فإنه غير صحيح، وإظهار الشكوى من عذاب العشق  
خيانة، ومن اصابته أشعة العشق، نال سعادة الدنيا والآخرة.

غاية القلب ومراد الجسم هو العشق، ورأس مال العمر هو العشق الأبدي.

ذلك العشق الذي أبقي خضراً، فالعشق هو الحياة الأبدية<sup>١</sup>.

ومما لا شك فيه أن العشق، دون معرفة المحبوب، ليس له معنى، فالمحبوب

لن يحصل على هذا العشق، وبالطبع يمكن كسب هذه المعرفة عن طريق التدقيق في الآيات والآثار الإسلامية.

والآن نذكر هنا، فضلاً من الآثار الإسلامية في معرفة الله سبحانه وتعالى:

### صفات الله في الأدعية:

دعاء الجوشن الكبير:

يا سَيِّدَ السَّادَاتِ، يا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ، يا رَافِعَ الدَّرَجَاتِ، يا  
 وَلِيَّ الحَسَنَاتِ، يا غَافِرَ الخَطِيئَاتِ، يا مُعْطِيَ المَسْأَلَاتِ، يا قَابِلَ  
 التَّوْبَاتِ، يا سَامِعَ الأصْوَاتِ، يا عَالِمَ الخَفِيَّاتِ، يا دَافِعَ البَلِيَّاتِ.  
 يا خَيْرَ الغَافِرِينَ، يا خَيْرَ الفَاتِحِينَ، يا خَيْرَ النَّاصِرِينَ، يا خَيْرَ  
 الحَاكِمِينَ، يا خَيْرَ الرَّازِقِينَ، يا خَيْرَ الوَارِثِينَ، يا خَيْرَ الحَامِدِينَ،  
 يا خَيْرَ الذَّاكِرِينَ، يا خَيْرَ المُنزِلِينَ، يا خَيْرَ المُحْسِنِينَ.  
 يا غَافِرَ الخَطَايَا، يا كَاشِفَ البَلَايَا، يا مُنْتَهَى الرَّجَايَا، يا مُجَزِلَ  
 العَطَايَا، يا وَاهِبَ الهِدَايَا، يا رَازِقَ البَرَايَا، يا قَاضِيَ المَنَايَا، يا  
 سَامِعَ الشُّكَايَا، يا بَاعِثَ البَرَايَا، يا مُطْلِقَ الأَسَارَى.  
 يا عُدَّتِي عِنْدَ شِدَّتِي، يا رَجَائِي عِنْدَ مُصِيبَتِي، يا مُوَسِّئِي عِنْدَ  
 وَحْشَتِي، يا صَاحِبِي عِنْدَ غُرْبَتِي، يا وَلِيِّي عِنْدَ نِعْمَتِي، يا غِيَاثِي  
 عِنْدَ كُرْبَتِي، يا دَلِيلِي عِنْدَ حَيْرَتِي، يا غِنَاثِي عِنْدَ افْتِقَارِي، يا  
 مُلْجَأِي عِنْدَ اضْطِرَارِي، يا مُعِينِي عِنْدَ مَقْرَعِي.

يا دَلِيلَ الْمُتَحَرِّينَ، يا غِيَاثَ الْمُسْتَفِيثِينَ، يا صَرِيحَ الْمُسْتَصْرِخِينَ،  
 يا جَارَ الْمُسْتَجِيرِينَ، يا أَمَانَ الْخَائِفِينَ، يا عَوْنَ الْمُؤْمِنِينَ، يا  
 رَاحِمَ الْمَسَاكِينِ، يا مَلْجَأَ الْعَاصِينَ، يا غَافِرَ الْمُذْنِبِينَ، يا  
 مُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ.

يا مَنْ إِلَيْهِ يَرْغَبُ الزَّاهِدُونَ، يا مَنْ إِلَيْهِ يَلْجَأُ الْمُتَحَرِّونَ، يا  
 مَنْ بِهِ يَسْتَأْنِسُ الْمُرِيدُونَ، يا مَنْ بِهِ يَفْتَخِرُ الْمُحِبُّونَ، يا مَنْ فِي  
 عَفْوِهِ يَطْمَعُ الْخَاطِئُونَ، يا مَنْ إِلَيْهِ يَسْكُنُ الْمُوقِنُونَ، يا مَنْ  
 عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ.

يا حَبِيبَ الْبَاكِينَ، يا سَيِّدَ الْمُتَوَكِّلِينَ، يا هَادِيَ الْمُضِلِّينَ، يا وَلِيَّ  
 الْمُؤْمِنِينَ، يا أَنِيسَ الذَّاكِرِينَ، يا مَفْزَعَ الْمَلْهُوفِينَ، يا مُنْجِيَّ  
 الصَّادِقِينَ، يا أَقْدَرَ الْقَادِرِينَ، يا أَعْلَمَ الْعَالِمِينَ، يا إِلَهَ الْخَلْقِ  
 أَجْمَعِينَ!

دعاء كميل:

اللَّهُمَّ مَوْلَايَ كَمْ مِنْ قَبِيحٍ سَرَرْتَهُ، وَكَمْ مِنْ فَادِحٍ مِنَ الْبَلَاءِ  
 أَقْلَتَهُ، وَكَمْ مِنْ عِثَارٍ وَقَيْتَهُ، وَكَمْ مِنْ مَكْرُوهٍ دَفَعْتَهُ، وَكَمْ مِنْ  
 نِئَاءٍ جَمِيلٍ لَسْتُ أَهْلًا لَهُ نَشَرْتَهُ.  
 يَا مَنْ إِسْمُهُ دَوَاءٌ، وَذِكْرُهُ شِفَاءٌ، وَطَاعَتُهُ غِنَى.

يَسَابِغِ النِّعَمِ، يَدَافِعِ النُّقْمِ، يَأْتُورَ الْمُسْتَوْحِشِينَ فِي الظُّلَمِ،  
يَاعَالِمًا لَا يَعْلَمُ، صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَفْعَلَ بِي مَا أَنْتَ  
أَهْلُهُ.

يَا وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ، يَا غَايَةَ آمَالِ الْعَارِفِينَ، يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ،  
يَا حَبِيبَ قُلُوبِ الصَّادِقِينَ، وَيَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ.

الدعاء بعد زيارة الإمام الرضا (عليه السلام):

لَا تُحَمِّدُ يَا سَيِّدِي إِلَّا بِتَوْفِيقِي مِنْكَ يَفْتَضِي حَمْدًا وَلَا تُشْكِرُ  
عَلَى أَصْفَرِ مِنَّةٍ إِلَّا اسْتَوْجِبْتَ بِهَا شُكْرًا؛ فَمَتَى تُحْصِي نِعْمَاؤُكَ  
بِالِإِلَهِيِّ وَتُجَازِي الْأَوْكَ يَا مَوْلَايَ وَتُكَافَأُ صِنَائِعَكَ يَا سَيِّدِي؟  
وَمِنْ نِعْمِكَ يَحْمَدُ الْحَامِدُونَ وَمِنْ شُكْرِكَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُونَ  
وَأَنْتَ الْمُعْتَمَدُ لِلذُّنُوبِ فِي عَفْوِكَ وَالنَّاشِرُ عَلَى الْخَاطِئِينَ  
جَنَاحَ سِرِّكَ، وَأَنْتَ الْكَاشِفُ لِلضَّرِّ بِبَيْدِكَ، فَكَمْ مِنْ سَيِّئَةٍ  
أَخْفَاهَا حِلْمُكَ حَتَّى دَخَلَتْ وَحَسَنَةٍ ضَاعَفَهَا فَضْلُكَ حَتَّى  
عَظَمْتَ عَلَيْهَا مُجَازَاتِكَ.

يَا مَعْرُوفَ الْعَارِفِينَ يَا مَعْبُودَ الْعَابِدِينَ يَا مَشْكُورَ الشَّاكِرِينَ  
يَا جَلِيلَ الذَّاكِرِينَ، يَا مَحْمُودَ مَنْ حَمِدَهُ يَا مَوْجُودَ مَنْ طَلَبَهُ  
يَا مَوْصُوفَ مَنْ وَحَدَهُ يَا مَحْبُوبَ مَنْ أَحَبَّهُ يَا غَوْثَ مَنْ أَرَادَهُ  
يَا مَقْصُودَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ.

ونكتفي بهذا المقتضفات، لأنه إذا أردنا ان نستقصي الآيات والروايات

والأدعية فإننا نحتاج إلى تأليف كتاب لوحده.

فهل أنه بعد أن تتمتع في المعاني السامية لهذه الأدعية وندقق في مضامينها العالية - التي تبين لنا جزءاً بسيطاً من صفات الله - فهل يمكن لهذا القلب أن لا يرغب في التلهف لهذا العشق؟ وأي قلب هذا لا يريد ان يغوص في بحر هذا العشق بعد ان عرف الحقيقة؟ وكما يقول القرآن الكريم أن هكذا قلب هو كالحجارة أو أشد قسوةً.

فالقلوب التي عشقت الله سبحانه وتعالى بكل وجودها، تعرّفت على هذا الكنز بعد هذه المعرفة، فبدون هذه المعرفة والتي اساسها القرآن الكريم وجذورها آثار محمد وآل محمد عليهم السلام، هل يمكن للإنسان تحصيل العشق؟ نعم، أولئك الذين عشقوا الله هكذا استطاعوا عن طريق مفتاح المعرفة أن يفتحوا في وجوههم باب المحبة والعشق.

ف عشاق حضرة المحبوب هكذا يقولون:

القلب الذي يكون عاشقاً لك، كيف يتعلق قلبه بآخر؟

القلب الذي أنت روحه وعقله، كيف ينسى ذكرك؟

والذي عرفك هل تستطيع الروح تقيده؟، وماذا يفيد أولاده ونساؤه وأمواله؟

وانت جعلته مجنوناً بك في الدارين، وماذا تفيد الدارين إن كان مجنوناً؟

لا نحبُّ ولا نعشق إلا حضرتك، ومن أحبّك فإنه لا يبالي بأحد.

ليس لأحد في قلبي مكان سواك، والقلب الذي أنت فيه لا يكون لغيرك.

إلهي اسقني كأساً من محبتك، وأمتني وأحييني في محبتك!

وأيضاً يترنّمون:

سعادة روعي تكون في رضاك، وقلبي في التوجّه إلى حرمك.

وتكتحل عينا العالم، من تراب قدمك.

وإن كان رأيك هو فنائي، فعملي يكون وفق مرادك.

فقلبي ضاق في هواك، و روعي تحلّق نحوك<sup>١</sup>.

ويتأهون قائلين:

أصبح عاقبة الوطن في ديار العشق، وشربنا الماء من فرات العشق.

وما حاجة العشاق إلى الصباح؟، فخمار العشق ليس فيه الآلام.

دعوت ثلاثين عاماً حتى السحر، وانفتح قلبي كالوردة من نسيم ربيع العشق.

والعقل الفلسفي يفرغ من الآلام، عندما يشرب جرعة من شراب العشق اللذيذ.

ولن تصل إلى هدفك ولن تجد الورود، دون ان تترك النوم وتحمل

اشواك العشق.

وكل من أصبح عاشقاً، فليفدي بروحه وجسده للعشق<sup>٢</sup>.

المقصود في هذا العالم وفي ذلك العالم وكل شيء، هو رؤية وجه

المعشوق هذا فقط.

وإذا لم أجد في العالم قبلة، فقبلتي هي وادي المعشوق فقط<sup>٣</sup>.

١- «خواجه عبد الله انصاري».

٢- «وحدت کرمانشاهی».

٣- «مناجات، خواجه عبد الله انصاري».

## معرفة الله في العلوم الحديثة:

الاووكسجين:

١- يعتبر الاوكسجين مثلاً ونموذجاً كاملاً من آثار معجزة نظام الخلق، فالهواء يتركب من الاوكسجين، النيتروجين، الأرجون، النيون، الزنون، الكريبتون ومقدار من بخار الماء، وثلاثة من عشرة آلاف جزء من ثاني أوكسيد الكاربون.

و من خلال وجود هذه الغازات الكاربونية تنعكس الالوان كالأحمر، والازرق، والاخضر؛ على صفحات الاعلانات، أو على الابواب و النوافذ، ومن بركة وجود غاز الأرجون، استطعنا بواسطة الأشعة الالكترونية ان نضيء الدنيا وان نساعد الحضارة الإنسانية على التقدم إلى هذا الحد.

٧٨٪ من الهواء يشكله النيتروجين و٢١٪ من الاوكسجين ويشكل الضغط الجوي تقريباً في كل بوصة مربع، كيلو ونصف. وباقي غاز الاوكسجين يتجمع ويحفظ في القشرة الارضية الذي تشكل منه مياه العالم.

يعتبر الاوكسجين اساس حياة جميع الكائنات الارضية ولا يمكن الحصول عليه إلا من محيط الأرض.

يجب علينا أن نرى أن هذا العنصر الحياتي مع ما لديه من الخواص الكيميائية ومع وجوده مع العناصر الاخرى، كيف بقي مصنوعاً بهذا الشكل؟ وكيف انه بقي بالمقدار اللازم لاستمرار حياة الكائنات بصورة نقية في الجو؟

حينما تصل نسبة الاوكسجين في الجو من ٢١٪ الى ٥٠٪ فإن كل الكائنات كانت تحترق، على سبيل المثال إذا اصطدم لهب ناري مع شجرة ما، فإن الغابة

كلها ستحترق ويؤدي بعد ذلك إلى انفجار مهيب.

وحينما تقل نسبة الاوكسجين ١٠٪ مع ان أغلب الكائنات تسعى ان تتأقلم مع هذا الجو، لكنه بالطبع فإن أكثر المواد الضرورية للحياة التي تشكل أساس العيش؛ سوف لا يكون بمقدورها التأثير بأي شكل من الأشكال.

وخلاصة الكلام، إذا كانت نسبة الاوكسجين الحر، كما ذكرنا سابقاً، أقل في الجو - الذي يشكل جزء قليلاً من مكونات الأرض - فسوف يكون جذبه مع التأخير، أو كلياً، وفي ذلك الوقت لا يكون فيه أثر حياة الدنيا وحياة الكائنات. هناك تناسب وتعادل دقيق جداً بين الاوكسجين وثاني أوكسيد الكربون، ويعتبر هذا من أهم العوامل المساعدة على استمرار الحياة الحيوانية والنباتية على الأرض، وهذا اعجاز الله سبحانه وتعالى في خلقه، الذي شدّ اهتمام أغلب العلماء والمفكرين إليه، وإلى الآن لم يُكشف بعد عن اهمية حامض الكاربونيك الأساسية، وآثاره وفوائده، وخواصه ومميزاته الحياتية.

ثاني أوكسيد الكربون، غاز ثقيل وجليظ بالقرب من سطح الكرة الارضية، ويسهل تجزئته عن غاز الاوكسجين بكل سهولة. فمثلاً، عندما تُشعل النار في شجرة ما، فإن الخشب تكون تركيبته مكوّنة من الأوكسجين والكاربون والهيدروجين، وعلى اثر الحرارة يتجزأ الخشب كيميائياً، ويتركب الكاربون بسرعة فائقة مع الاوكسجين ويشكل ثاني أوكسيد الكاربون. وكذلك الهيدروجين بنفس سرعة الكاربون يتركب مع الاوكسجين، ويشكل البخار، فالدخان الذي يخرج هو عنصر الكاربون الخالص الذي لم يتركب مع عنصر آخر.

عندما يتنفس الإنسان فإنه يستنشق مقداراً من الاوكسجين، ويقوم الدم بحمله



إلى جميع أنحاء الجسم. الاوكسجين يحرق المواد الغذائية بحرارة بطيئة في الخلايا المختلفة وينتج ثاني أوكسيد الكاربون وبخار الماء الحاصل منه، فمن اجل هذا عندما يقال مزاحاً ان فلاناً كالتنور يشتعل؛ هذه حقيقة، لأن غاز ثاني أوكسيد الكاربون الذي يتكون من احتراق المواد الغذائية في الخلايا المختلفة، يدخل إلى الرئتين ويخرج منها في عملية الزفير إلى الهواء.

يقول الإمام الصادق عليه السلام للمفضل؛ عندما يعرف الله له عن طريق آثاره:

من الذي يستطيع ان يخلق رئتين تعمل دون توقف وتأخذ الهواء من الخارج وتوصله إلى جميع أنحاء البدن؟ فالرئة إذا توقفت عن العمل ولو لحظة ولم تستطع ان تنقل الهواء النقي من الخارج إلى بدن الإنسان، فإن الإنسان سوف يموت، وهل يمكن أن تجري هذه الأمور التي ورائها مصلحة عظيمة في الوقت الذي تمتلك كل هذا النظم والترتيب تكون دون خالق حكيم قد اوجدها؟

وعلى هذا المنوال فإن جميع الكائنات تستنشق الاوكسجين وتطرح ثاني أوكسيد الكاربون.

من الخواص الاخرى للاوكسجين التي تجعلها ضرورية لحياة الإنسان؛ هي التفاعلات التي توجدها في سائر عناصر الموجودة في الدم.

من ناحية أخرى نعلم بأن حياة النباتات تعتمد على النسبة القليلة من ثاني أوكسيد الكاربون الموجود في المحيط التي تنفسها النباتات، فأوراق النباتات تكون بمثابة رئتي الإنسان التي تقوم بتجزئة ثاني أوكسيد الكاربون تحت حرارة الشمس إلى عنصر الكاربون والاوكسجين، ثم تطرح الاوكسجين إلى الجو

وتحتفظ بالكاربون في ساق النباتات. ويتركب مع عنصر الهيدروجين الذي يصل من جذور الساق والأغصان، وعلى اثر هذه التركيبات الكيميائية العجيبة تنتج الى الطبيعة الكلوكوز والسلولوز وآلاف المواد المعدنية الاخرى والثمار والازهار.

ومن عجائب القرآن الكريم أنه أشار إلى هذا الموضوع قبل أربعة عشر قرناً، والعلم توصل إليه بعد مئات السنين، قال تعالى:

﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ \* وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ \* لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾<sup>١</sup>.

وينسب القرآن الكريم التمر والعنب إلى تفاعلات جذور الأشجار التي تنتج نوعين من المواد السكرية والسلولوز. والنباتات تتغذى بنفسها وتنتج مقادير كثيرة من الاغذية للكائنات الأخرى الموجودة على سطح الأرض.

النباتات تنتج لنا غاز الاوكسجين الذي نستنشقه - وبدونه لا نستطيع ان نعيش حتى خمس دقائق - لهذا يجب على البشرية ان تشكر الله على هذه النعمة. فكما وضحنا سابقاً، فإن جميع النباتات، والغابات، والبراعم، وجميع الكائنات التي تنمو، يكون التركيب الاساسي لبنيتها هو الكاربون والماء.

فالحوانات تطرح الكربون، والنباتات الاوكسجين، وعلى هذا الاساس عندما يتوقف عمل هذين الموجودين، في ذلك الحين فإما أن تقوم جميع الحيوانات باستنشاق الاوكسجين، أو أن تقوم جميع النباتات باستنشاق الكربون، حينها يختل نظام هذين الموجودين، وبسرعة فائقة يتعرض وجودهما إلى الانقراض.

اخيراً اكتشف أن ثاني أوكسيد الكربون هو من الضروريات في حياة الحيوانات بنسبة ضئيلة، كما أن الاوكسجين هو من ضروريات النباتات.

غاز الهيدروجين مع أننا لا نستنشقه؛ فإنه من ضروريات الحياة، والدليل على ذلك؛ أن الماء لا يتكون دون غاز الهيدروجين ونعلم جيداً ان الماء يشكل الجزء الأكبر لأعظم المواد المكونة للنباتات والكائنات.

ويشير القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بقوله:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>١</sup>.

يعتبر غاز الاوكسجين، والهيدروجين وثاني أوكسيد الكربون والكربون سواء كان عنصراً لوحده أو مركباً مع آخر، من الأركان الاولية لحياة الكائنات، وإن أساس بناء الحياة في الأرض من هذه الغازات.

من بين ملايين الاحتمالات، لا يوجد احتمال واحد ان تتجمع هذه الغازات في لحظة واحدة في كوكب ما؛ وأن تكون بنسبة متوازنة و دقيقة تضمن الاستمرار للحياة.

لا يمكن توضيح رمز هذه الطبيعة بشكل علمي، حتى إذا أردنا ان نقول أن كل هذا النظم والترتيب كان صدفة، يكون قد استدللنا عكس منطق الرياضيات الذي يعني  $٤ = ٢ + ٢$ ، بمعنى آخر؛ أن لكل نظم منظم، ولكل حركة محرك.

فهذه زاوية من الأسرار والمنافع في جزء من أجزاء العالم التي لا تحصى أسراره وهو عنصر الاوكسجين. وعندما نشاهد كل هذا العناية والحب واللطف والحنان من الله سبحانه وتعالى للإنسان وبه نجتاز طريق المعرفة فهلا حصل لنا العشق لذلك الموجود المقدس؟

في الحقيقة ما اسمى كلام الإمام الصادق (عليه السلام) حول العارفين وعشقهم حيث قال: «وَالْحُبُّ فَرْعُ الْمَعْرِفَةِ».

### الجهاز الهضمي:

٢- لقد كتبت إلى الآن مئات بل آلاف الكتب حول الجهاز الهضمي وكيفية عمل هذا الجهاز، ولكنه يكتشف العلماء، كل عام؛ أشياء وأموراً جديدة حول هذا الجهاز وعمله، وكأنما يتعاملون مع وجود جديد لم يعرف من قبل، وهذا الأمر هو متجدد ويجذب الإنسان إليه.

إذا شبهنا الجهاز الهضمي بمختبر كيميائي، والمواد الغذائية التي تدخله؛ بالمواد الأولية للمختبر، حينها نشاهد ان عملية الهضم تتم بصورة كاملة وتحلل جميع المواد الغذائية الواردة إليها، إلا المعدة فإنها تبقى سالمة.

عادة نحن ندخل أنواع مختلفة من الأغذية على شكل مواد أولية إلى هذا المختبر، ولا نفكر أبداً، كيف يتحرك هذا الجهاز وكيف يعمل إن الجهاز الهضمي يتعامل مع التفاعلات الكيميائية التي تحصل بداخله وفق نظام دقيق.

فنحن ندفع بأنواع الأكل كالكباب، واللحم، والملفوف، والبقولات، والسّمك المشوي، والخبز والخضار، مع عدة اكواب من الماء إلى المعدة. وفي بعض الاحيان نتناول بعض الادوية والمواد الحياتية. بعد ذلك تقوم المعدة باختيار تلك الأغذية التي تنفع الجسم، ثم تقوم بتجزئتها وعجنها مع المواد الكيميائية التي تفرزها، وبعد ذلك تقوم بطرح فضلات هذه المواد إلى الخارج، وتحول بقية المواد إلى بروتينات لكي تستفيد منها الخلايا الجسمية.

إن الجهاز الهضمي يختار من بين الاغذية، الكبريت، واليود، والحديد، وبقية المواد والعناصر الأخرى التي تفيد البدن، ثم يقوم بتشخيصها وفصلها عن بعضها الآخر، ويركز الجهاز في الحفاظ على الذرات الاصلية والمفيدة للمواد، وأن تُصرف في إنتاج الهرمونات. لكي تكون المواد الأساسية دائماً متوفرة عند الاحتياج إليها.

و تقوم المعدة بخزن الدهون والمواد الضرورية الأخرى، كي لا يتلف البدن من الجوع عند عدم وصول المواد الغذائية إليه، كل هذه الأعمال تقوم بها المعدة دون ان ينتبه أو يفكر الإنسان بها.

نحن نُدخل جميع هذه الأغذية المتنوعة إلى داخل هذا المختبر، بدون ان نراعي منافعها ومضارها واحتياج المعدة لها؛ فكل هَمًا فقط؛ ان نشبع غريزة الجوع و الأكل، ولا نعلم شيئاً عن هضمها والتفاعلات التي تحدث داخل المعدة، و لا نعلم أنه بعد وصول الأغذية إلى المعدة، ما تقوم به المعدة من عمليات هضم و امتصاص و ايصال الطاقة إلى الخلايا من أجل التغذية.

يجب ان نعلم بأن عدد الخلايا في الجسم البشري تصل إلى عدة مليارات

خلية، وهذا يعني انه ربما أكثر عدداً من عدد سكان الأرض، فالمواد الغذائية يجب ان تصل إلى الخلايا بشكل منظم ومرتب، وتقوم كل خلية من أعضاء البدن المختلفة كالعظام، والعضلات، والاطافر، والشعر، والعين، والاسنان وغيرها، بجذب المواد الغذائية النافعة لها في نموها وحياتها.

لذا فإن المواد التي تُنتَجُ في هذا المختبر الكيميائي، هي أكثر من المواد التي التي تُنتَجُ في المختبرات الكيميائية التي صنعها الإنسان، فشبكة الارتباطات و الاتصالات وطريقة حمل المواد الغذائية وايصالها إلى الخلايا، تجري على نحو كامل ومنظم لدرجة، أنه إلى الآن لم يستطع أي نظام حمل ونقل آخر ان يملك مثله بهذه الدقة.

هذا المختبر العجيب؛ لا يرتكب أي خطأ؛ منذ طفولة الإنسان إلى ان يبلغ عمر الخمسين تقريباً، في الوقت الذي أن المواد الغذائية التي تصل لهذا المختبر، يُنتَجُ منها أكثر من مليون نوع من المواد المختلفة، التي أغلبها تكون سامة وقاتلة. عندما تصبح مجاري توزيع وحمل المواد الغذائية في البدن ضعيفة، إثر طول مدة الاستعمال، فإن قدرة وطاقة الجسم تهبط تدريجياً ويدخل الإنسان سن الضعف والكهولة.

تقوم كل خلية بحرق المواد الغذائية التي تم امتصاصها بواسطة الاحتراق الداخلي، الذي يوفر الحرارة اللازمة للبدن، لكن كلنا نعلم بأن الاشتعال لا يتم إلا بواسطة الاحتكاك، فأولاً يجب علينا ان نشعل النار حتى تتم عملية الاحتراق، لذا فإن طبيعة جسم الإنسان عن طريق بعض التركيبات الكيميائية للمواد الغذائية؛ ينتج عملية الاحتراق وبواسطتها يقوم بحرق المواد الغذائية في الخلايا ويقوم بتجزئة و تحليل الاوكسجين والهيدروجين واثاني أو كسيد الكاربون عن

بعض، وبهذه الطريقة يتم تأمين حرارة البدن وكما نرى في النار العادية، فإنه يتم فصل بخار الماء وثاني أكسيد الكربون.

و حامض الكربونيك يقوم بحمل الدم إلى الرئتين، وعلى إثر ذلك؛ تتم عملية التنفس الذي هو أساس الحياة. فجسم الإنسان يُنتج كيلو واحد من ثاني أكسيد الكربون ويقوم بدفعه بطريقة عجيبة.

عندما يتعرض جسم الإنسان للهجوم من ميكروب الامراض، يقوم هذا المختبر العجيب بمواجهته بجيشه المجهز والمُعد بالسلاح، بالدفاع عنه، وينقذ الإنسان من الموت وخطر الامراض.

كل هذه القضايا تتم بنظم وترتيب خاص، وكما نشاهد؛ فإن هذا النظم والترتيب يخالف الصدفة والحدث<sup>١</sup>.

وهنا يقول قائد الاحرار الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة:

«عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَكَ».

على كل حال، فهذا سرّ صغير ومخفي من أسرار وعجائب الخلق، ليثبت الاهتمام بهذه الحقيقة والحقائق الأخرى التي هي الاعمدة والأسس التي تقوم عليها حياة الإنسان، واستقرارها في طريق التوحيد لله سبحانه وتعالى. الذي لا يخلو قلب منته من عشقه. فكيف يظل قلب الإنسان فارغ من عشق الله بعد ان وصل إلى كل هذه الحقائق والخيرات الذي أنعمها الله عليه؟

نعم، ان معرفة العارفين وعلى رأسهم الأنبياء والأئمة عليهم السلام قد بدلت جميع

وجودهم تجاه حضرته؛ إلى عشقه، وحرارة هذا العشق؛ أدت بهم إلى العبادة بصورة كاملة وتحمل أنواع العذاب والمصائب من أجل الله سبحانه وتعالى.

كل من يطلب منه الرزق، فمكانه يصبح قبلة للذرات.  
والعشق الذي مكانه في سوق الأصنام، يكون كمجموعة تلو مجموعة في الطلب.

حرارة العشايق في «خرابات» العشق، ونار العشق يحرق القلوب.  
والعشق ليس هو وسواس أو نزوة، والعشق ليس بجوهر أو عرض.  
قيل لمجنون أن هناك صنم في دمشق، ومن الذي غرق في بحر العشق.  
ماذا يعني العشق وما هي مرتبة العشق؟، ومن هما العاشق والمعشوق في هذا الحجاب؟

لا يوجد في هذا الحجاب عشق لآخر، أوله وآخره عشق فقط.  
فالعاشق والمعشوق من مصدر واحد، وهما مرآة للآخر.  
العشق المجازي للحقيقة معبر، وجمال الوجه هو من الانجذاب الروحي.  
المعرفة حقيقة ذكرت في القرآن الكريم والروايات الإسلامية، تحت عنوان العلم، والفقهاء، والعرفان، والبصيرة. القوانين الإلهية تقيّم كل شخص في الدنيا والآخرة على أساس معرفته للحقائق.

فقد روى عن الإمام الحسين عليه السلام قوله:

«سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: الْمَعْرُوفُ بِقَدْرِ الْمَعْرِفَةِ»<sup>١</sup>.



وجاء في القرآن الكريم، بأن درجات العلماء افضل من الآخرين وأهمية كل علم يعتمد على موضوعه؛ وما أسمى واحسن علم التوحيد؟ والذين حصلوا على المعرفة في هذا الوادي، هم العشاق الحقيقيين. وفي ظل أشعة هذا العشق؛ فقد وصلوا إلى اعلى مقام من الإنسانية، وكان وجودهم للعالم والناس منبع خير وبركة.

### المحبة في القرآن الكريم:

كما أسلفنا سابقاً، فإن الحبّ والعشق هو حصيله معرفة الحقائق والاطلاع عليها.

والآن نذكر لكم الآيات والروايات التي لها ترتبط بهذا الموضوع:

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾<sup>١</sup>.

فالإيمان هو الخط الذي يربط الإنسان بالله سبحانه وتعالى. والله يشير في هذه الآية إلى هذا المعنى؛ أنه متى ما وقفت لمعرفة الحقائق، فإن تلك الحقائق ستصبح محبوبة لديك.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>٢</sup>.

إن ادعاء محبة الله دون معرفة الرسول ﷺ واطاعته - الذي هو هدف و غاية الثقافة الإلهية - هو ادعاء واهي.

١- الحجرات ٤٩: ٧.

٢- آل عمران ٣: ٣١.

ولطالماً دعا القرآن الكريم الناس إلى معرفة رسوله ﷺ، هذا الرسول الذي تاريخ حياته قبل بعثته واضحة؛ وكانت لديه دلائل وبراهين واضحة منذ بداية بعثته. ولقد وضع الله سبحانه وتعالى جميع علائم النبوة مع رسوله ﷺ حتى لا يفتري حجة وعذر لأحد. فالذين رأوا البراهين والدلائل والحجج وتوضح لهم بأن العامل الوحيد لسعادتهم في الدنيا والآخرة هو قبول دعوة الرسول ﷺ؛ لذا أحبوه.

وعلازمة عشقهم وحبهم للرسول ﷺ هو اطاعتهم للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ والذي اصبحوا عن هذا الطريق الطاهر؛ عشاق الله؛ وضحوا في سبيل المحبوب بكل شيء، وعرفوا في تاريخ البشرية بأنهم من افضل عباد الله. فسلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمار، وياسر، وسمية، وبلال كانوا من هؤلاء الذين عرفوا الرسول ﷺ حق المعرفة وعشقوه. فهؤلاء بواسطة إرشادات الرسول ﷺ عرفوا الله سبحانه وتعالى؛ وكانوا في الخط الأول من عشاق حضرة الحق. نعم، ان حب الله هو نتيجة لمعرفة الرسول ﷺ ودين الله؛ وبدون هذه المعرفة فإن ادعاء عشق الإنسان لله سبحانه وتعالى لا يعدو أن يكون ادعاء واهياً وخيالي.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي  
اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى  
الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾

في الحقيقة، كيف يتحلى الإنسان بهذه الصفات المذكورة في الآية دون معرفة الله سبحانه وتعالى؟ فالإنسان ما لم يصل إلى المعرفة عن طريق الصراط المستقيم، والفكر والتفكير والعشق؛ فإنه لن يصل إلى ما وصل إليه العارفين من مراتب.

هذا الطريق، طريق الله سبحانه وتعالى. والإنسان بعد التأمل والتدقيق فيه، سوف يعلم بأنه السبيل الوحيد للنجاة، فكيف للإنسان بعد ان عرف الطريق؛ أن لا يعشقه وأن لا يتعلق قلبه به؟

طريق النجاة؛ هو طريق الله الذي ينتهي إليه، واجتياز هذا الطريق يعني المحبة لله، ومحبته من أهم الطرق للوصول إلى عشقه. العشق الذي يختص بدرجات العرفان وبمقام العارفين. لذا كلما تكثر المعرفة، فإن نار عشقه تتأجج أكثر، و لهذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾. يعني اولئك الذين يعشقون الله عشقاً شديداً، وهذا العشق هو العامل المحرك لهم نحو الله ومركب هذا الطريق هو الأوامر المذكورة في الآية الشريفة.

فهؤلاء يبدلون الفراق بينهم وبين الله سبحانه وتعالى إلى وصال بواسطة أداء أفضل الأعمال التي أمر بها حضرة الحق.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ ٢.

لم لا يعشق المؤمنون الله عشقاً دون حدود؟ وهل يملك آخر، غير حضرة

١- المائدة: ٥: ٥٤.

٢- البقرة: ٢: ١٦٥.

الحق هكذا صفات:

الخالق، البارئ، المصور، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الرازق، البديع،  
المقدّر، المدبّر، الحكيم، المطهّر، المنور، الميسّر، المبشّر، المنذر، المقدم،  
المؤخّر، العاصم، القائم، الدائم، الراحم، السالم، الحاكم، العالم، القاسم،  
القابض، الباسط، الغني، الوفي، العلي، الملي، الحفي، الرضي، الزكي،  
البدي، القوي، الولي، الاحد، الواحد، الشاهد، الماجد، الحامد، الراشد،  
الباعث، الوارث، الضار، النافع، المانع، الدافع، الرافع، الصانع، السامع،  
الجامع، الشافع، الواسع، الموسع، الجليل، الجميل، الوكيل، الكفيل،  
الدليل، القبيل، المديل، المنيل، المقليل، المحيل، الغافر، الساتر، القادر،  
القاهر، الفاطر، الجابر، الذاكر، الناظر، الناصر، العفو، الغفور، الصبور،  
الشكور، الرؤوف، العطوف، المسئول، الودود، السبوح، القدوس، الناطق،  
الصادق، الفائق، الفارق، الفائق، الراق، السابق، السامق، السميع، الرفيع،  
المنيع، الكبير، القدير، الخبير، المجير.

فالإنسان بمعرفته كل هذه الصفات ألا يصل إلى هذا المعنى بأن كل شيء  
الإنسان هو الله، ولا شيء غيره؟ ففي هذه الحالة لم لا يعشق الإنسان حضرة  
الحق كل العشق؛ كما قالت الآية.

ولا ننسى أن نقول: بأن أولئك عشقوا حضرة الحق؛ عن طريق المعرفة، فالله  
يعشقهم أيضاً. وفي الحقيقة هذا العشق هو من طرفين، عشق العبد للرب وعشق  
الرب لعبده، فقد أبدى الله العظيم العشق والمحبة في القرآن الكريم في عشر  
مواضع؛ لعباده الاعزاء الذين يحرقون انفسهم في حبه وطاعته.

نماذج من محبة الحق لعباده في القرآن الكريم:

والآن نشير إلى موارد من حب الله لعباده ونذكر شرحه حسب مضمون الآية.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾<sup>١</sup>.

في هذه الآية يجب ان نتبه بأن المقصود من الطهارة، هي الطهارة التي يتم الحصول عليها عن طريق أوامر الله سبحانه وتعالى، وليس الطهارة التي يحصل عليها عن طريق الغسل، حتى يكون مورد محبة الله سبحانه وتعالى.

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>٢</sup>.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>٣</sup>.

ففي هذه الآية، جعل الله سبحانه وتعالى طاعة الرسول ﷺ سبب حبه لعبده.

﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>٤</sup>.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ

وَالْعَاقِبِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>٥</sup>.

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

١- البقرة: ٢: ٢٢٢.

٢- آل عمران: ٣: ١٥٩.

٣- آل عمران: ٣: ٣١.

٤- آل عمران: ٣: ٧٦.

٥- آل عمران: ٣: ١٣٤.

الْمُقْسَطِينَ ﴿١﴾.

﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِثْيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ٢.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ ٣.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانًا مَرْصُوصًا﴾ ٤.

المحبة في الروايات الشريفة:

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَشَقَ وَعَفَّ وَكَتَمَ وَمَاتَ، مَاتَ شَهِيدًا» ٥.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمَوْطِنُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلِفُونَ

١- المائدة ٥: ٤٢.

٢- آل عمران ٣: ١٤٦.

٣- المائدة ٥: ٥٤.

٤- الصف ٦١: ٤.

٥- بحار الأنوار: ٣٩٦/٦٨، باب ٩٢-حسن الخلق، حديث ٧٦.

وَيُؤَلَّفُونَ»<sup>١</sup>.

وقال عليه السلام: «لَمَّا غَرَسَ اللَّهُ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ غَرَسَ أَشْجَارَهَا  
بِيَدِهِ وَفَجَّرَ أَنهَارَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا تَحْسِنِي بِحُسْنِي فَوَ عِزَّتِي  
وَجَلَالِي لَا يُجَاوِرُنِي فِيكَ بَخِيلٌ»<sup>٢</sup>.

حقاً، أي بخل أكثر من أن الإنسان يمنع انعكاس عشق الله في قلبه الذي هو  
بيت الله، ويحرم نفسه التحلي بصفات الله سبحانه وتعالى، وأن يمنع دخول الانوار  
الملكوية لنفسه، ويعيش حياته كالحيوانات؛ فهمه فقط العلفت والشهوة.  
يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند دعائه:

«أَسْأَلُكَ بِحُبِّكَ وَحُبِّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبِّ عَمَلٍ تُقَرِّبُنِي إِلَيْ حُبِّكَ»<sup>٣</sup>.

كلام في باب العشق:

احد الفضلاء و الكرام، يوضح ويفسر معنى العشق قائلاً:

اقسام العشق:

نستطيع تقسيم العشق إلى خمسة أقسام:

- ١- العشق الإلهي: هو اعلى واسمى مقام ومرتبة، حيث ينالها فقط أهل  
البصيرة، والتوحيد والحقيقة.
- ٢- العشق العقلي: هو مقام يناله أهل المعرفة ويرتبط بعالم المكاشفة والملكوت.

١- بحار الأنوار: ٣٦٩/٦٨، باب ٩٢، حسن المخلوق، حديث ٧٦

٢- عبير العاشقين: ٣١.

٣- عبير العاشقين: ٣٢.

٣- العشق الروحاني: وهو مختص بعباده الخاصين الذين يختارهم الله سبحانه وتعالى، ويمتلكون لطافة وقابلية عالية.

٤- العشق الحيواني: هو من صفات أصحاب الرذائل والشهوات النفسانية.

٥- العشق الطبيعي: هذا العشق يشترك به جميع الناس، حتى ان اجهل الناس يعرف الكثير عن هذا العشق.

لكل نوع من هذا العشق، توضيح خاص به:

فالعشق الحيواني هو من ارذل الصفات الخلقية. حيث شرب الخمر، والفساد، والغناء، والفسق وارتكاب المعاصي و هي من اطاعة هوى النفس النفس الامارة؛ التي تهيج الشهوات المذمومة حتى يصل إلى حد الضعف الحيواني، الذي هو في الأصل شهوة فطرية. بعد أن يأنس ويألف محبوبه لعدة ثوان فإنه يتخلص من نار شهوة النفس الامارة. وفي عالم العقول وعند اهل الشريعة، هو مذموم؛ لأنه خلاف أحكام وأوامر الله سبحانه وتعالى.

العشق الطبيعي هو من لطافة العناصر الأربعة، فمن جهة فهو يحرك النفس الناطقة، ومن جهة أخرى النفس الامارة، وكذلك فهو يقع تحت تأثير النفس الأم، وتحت تأثير النفس الخادعة. فإذا تغلب العقل والروحانيات على هذا العشق؛ فإنه محمود، وإلا فإن كان ذا طبع جسماني، فإنه عند أهل العشاق مذموم. ولأن العقل والعلم لا يتدخلان فيه لا تكون نتيجته سوى النار والعذاب، في هذا العالم بسبب الشهوة حيوانية، وفي ذلك العالم أيضاً؛ لأن النار جسماني.

العشق الروحاني هو الذي يكون لدى خاصة الناس. فجواهر الوجه الظاهر ومعانيه قد اتسمت بصفاء الروح المقدسة، وهُدِّيت من عالم العقل، فظواهرهم



كباطنهم، وكلما يرون من مستحسنت المعشوق، كلما غرقوا وهاموا في عشقه أكثر. وبما أنهم أحرقوا خبث طبائعهم بنار المجاهدة، ونار شهوة صرصر وانفاس خمود؛ فإنه يتصل هذا العشق؛ بعش أهل المعرفة، لأنه سلم الأساس للصعود إلى الملكوت؛ ولا سيما هذا العشق هو مستحسن عند أهل مذهب العشق.

وأما العشق العقلي فيظهر من سير العقل بجوار النفس الناطقة في عالم الملكوت، ومن علائم مشاهدة الجبروت. وهو بداية الحب الإلهي واما الحب الإلهي فهو ذروة العلية في حده الأقصى وله بدايات، وانبساط ونهايات ولا يقوم إلا بمشاهدة جمال الحق وجلاله سبحانه وتعالى.

فتذكر هذه الملاحظة ضروري؛ بأن الإنسان متصف بأنواع عديدة من المحبة، وهذه الأنواع ناشئة من فطرة وطبيعة وحقيقة الإنسان. و محور حياة الإنسان على ذلك. كالمحبة للنفس، والمحبة للوالدين، والمحبة للاقرباء والأولاد والأصدقاء والبيت والعمل، والمحبة للعالم. يجب ان نتنبه إلى القرآن المجيد والروايات الشريفة قد أصرّت على ان جميع أنواع المحبة بالارتباط مع التربية الإسلامية، يجب أن تكون تابعة لمحبة وعشق الله سبحانه وتعالى، حتى يكون الإنسان في حركة مستمرة على طريق الرشد والكمال والوصول إلى المقصود، وإذا طغت أنواع المحبة الأخرى في داخل الإنسان على محبة الله سبحانه وتعالى، فبدون شك، إن الإنسان قد وقع في خطر كبير وهلاك ابدى، مثلما يقول القرآن الكريم:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>٢</sup>.

نعم، فكما قال القرآن الكريم؛ يجب ان نجعل محبة الله هي الأساس والمحور، وبقية انواع المحبة الأخرى ظل وتابع لها، وبهذه المناسبة فإنه خُصص باب مهم في كتب الشيعة المعتبرة باسم «الحب في الله والبغض في الله» التي تعتبر رواياته من الآثار الإسلامية الاصلية وافضل مرشد للإنسان نحو الحب الصحيح.

الحب في الروايات:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى

١- التوبة: ٩: ٢٤.

٢- المجادلة: ٥٨: ٢٢.

لِلَّهِ فَهُوَ مِمَّنْ كَمَلَ إِيمَانُهُ»<sup>١</sup>.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مِنْ أَوْثَقِ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ وَتُعْطَى فِي اللَّهِ وَتَمْنَعَ فِي اللَّهِ<sup>٢</sup>.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «وَدُّ الْمُؤْمِنِ لِلْمُؤْمِنِ فِي اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ شُعَبِ الْإِيمَانِ، أَلَا وَمَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ وَأَعْطَى فِي اللَّهِ وَمَنْعَ فِي اللَّهِ فَهُوَ مِنْ أَصْفِيَاءِ اللَّهِ»<sup>٣</sup>.

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، قَدْ أَضَاءَ نُورٌ وَجُوهَهُمْ وَنُورٌ أَجْسَادِهِمْ وَنُورٌ مَنَابِرِهِمْ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى يُعْرَفُوا بِهِ فَيُقَالُ هَؤُلَاءِ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ»<sup>٤</sup>.

عَنْ قُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ:

«سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الْحُبِّ وَالْبُغْضِ، أَمِنْ الْإِيمَانِ هُوَ؟

١- الكافي: ١٢٤/٢، باب الحب في الله، حديث ٢؛ مجموعة ورام، ١٩١/٢.

٢- الكافي: ١٢٥/٢، باب الحب في الله، حديث ٢، أمالي الشيخ الصدوق، ٥٧٨، المجلس الخامس والثمانون، حديث ١٣.

٣- الكافي: ١٢٥/٢، باب الحب في الله، حديث ٣؛ وسائل الشيعة: ١٦٦/١٦، باب ١٥ - باب وجوب الحب في الله، حديث ٢١٢٥١.

٤- وسائل الشيعة: ١٦٦/١٦، باب ١٥، حديث ١٣٩٥١؛ بحار الأنوار: ١٩٥/٧، باب ٨ - أحوال المتقين، حديث ٦٤.

فَقَالَ: وَهَلْ الْإِيمَانُ إِلَّا الْحُبُّ وَالْبُغْضُ: «ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ؟  
 ﴿حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ  
 أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ  
 وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾»<sup>١</sup>.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟ فَقَالُوا  
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الصَّلَاةُ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الزَّكَاةُ  
 وَقَالَ بَعْضُهُمُ الصِّيَامُ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ وَقَالَ بَعْضُهُمُ  
 الْجِهَادُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُلُّ مَا قُلْتُمْ فَضَلُّ وَلَيْسَ بِهِ  
 وَلَكِنْ أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ  
 وَتَوَالِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَالتَّبَرِّي مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ»<sup>٢</sup>.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ﷺ قَالَ: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَوْلِيَيْنِ  
 وَالْآخِرِينَ قَامَ مُنَادٍ فَنَادَى يُسْمِعُ النَّاسَ فَيَقُولُ: أَيُّنَ الْمُتَحَابِّينَ  
 فِي اللَّهِ قَالَ: فَيَقُومُ عُنُقُ مَنْ النَّاسِ فَيَقَالُ لَهُمْ: إِذْهَبُوا إِلَى  
 الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ، قَالَ: فَتَلْقَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ إِلَى أَيُّنَ؟  
 فَيَقُولُونَ نَحْنُ الْمُتَحَابِّونَ فِي اللَّهِ قَالَ: فَيَقُولُونَ وَأَيُّ شَيْءٍ

١- الحجرات ٤٩: ٧.

٢- الكافي: ١٢٥/٢، باب الحب في الله، حديث ٥.

٣- الاختصاص: ٣٦٥، باب صفة النار؛ تحف العقول: ٥٥.

كَانَتْ أَعْمَالِكُمْ فَالُوا: كُنَّا نُحِبُّ فِي اللَّهِ وَنُبْغِضُ فِي اللَّهِ قَالَ:  
فَيَقُولُونَ نَعَمْ أَجْرُ الْعَامِلِينَ»<sup>١</sup>.

عَنْ جَابِرِ الْجُعْفِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ:

«إِذَا أَرَدْتُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ فِيكَ خَيْرًا فَانظُرْ إِلَى قَلْبِكَ فَإِنْ كَانَ  
يُحِبُّ أَهْلَ طَاعَةِ اللَّهِ وَيُبْغِضُ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ فَبِكَ خَيْرٌ، وَاللَّهُ  
يُحِبُّكَ، وَإِنْ كَانَ يُبْغِضُ أَهْلَ طَاعَةِ اللَّهِ وَيُحِبُّ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ  
فَلَيْسَ فِيكَ خَيْرٌ وَاللَّهُ يُبْغِضُكَ وَالْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»<sup>٢</sup>.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

«قَدْ يَكُونُ حُبٌّ فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَحُبٌّ فِي الدُّنْيَا فَمَا كَانَ فِي  
اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَثَوَابُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِشَيْءٍ»<sup>٣</sup>.

١- الكافي: ١٢٦/٢؛ وسائل الشيعة: ١٦/١٦٧، باب ١٥/باب وجوب الحب في الله، حديث ٢١٢٥٤.

٢- مشكاة الأنوار: ١٢١، الفصل الخامس في المحبة والشوق؛ علل الشرايع: ١/١١٧، باب ٩٦ - باب  
علة الطبايع والشهوات.

٣- وسائل الشيعة: ١٦/١٦٨، باب ١٥ - باب وجوب الحب في الله، حديث ٢١٢٥٦؛ الكافي: ١٢٧/٢،  
باب الحب في الله، حديث ١٣.

## «فَدَلِيلُ الْخَوْفِ الْهَرَبُ»

### دليل الخوف:

يشير الإمام عليه السلام إلى النتائج العملية لكل من الخوف، والأمل والعشق ويبدأ أولاً بتوضيح نتيجة وثمره الخوف، ويقول:

إن ظهور الخوف في قلب العارف دليله هو (الهرب) ويجب ان نوضح ماذا يعني الإمام من الهرب هنا؟

يجب ان يعلم الإنسان انه يواجه حقيقتين وهما:

١- مجموعة من المسائل والأمور التي هي تصبُّ في مصلحته، وإن لم تكن ذات نفع ظاهري.

٢- مجموعة من المسائل والأمور التي تكون بضرره، وإن كان لها نفع ظاهري.

و بكل تأكيد، لا يريد أي عاقل الضرر، وأهل العقل يهربون دائماً من الضرر. وقد ثبتت هذه المسألة، وهي ان كل شيء سوى الله سبحانه وتعالى ومايتعلق به، لا ينفع الإنسان؛ بل ويضرّ به. ومن أجل هذا، فإن العارفين يعيشون وفق القواعد والمعايير القرآنية، ولا يتعاملون في سوق الدنيا؛ إلا مع الله سبحانه وتعالى، لأنهم يعلمون بأن الله جل وعلا هو الوحيد الذي يشتري الإنسان ولا يريد منه سوى

الإيمان والعمل الصالح وفي المقابل؛ فإنه يجازيه بالثواب الحسن الوفير. فغير الله، يستخدم الإنسان؛ في سبيل الأكل والشهوة وفي المقابل لا يجازيه بشيء، لانه في الأصل لا يملك شيئاً كي يهبه له. فغير الله؛ يؤدي بالإنسان إلى الفقر المادي والروحي، ويجعل دنياه وآخرته هباءً منثوراً، ويهيئ له الاسباب الابدية؛ لهلاكه لذا فإن العارف يهرب ويستوحش من غير الحق؛ ورسالة الأنبياء وإمامة الأئمة؛ وحكمة الحكماء؛ وعرfan العارفين الحقيقيين؛ والاخلاق الحسنة والاعمال الحميدة.

فالذي لا يهرب من الأمور الخطرة؛ المسببة له الخسران الأبدي؛ عليه ان يعلم ان الخوف من الله ومن عقاب الغد، لم يستقر بعد في قلبه. وإن كان يحسب نفسه عارفاً، لكنه لم تطأ قدماه وادي العرفان الاسلامي بعد.

حقاً، هل يمكن الحصول على الرشد والكمال، والبصيرة والمعرفة وكسب حصول المعرفة، بالادعاء فقط دون العمل، أو بالكلام دون العلم؟

من أي شيء يجب ان نهرب:

وبالإجمال، فإنه يستفاد من الآيات القرآنية والروايات الإسلامية مايلي:

١- ان يتجنب الإنسان مجالسة المذنبين والفساق الذين لا أمل في رجوعهم وتوبتهم ومن هنا فإن مجالسة هؤلاء يعتبر مانعاً للحصول على الرشد والكمال الانساني، فيجب علينا ان نحارب وبشدة، الارتباط مع هؤلاء الناس.

٢- اجتناب كل ما هو حرام واعتبر ذنب من وجهة نظر القرآن الكريم والروايات الشريفة.

و هنا نشير إلى قسم من الآيات والروايات بخصوص الموردين السابقين:

الآية الأولى: عباد الشهوة:

﴿وَذُرِّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ  
الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ  
اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا  
أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ  
وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾<sup>١</sup>.

نعم، فعلى اساس الامر الذي أُعطي لنبيه ﷺ، يجب على المؤمنين والعارفين، ان يقطعوا روابطهم مع الذين يتخذون الدين سخرية، وان يهربوا من مجالسة الجهلاء وان لا يعاشرونها على الإطلاق.

كما يأمرنا القرآن في كل عصر بالمحاربة والجهاد لاقتلاع جذورهم وتطهير طريق الله من الدنس ولوث وجودهم.

بالطبع فإن هناك من يعرف نفسه بأنه قطب وزاهد وفقير إلى الله في الوقت الذي يشكل فيه ركناً من أركان السلطنة والبلاط الفاسد، و من اعمدة الحكومات الخائنة وحتى ان بعضهم يعرفون أنفسهم على شكل القطب أو الفقراء إلى الله، كي يصلوا إلى مقاصدهم الخبيثة و المشؤومة و هؤلاء لا يؤيدهم الإسلام. و من معهم من المخدوعين الذين يمضون في مسير الضلال والظلام.

هؤلاء هم محور البرامج الشيطانية ولم يذوقوا ذرة من العرفان الاسلامي، وهم كالذئاب على هيئة اغنام، كما وصفهم الله سبحانه وتعالى في الحديث



القدسي «قطاع الطريق».

فالعارف الحقيقي من هو من دائرة العارفين الحقيقيين، ومحور العرفان والهداية، هو الوجود المقدس لمولى الموحدين، وامام العارفين، أمير المؤمنين (عليه السلام)، الذي أفتى عمره في محاربة المستكبرين ورؤساء الفساد والظالمين والكفار والمنافقين وضحى بروحه الطيبة في المحراب من أجل هذا الطريق، الذي هو طريق الله. وما أقل حياء الذين يدعون أنهم من العارفين والفقراء ومن موالى أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ بينما هم مدنسون بالذنوب والرياء.

الآية الثانية: الذين يفرقون وحدة المسلمين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ  
إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾<sup>١</sup>.

وهذه الآية تعلمنا بأن العارف بالطريق، يجب عليه ان يهرب من هؤلاء المرئيين، ويتجنب معاشرتهم على الإطلاق، لانهم يخربون دنياهم وآخرتهم.

الآية الثالثة: المستهزون:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا  
وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ  
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُوبَكُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>٢</sup>.

١- الأنعام: ٦: ١٥٩.

٢- المائدة: ٥: ٥٧.

فالأمة الإسلامية بعد قرون و قرون من التجربة، ينبغي أن تكون قد وصلت إلى هذه النتيجة؛ بأنه لن يناله ولا يأتيه من قبل اليهود والنصارى والكفار أو بعبارة أخرى من الغرب والشرق إلا الضرر؛ لذا، فاليوم، هو ليس يوم الصداقة وبناء جسور المحبة معهم، بل اليوم هو يوم محاربتهم واقتلاعهم من جذورهم عن طريق البشرية نحو التكامل.

الآية الرابعة: المنخدعون بالظاهر:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>١</sup>.

يطلب الله سبحانه وتعالى منا في هذه الآية؛ ان نبتعد عن المنافقين والجواسيس الخبيثاء، والمتكبرين وكل فرد يكون مخالفاً لله ورسوله ويكون وجوده ضرر للأمة الإسلامية.

الارتباط مع هؤلاء يجلب للإنسان الخسارة في الدنيا والآخرة، والذي يخاف من الخسارة في الدنيا والعذاب في الآخرة، يجب عليه ان يتعد من هؤلاء الخبيثاء

ولا يرتبط بهم مطلقاً.

الآية الخامسة: المخالفون لليهود:

﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ  
فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾<sup>١</sup>.

الآية السادسة: كفر الوالدين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ  
إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ  
هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>٢</sup>.

الآية السابعة: المنكرون للمعاد:

﴿فَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا  
يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ  
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ  
صَاغِرُونَ﴾<sup>٣</sup>.

حقاً، كيف تبين هذه الآيات من موضع قوي تكليف الأمة الإسلامية في مقابل

١- التوبة ٩: ١٢.

٢- التوبة ٩: ٢٣.

٣- التوبة ٩: ٢٩.

اليهود والنصارى، بالأخص المجرمين الأوربيين والأمريكيين والاسرائيليين، و الأمة الإسلامية يجب ان تحدّد موقفها من اعداء الله بكل قوة اعتماداً على الله كما وردت في الآية، ولعنة الله على الخائنين الذين يدعون أنهم رؤساء و زعماء للأمة الإسلامية ومن ثم يتعاونون مع المجرمين ويقفون ضد الإسلام والمسلمين، فإذا كان هؤلاء حقاً يؤمنون بالله واليوم الآخر، لم يكن ليعقدوا معاهدة الصداقة معهم، بل كانوا يحاربونهم ويدافعون عن الاسلام والمسلمين.

الآية الثامنة: المنافقون:

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾!

و امثال هذه الآيات في القرآن الكريم كثيرة ويمكن ان يستفاد منها: ان العارف مكلف في المرحلة الأولى ان يعرف الافراد المنافقين الذين فضحهم القرآن الكريم، وان يعمل بوظيفته الالهية فإن كانت وظيفته ان يهرب منهم فليهرب، لأن هذا الهروب يأتي على أساس الخوف من الله. وإن كانت مسؤوليته محاربتهم فليتقدم في ميدان الجهاد ويخلص من شرهم عن طريق الله، ولينتبه إلى قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام حول حقيقة ونتيجة خوف العارفين:

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ الْهَرَبُ. فدلِيل وعلامة العارف المليء قلبه بالخوف، هو ابتعاده عن أهل المعاصي والكفر والفسق والمخالفين لعهودهم واجتنابه للمعاصي.

### إجتنب المعاصي في الروايات:

هروب العارف من المعاصي، هو منهجه الأساس في الحياة، فليس للعارف مصيبة أكبر، من تلوثه بالذنب. فتتفر العارف من اقتراف الذنب هو تنفر شديد. من أهم ركائز الإسلام هو اجتناب الذنب والهروب منه، فتأكيد الإسلام على الابتعاد من الذنب أو الورع هو أكثر من تأكيده على العبادة. إذا دققنا النظر في الطقوس الإلهية، نجد أن أفضل العبادات و أسماها؛ هو الابتعاد عن المعاصي والذنوب.

فقد ذكر في الروايات أن التقوى والورع هما من أفضل العبادات وأعظمها. فالعارف عالم كمال العلم بآثار الذنب في الدنيا وعقوبته الشديدة في الآخرة، وعلى أساس هذه المعرفة، فإنه يكتسب الخوف ويعتبر هذا الخوف في وجوده من أهم العوامل وأقوى الأسباب للهرب من الذنب. من جملة الروايات في هذا الخصوص هي:

### الآثار السيئة للذنب:

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ يَسْأَلُ اللَّهَ الْحَاجَةَ فَيَكُونُ مِنْ شَأْنِهِ قَضَاءُهَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ أَوْ إِلَى وَتٍ بَطِيءٍ فَيَذْنِبُ الْعَبْدُ ذَنْبًا فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْمَلَكِ: لَا تَقْضُ حَاجَتَهُ

وَأَحْرَمَهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ تَعَرَّضَ لِسُخْطِي وَاسْتَوْجَبَ الْحِرْمَانَ مِنِّي<sup>١</sup>.  
عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) قَالَ:

«إِنَّ الرَّجُلَ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُحْرَمُ صَلَاةَ اللَّيْلِ وَإِنَّ الْعَمَلَ السَّيِّئَ  
أَسْرَعُ فِي صَاحِبِهِ مِنَ السَّكِينِ فِي اللَّحْمِ»<sup>٢</sup>.

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام):

«لَا وَجَعَ أَوْجَعُ لِلْقُلُوبِ مِنَ الذَّنُوبِ، وَلَا خَوْفَ أَشَدُّ مِنَ  
الْمَوْتِ، وَكَفَى بِمَا سَلَفَ تَفْكَرًا وَكَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا»<sup>٣</sup>.

عَنْ أَبِي الْحَسَنِ (عليه السلام):

«إِنَّ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مُنَادِيًا يُنَادِي: مَهَلًا مَهَلًا  
عِبَادَ اللَّهِ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ، فَلَوْ لَا بِهِائِمُ رُتَعٌ، وَصَبِيَّةٌ رُضْعٌ،  
وَشَيْوِخٌ رُكْعٌ لَصَبَّ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ صَبًّا، تُرَضُّونَ بِهِ رَضًّا»<sup>٤</sup>.

عَنْ نَعْمَانَ الرَّازِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) يَقُولُ:

«مَنْ زَنِى خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ خَرَجَ مِنَ  
الْإِيمَانِ، وَمَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مُتَعَمِّدًا خَرَجَ مِنَ  
الْإِيمَانِ»<sup>٥</sup>.

١- الكافي: ٢٧١/٢، باب الذنوب، حديث ١٤.

٢- الكافي: ٢٧٢/٢، باب الذنوب، حديث ١٦.

٣- الكافي: ٢٧٢/٢، باب الذنوب، حديث ٢٨.

٤- الكافي: ٢٧٢/٢، باب الذنوب، حديث ٣١.

٥- الكافي: ٢٧٨/٢، باب الكبائر، حديث ٥.

عَنْ عُبَيْدَةَ بْنِ زُرَّارَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الْكَبَائِرِ:  
«فَقَالَ هُنَّ فِي كِتَابِ عَلِيِّ سَبْعٌ: الْكُفْرُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ،  
وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَأَكْلُ الرِّبَا بَعْدَ الْبَيِّنَةِ وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ظُلْمًا،  
وَالْفِرَارُ مِنَ الرَّحْفِ، وَالتَّعَرُّبُ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، قَالَ: فَقُلْتُ: فَهَذَا  
أَكْبَرُ الْمَعَاصِي؟ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ: فَأَكُلُ دَرَاهِمَ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ ظُلْمًا  
أَكْبَرُ أَمْ تَرَكَ الصَّلَاةَ قَالَ: تَرَكَ الصَّلَاةَ قُلْتُ: فَمَا عَدَدْتُ تَرَكَ  
الصَّلَاةَ فِي الْكَبَائِرِ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَوَّلُ مَا قُلْتُ لَكَ قَالَ: قُلْتُ  
الْكُفْرُ قَالَ: فَإِنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ كَافِرٌ يَعْنِي مَنْ غَيْرِ عِلَّةٍ».

ويعتقد العلامة المجلسي ان الجملة «مَنْ غَيْرِ عِلَّةٍ» هو من كلام المرحوم  
الكليني أو الرواة.

### كباير الذنوب لدى العظماء:

يذكر المرحوم المجلسي عليه السلام عن الشيخ البهائي في تعريف كباير الذنوب  
هذه الاقوال:

- ١- كل ذنب هدد به الله سبحانه وتعالى الإنسان في قرآنه الكريم بأن يعذبه عليه.
- ٢- كل معصية وضع الشرع له حداً، وهدد به القرآن الكريم.
- ٣- كل ذنب يكون ارتكابه دليلاً على عدم اهتمام الإنسان بالدين.
- ٤- كل ذنب تم اثبات تحريمه بالأدلة القطعية.
- ٥- كل معصية في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وآله هدد مرتكبها بأشد العقاب.

٦- يقول ابن مسعود:

الذنوب من أول سورة النساء إلى هذه الآية ﴿إِنْ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ تعتبر من الكبائر.

٧- كل ذنب يرتكبه الإنسان يعتبر من الكبائر، لأن كل معصية دليل على مخالفة الله سبحانه وتعالى وكبر وصغر الذنب يختلف في صعوده ونزوله، فمثلاً تقبيل المرأة بالنسبة إلى الزنا يعتبر صغيرة، وكبيرة بالنظر إليها.

ثم يقول العلامة الفاضل المرحوم المجلسي رحمته الله:

ربما قصد البعض أن جميع الذنوب هي من الكبائر، ان لا تنهاون بالذنب ولا تعتبره صغيراً ولا شياً، كما جاء في الروايات والآخبار:

من كلام له عليه السلام: «لا تنظروا إلى صغير الذنب، ولكن انظروا إلى ما اجترأتم»<sup>١</sup>.

لكن هذا لا يتنافى مع ان بعض الذنوب بالنسبة لبعضها الآخر تعتبر كبيرة وأن نقسمها إلى صفائر وكبائر، فإذا ابتعد الإنسان عن الكبائر فإنه ستغفر له الصفائر، ولكن ارتكاب الكبائر والاصرار على الصفائر يتنافى مع العدالة.

أما بخصوص عدد الكبائر؛ فقد عدها البعض سبعاً:

١- الشرك بالله. ٢- القتل. ٣- قذف المؤمنة. ٤- أكل مال اليتيم ظلماً.

٥- الزنا. ٦- الفرار من الزحف. ٧- عقوق الوالدين.

والبعض الآخر أضاف إليها ١٣ ذنباً آخر:

١- النساء ٤: ٣١.

٢- وسائل الشيعة: ٣١٣/١٥، باب ٤٣، حديث ٢٠٦/٥.



- ١- اللواط. ٢- السحر. ٣- أكل الربا. ٤- الغيبة. ٥- اليمين الكاذبة. ٦-
- شهادة الزور. ٧- شرب المسكر. ٨- هتك حرمة الكعبة. ٩- السرقة. ١٠-
- نقض العهد. ١١- التعرّب بعد الهجرة. ١٢- اليأس من رحمة الله. ١٣-
- الأمن من مكر الله.

وقد أضاف بعض العلماء والفضلاء ١٤ ذنباً آخر لما ذكرناه في الأعلى:

- ١- أكل الميتة. ٢- شرب الدم. ٣- أكل الخنزير. ٤- أكل الذبيحة دون
- تذكية. ٥- أكل السحت كالرشوة. ٦- لعب القمار. ٧- التططيف. ٨- إعانة
- الظالم. ٩- منع المؤمن حقه مع اليسر. ١٠- الإسراف. ١١- التبذير. ١٢-
- الخيانة. ١٣- إضاعة الوقت بالأعمال غير النافعة. ١٤- الإصرار على
- الذنوب الصغيرة.

وبعد ذلك يقول العلامة المجلسي رحمته الله عليه:

فكل هذه الأقوال والتعاريف وعدد الذنوب لا يوجد لها دليل مؤكد. وربما في إخفاء الله للكبائر أو لعددتها مصلحة، مثلما هنالك لإخفاء ليلة القدر والصلاة الوسطى!

ويقول بعض أهل المعرفة والبصيرة:

إن المصلحة من إخفاء الكبائر وعددها، هو اجتناب الإنسان كل ذنب؛ فربما تكون كبيرة ويكون موضع غضب الله وسخطه في تلك اللحظة، وتصعب توبته، وقد جاء في الروايات:

١- يراجع الهامش في كتاب الكافي وكتاب مرآة العقول للعلامة المجلسي.

عن رسول الله أنه قال: «إن الله كتم ثلاثة في ثلاثة: كتم رضاه في طاعته، وكتم سخطه في معصيته، وكتم وليه في خلقه، فلا يستخفن أحدكم شيئاً من الطاعات، فإنه لا يدري أيها رضا الله، ولا يستقلن أحدكم شيئاً من المعاصي فإنه لا يدري في أيها سخط الله، ولا يزرين أحدكم بأحد من خلق الله فإنه لا يدري أيهم ولي الله»<sup>١</sup>.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله:

«أَرْكَانُ الْكُفْرِ أَرْبَعَةٌ: الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ وَالسَّخَطُ وَالغَضَبُ»<sup>٢</sup>.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله:

«إِنَّ أَوَّلَ مَا عُصِيَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ سِتٌّ: حُبُّ الدُّنْيَا، وَحُبُّ الرِّئَاسَةِ، وَحُبُّ الطَّعَامِ، وَحُبُّ النَّوْمِ، وَحُبُّ الرَّاحَةِ، وَحُبُّ النِّسَاءِ»<sup>٣</sup>.

فالأثار السيئة لهذه الأمور الست التي ذكرت في الرواية، هي في حالة الإفراط والتفريط. بعبارة أخرى، ان الإسلام لا يحب الإفراط أو التفريط، بل إن الاعتدال هو من أهم صفات هذا الدين الإلهي، الذي أوصى به حتى في العبادات.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله:

«مِنْ عِلَامَاتِ الشَّقَاءِ جُمُودُ الْعَيْنِ وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ وَشِدَّةُ

١- وسائل الشيعة: ٣١٣/١٥، باب ٤٣، حديث ٢٠٦/٤.

٢- أمالي الشيخ الصدوق: ٤١٩، المجلس الخامس والستون، حديث ٨.

٣- مجموعة ورام: ٢٠٥/٢؛ الكافي: ٢٨٩/٢، باب في اصول الكفر، حديث ٣.

الْحَرَصِ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا (الرِّزْقِ) وَالْإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ<sup>١</sup>.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله:

«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا اتُّمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ خَلَفَ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾<sup>٢</sup>. وَقَالَ: ﴿أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>٣</sup> وَفِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾<sup>٤</sup>.

كل ما ذكرناه هو نماذج من صفات العارفين الخائفين من الله سبحانه وتعالى ومن عذاب الآخرة.

فالذي لا يريد ان يعرف المحرمات، ويعرفها ولا يجتنبها، فليس بمسلم والذي يجتنب المعاصي والمذنبين، ويهرب من العاصين والمذنبين المعاندين؛ كما تهرب الشاة من الذئب، فإنه عارف قد ملئ قلبه بخوف الله سبحانه وتعالى، فخوفه وهروبه من المعاصي وأهلها، دليل على معنى كلام الإمام الصادق عليه السلام الذي قال: فَدَلِيلُ الْخَوْفِ الْهَرَبُ.

١- الخصال: ٢٤٣، اربع من علامات الشقاء، حديث ٩٦؛ تحف العقول: ٤٧.

٢- الانفال ٨: ٥٨.

٣- النور ٢٤: ٧.

٤- مريم ١٩: ٥٤. الكافي: ٢/٢٩٠، باب في اصول الكفر واركانه، حديث ٨.



## «وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ الطَّلَبُ»

### دليل الأمل:

فكما قال الإمام الصادق (عليه السلام) في العبارة الآتفة الذكر: والدليل على خوف الإنسان هو هروبه من كل ما يمقته الله سبحانه وتعالى. وفي هذه الجملة جاء بدليل لمسألة الأمل، فيقول:

لا يستطيع أي شخص أن يدعي بأن لديه الأمل. لأن الأمل ثروة عظيمة لا يستهان بها والأمل هو حقيقة الحياة، ويعتبر من أهم العلل للتطور وحركة الإنسان، والدليل على وجود الأمل في قلب المؤمن هو حالة طلبه كل ما يحبه الله سبحانه وتعالى، والمولى سبحانه وتعالى مدح المحسنين في قرآنه الكريم، وذكر بعض العلائم لهم، حتى يعرفوا المحسن بواسطتها في كل دورة طلب حقيقي، لذا علينا ان نقتدي بالطيبين والصالحين، وأن نجعل الارتباط معهم في قمة أهدافنا وطلباتنا. ثم نلبس ثوب العمل بسرعة وقوة. ألم يأمر القرآن الكريم ويطلب من الإنسان ان يجالس ويعاشر الصادقين فقط:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>١</sup>.

ان الله سبحانه وتعالى يحب طلب العفو والمغفرة من حضرته، لذا يجب أن تكون إحدى الطلبات المهمة للإنسان هو المغفرة والعفو، ويتحقق هذا الهدف فقط في ظل الرجوع عن المعاصي والتوبة.

إن الله سبحانه وتعالى يحب جميع العبادات والطرق الصحيحة لها، لذا يجب ان نسرع من أجل تحقيق العبودية في حياتنا، وان نشرب كأساً من الشراب الطهور والخلوص في النية.

فوجوده المقدس؛ يعشق جميع أمور الخير المذكورة في القرآن الكريم والروايات. لذا يجب علينا ان نسعى في جميع أمور الخير ونتحمل الصعاب والمتاعب من أجل القيام بها.

فالإنسان الذي لا يبالي بهذه الأمور، أو أنها لم تكن ضمن برامجها، لا يستطيع ان يدعي بأنه لديه الأمل، فالأمل مختص بالذين بذروا الخير والعبادة في مزرعة الدنيا وتحلوا بجميع أعمال الخير، وهم يعيشون على أمل ان يحصدوا ثمارها في الدارين.

فهذا النوع من الأمل بعد كل هذا الطلب؛ هو أمل صحيح بل هو أصل الأمل، والطلب والحاجة الحقيقية هو نتيجة هذا الأمل.

يقول القرآن الكريم:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾<sup>١</sup>

تعال فلنرفع أيدينا عن هذا العالم، ونقطع أمل قلوبنا به.

تعال حتى نصبر ونتحمل، ونزرع بذور العمل الصالح<sup>٢</sup>.

١- الكهف ١٨: ١١٠.

٢- «بابا طاهر».

## نبذة من سيرة الصالحين في القرآن الكريم:

هنا نبدأ بذكر سيرة بعض الشخصيات الصالحة التي يجب على الإنسان ان يقتدي بهم طيلة حياته، لأن ذلك يعود عليه بالنفع الكبير على حياته. بعد ذكر سيرتهم، نعرّج إلى ذكر بعض الأمور التي يجب على الإنسان في أن يسعى طلبها، حتى يحصل عليها.

الآية الأولى: الأبرار في القرآن الكريم:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ  
وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ  
وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ  
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ  
الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا  
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ  
الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾<sup>١</sup>

لاحظوا هذه الآية، فالله سبحانه وتعالى، من أجل تعريف المحسنين؛ يبيّن خمسة عشرة صفة وميزة، فإذا وجدت هذه الصفات في شخص، أو كان متحلياً بأحدها، يجب على الإنسان ان يكون جاداً في طلب صداقته، ويربط نفسه مع هكذا منبع لطف؛ وان ينتفع من الشجر المثمر لوجوده كانتفاعه هو. نعم،

فالمؤمل، بأي شيء يأمل، فإن كان أمله في الماديات من الدنيا. وطلبه فقط في هذا المسير، فإن هذا الأمل موجود عند جميع الحيوانات والكائنات. فالإنسان يجب أن يتصل بسمو الأمل الروحي علاوة على الأمل المادي. ثم بعد ذلك يحصل على أفضل الطلبات وثم يلبس تلك الطلبات ثوب العمل. وهذا ليس مقدوراً عليه إلا بالتمسك بالأولياء والصالحين والاتصال بالطاهرين والمحسنين.

الآية الثانية: المتقون:

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ \*  
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ \* لِيُكَفِّرَ  
اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ  
الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾!

المقصود بالصدق في هذه الآية الشريفة، هو جميع الحقائق الإلهية والإيمان والعمل بها. وحقاً ان هؤلاء من الأهمية و القيمة، بحيث تكون معاشرتهم مواصلة للسير على دربهم، ويكون ذلك سبباً لسعادة الإنسان في الدارين، فالذي يأمل السعادة؛ عليه بهؤلاء والسير على نهجهم.

الآية الثالثة: المؤمنون:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا  
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ



الصَّادِقُونَ<sup>١</sup>.

الآية الرابعة: الذاكرون والصابرون:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ  
وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ  
وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِعِينَ  
وَالصَّانِعَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ  
اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا<sup>٢</sup>﴾.

يجب ان نعلم بأن جميع هذه الحقائق موجودة في الرجل الصالح أو المرأة الصالحة، وليس بأن توجد إحدى الصفات في الرجل أو المرأة وبعد ذلك يغفر الله لهم ويعطيهم أجراً كبيراً، في الواقع، إن المؤمن يمتلك جميع هذه الصفات، لأن هذه الحقائق هي من آثار الإيمان الحقيقي وأينما وجد الإيمان وجدت هذه الحقائق وما أجمل بالإنسان ان يكون في طلب أولئك الذين تحلوا بهذه الأمور؛ ومن الطبيعي فإن الذي يصنع هذا الطلب هو الأمل.

الآية الخامسة: حزب الله:

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ  
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ

١- الحجرات ٤٩: ١٥.

٢- الأحزاب ٣٣، ٣٥.

## وَالْأَبْصَارُ<sup>١</sup>!

فهذه الخشية وهذا الخوف سببه اجتناب الإنسان ارتكاب كل ذنب؛ كما ذكرنا في الفصول السابقة بشئ من التفصيل.

الآية السادسة: صفات المؤمنين:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ \*  
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ \*  
وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا  
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ  
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ  
\* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ \* أُولَٰئِكَ هُمُ  
الْوَارِثُونَ \* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>٢</sup>﴾.

الآية السابعة: الصابرون:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ<sup>٣</sup>﴾.

١- النور: ٢٤: ٣٧.

٢- المؤمنون: ٢٣: ١-١١.

٣- العصر: ١٠٣: ٢-٣.

الآية الثامنة: المجاهدون:

﴿لَكِنَّ الرِّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ  
وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتْ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>١</sup>.

الآية التاسعة: الفائزون:

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ  
السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>٢</sup>.

الآية العاشرة: المهاجرون:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنبُوْنَهُمْ فِي  
الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>٣</sup>.

الآية الحادية عشر: الناصحون:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ  
اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>٤</sup>.

١- التوبة: ٩: ٨٨

٢- التوبة: ٩: ١١٢.

٣- النحل: ١٦: ٤١.

٤- التوبة: ٩: ٧١.

الآية الثانية عشر: اصحاب الورع:

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ  
الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾<sup>١</sup>.

الآية الثالثة عشر: عباد الرحمن:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا  
خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا \* وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ  
سُجَّدًا وَقِيَامًا \* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ  
جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا \* إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا  
\* وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ  
قَوَامًا \* وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ  
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ  
يَلْقَ أَثَامًا \* يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ  
مُهَانًا \* إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ  
يُبدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا \*  
وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا \*  
وَالَّذِينَ لَا يَشُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا \*

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا  
وَعُمْيَانًا \* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا  
وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿١﴾

إن عباد الله الذين ذكرت صفاتهم، فإن أجر ثباتهم في طريق العبودية؛ هي جنات تجري من تحتها الأنهار وتحيتهم فيها سلام ويلتقون مع بعضهم الآخر، في تلك الجنة السامية المقام، الرفيعة الدرجة، خالدين فيها أبداً.  
مرة أخرى تأملوا في جميع الآيات القرآنية التي مرت في الفصول السابقة وبالأخص سورة الفرقان، وتفحصوا أيّ الناس يستحق ان تعاشرهم وفي أيّ طريق يجب أن يضع الإنسان طلبه؟

في الحقيقة يجب ان نقول: ان الذين لديهم الأمل - الأمل بحياة طاهرة وآخرة معمورة، والأمل على ان يحصل على الثروات الإنسانية، و ان تبقى كلمة الحق هي العليا وفي رضا الله سبحانه وتعالى، وسعادة الدنيا والآخرة - فانهم يمتلكون أفضل حالات الطلب، وجزء من طلبهم هو ان يجدوا عشاق الله حتى يستطيعوا بمساعدتهم، وبركة معايشة أولئك الأوفياء، ان يصلوا إلى مقام القرب الإلهي ورضا الله سبحانه وتعالى.

### الرشد والكمال في الروايات:

في هذه المجموعة من الروايات فإننا نشير إلى مسائل إلهية وانسانية مهمة، وهي مروية عن الرسول والأنمة الاطهار ﷺ، الذين هم قادة مسيرة العارفين،

أمر يطلبها الإنسان إذا كان لديه الأمل في سعادة الدنيا والآخرة، ويتحلّى بها. فالذي يقول بأنه لديه الأمل في النجاة، والسلامة في الحياة الدنيا، وتحصيل خير الدنيا والآخرة، ثم لا يسعى في طلب الحقائق التي تصنع العافية والسعادة للإنسان، فإنه لا يملك حقيقة الأمل وغير صادق في ادعائه، ألم يقل الإمام الصادق (عليه السلام):

«وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ الطَّلَبُ».

### ١- العزة في الغربة:

عَنْ الصَّادِقِ عَنِ آبَائِهِ (عليهم السلام) قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام):

«مَنْ أَرَادَ عِزًّا بِلَا عَشِيرَةٍ وَهَيْبَةً مِنْ غَيْرِ سُلْطَانٍ، وَغِنًى مِنْ غَيْرِ مَالٍ، وَطَاعَةً مِنْ غَيْرِ بَدَلٍ فَلْيَتَحَوَّلْ مِنْ ذَلِكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ فَإِنَّهُ يَجِدُ ذَلِكَ كُلَّهُ»!

ومما لا شك فيه ان العمل بهذه الرواية وطلب هذه الحقيقة؛ يعني اجتناب كل ذنب، وأداء أوامر الله؛ هو كافٍ للوصول إلى الكمال، فالأمل بكل الحقائق وكما قالها الإمام علي (عليه السلام)، يكون عن طريق ترك الذنب واطاعة أوامر الله سبحانه وتعالى.

### ٢- المعاملة مع الله سبحانه وتعالى:

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): «كَانَتْ الْفُقَهَاءُ وَالْحُكَمَاءُ إِذَا كَاتَبُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَتَبُوا بِثَلَاثَ لَيْسَ مَعَهُنَّ رَابِعَةٌ مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ

هَمَّهُ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ  
عَلَانِيَتَهُ، وَمَنْ أَصْلَحَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُ  
فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ<sup>١</sup>.

## ٣- صفات الشيعة:

عَنْ خُثَيْمَةَ الْجُعْفِيِّ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَيَّ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ  
مُحَمَّدٍ عليه السلام وَأَنَا أُرِيدُ الشُّخُوصَ فَقَالَ: أُبْلِغْ مَوَالِينَا السَّلَامَ  
وَأَوْصِهِمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَنْ يَعُودَ غَنِيَهُمْ فَقِيرَهُمْ، وَقَوِيَهُمْ  
ضَعِيفَهُمْ وَأَنْ يَعُودَ صَحِيحَهُمْ مَرِيضَهُمْ وَأَنْ يَشْهَدَ حَيَّهُمْ جِنَازَةَ  
مَيِّتِهِمْ وَأَنْ يَتَلَاثُوا فِي بُيُوتِهِمْ، وَأَنْ لِقَاءَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا حَيَاةً  
لَا مَرِنَا رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا يَا خُثَيْمَةَ إِنَّا لَا نُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ  
اللَّهِ شَيْئًا إِلَّا بِالْعَمَلِ، إِنَّ وَلَايَتَنَا لَا تَنَالُ إِلَّا بِالْوَرَعِ، وَإِنَّ أَشَدَّ  
النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَصَفَ عَدْلًا ثُمَّ خَالَفَهُ إِلَى غَيْرِهِ»<sup>٢</sup>.

## ٤- شرط المحبة لأهل البيت:

عَنْ خَلَادِ أَبِي عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ لَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَهُوَ  
يُوصِينَا: اتَّقُوا اللَّهَ وَأَحْسِنُوا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ وَكُونُوا أَطْوَعَ  
عِبَادِ اللَّهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَنَالُوا وَلَايَتَنَا إِلَّا بِالْوَرَعِ وَلَنْ تَنَالُوا مَا عِنْدَ

١- أمالي الشيخ الصدوق: ٣٤، المجلس التاسع، حديث ٦.

٢- بشارة المصطفى: ١٣٢؛ بحار الأنوار: ١٨٧/٦٨، باب ٦٤- الاجتهاد والحث على العمل، حديث ٤٨.

اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَإِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمَنْ  
وَصَفَ عَدْلًا وَخَالَفَهُ إِلَى غَيْرِهِ!

٥- حقيقة الإيمان:

قال أبو رزين العقيلي: يا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ  
يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِمَّا سِوَاهُمَا»<sup>٢</sup>.

إذا اراد الإنسان ان يكون أحب الله ورسوله في قلبه أحب له من كل شيء؛  
فعليه ان يقوم بكسب المعرفة، فلما طلب المعرفة، فإن فتمرة ذلك هو العشق  
والمحبة، التي من خلالها يصل إلى درجات الكمال.

٦- علامات الإيمان:

«قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ فَقَالَ لَهُمْ مَا أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا:  
مُؤْمِنُونَ فَقَالَ: مَا عَلَامَةُ إِيْمَانِكُمْ قَالُوا: نَصَبْرٌ عَلَى الْبَلَاءِ  
وَتَشْكُرٌ عِنْدَ الرِّخَاءِ وَنَرَضَى بِمَوَاقِعِ الْقَضَاءِ قَالَ مُؤْمِنُونَ وَرَبُّ  
الْكَعْبَةِ»<sup>٣</sup>.

٧- موانع لذة المناجات:

في أخبار داود عليه السلام: «مَالِأَوْلِيَائِي وَالْهَمُّ بِالْدُّنْيَا إِنَّ الْهَمَّ يُذْهِبُ  
حَلَاوَةَ مُنَاجَاتِي مِنْ قُلُوبِهِمْ، يَا دَاوُدُ إِنَّ مُحَبَّتِي مِنْ أَوْلِيَائِي أَنْ

١- بحار الأنوار: ١٨٧/٦٨، باب ٦٤- الاجتهاد والحث على العمل، حديث ٥٠.

٢- مجموعة ورام: ٢٢٣/١، بيان الحب لله وللرسول ﷺ.

٣- مجموعة ورام: ٢٢٩/١ بيان الحب لله وللرسول ﷺ.



يَكُونُوا رُوحَاتَيْنِ لَا يَغْتَمُونَ»<sup>١</sup>.

٨- ذكر الله:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «مِنْ أَشَدِّ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ ذِكْرُ اللَّهِ كَثِيرًا ثُمَّ قَالَ: لَا أَعْنِي سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَإِنْ كَانَ مِنْهُ وَلَكِنْ ذِكْرُ اللَّهِ عِنْدَ مَا أَحَلَّ وَحَرَّمَ فَإِنْ كَانَ طَاعَةً عَمِلَ بِهَا وَإِنْ كَانَ مَعْصِيَةً تَرَكَهَا»<sup>٢</sup>.

٩- المتقون، الزهاد، واغنياء المسلمين:

عَنِ الصَّادِقِ عَنِ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «اعْمَلْ بِفَرَائِضِ اللَّهِ تَكُنْ مِنْ أَتْقَى النَّاسِ، وَارْضِ بِقِسْمِ اللَّهِ تَكُنْ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَكَفَّ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ تَكُنْ أَوْرَعَ النَّاسِ، وَأَحْسِنْ مُجَاوِرَةَ مَنْ يُجَاوِرُكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا وَأَحْسِنُ مُصَاحَبَةَ مَنْ صَاحَبَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا»<sup>٣</sup>.

١٠- شجرة الدين:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «قَالَ حَبِيبِي جِبْرِيلُ إِنَّ مَثَلَ الدِّينِ

١- مسكن الفؤاد: ٨٥، الباب الثالث في الرضا؛ بحار الأنوار: ١٢٥/٧٩، باب ١٨، حديث ٢٦.

٢- الكافي: ٨٠/١، باب اجتناب المحارم، حديث ٤؛ عدة الداعي: ٣٠٢، فصل في خواص .

٣- الكافي: ٨٢/٢، باب اداء الفرائض، حديث ٤؛ أمالي الشيخ الصدوق: ٢٠١، المجلس السادس

والثلاثون، حديث ١٣ و ١.

كَمَثَلِ شَجَرَةٍ ثَابِتَةِ الْإِيمَانِ أَصْلُهَا، وَالصَّلَاةُ عُرْوَتُهَا، وَالزَّكَاةُ  
مَأْوَاهَا، وَالصَّوْمُ سَعْفُهَا، وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَرَقُّهَا، وَالْكَفُّ عَنِ  
الْمَحَارِمِ ثَمَرُهَا، فَلَا تَكْمَلُ شَجَرَةٌ إِلَّا بِالثَّمَرِ كَذَلِكَ الْإِيمَانُ لَا  
يَكْمَلُ إِلَّا بِالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ»<sup>١</sup>.

١١- الابتداء والانتهاء بالخير:

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «افْتَحُوا نَهَارَكُمْ بِخَيْرٍ، وَأَمَلُوا عَلَى  
حَفَظَتِكُمْ فِي أَوَّلِهِ وَفِي آخِرِهِ خَيْرًا يُغْفِرَ لَكُمْ مَا بَيْنَ ذَلِكَ إِنْ  
شَاءَ اللَّهُ»<sup>٢</sup>.

١٢- ستة خصال خالدة:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «سِتُّ خِصَالٍ يَنْتَفِعُ بِهَا الْمُؤْمِنُ بَعْدَ  
مَوْتِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَسْتَغْفِرُ لَهُ وَمُصْحَفٌ يُقْرَأُ مِنْهُ، وَقَلِيبٌ  
يَحْفَرُهُ، وَعَرْسٌ يَغْرُسُهُ، وَصَدَقَةٌ مَاءٍ يَجْرِيهِ، وَسُنَّةٌ حَسَنَةٌ يُؤْخَذُ  
بِهَا بَعْدَهُ»<sup>٣</sup>.

١٣- الإسلام الكامل:

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَمَلَتْ إِسْلَامُهُ، وَأَعْيُنَ

١- بحار الأنوار: ١٠٩/٦، الفصل الثالث في نوادر العلل، حديث ٢؛ علل الشرايع: ٢٤٩/١، باب ١٨٢ -

باب علل الشرايع واصلول الاسلام، حديث ٥.

٢- الكافي: ١٤٢/٢.

٣- الخصال: ٣٢٣/١، ست خصال ينتفع بها المؤمن، حديث ٩.

عَلَى إِيمَانِهِ، وَمُحِصَتُ ذُنُوبِهِ وَلَقِيَ رَبَّهُ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ وَكَوَّ  
كَانَ فِيمَا بَيْنَ قَرْنَيْهِ إِلَى قَدَمَيْهِ ذُنُوبٌ حَطَّهَا اللَّهُ عَنْهُ، وَهِيَ  
الْوَفَاءُ بِمَا يَجْعَلُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَصِدْقُ اللِّسَانِ مَعَ النَّاسِ،  
وَالْحَيَاءُ مِمَّا يَقْبَحُ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ النَّاسِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ مَعَ  
الْأَهْلِ وَالنَّاسِ»<sup>١</sup>.

١٤- عدم المبالاة بالموت:

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ العَسْكَرِيِّ عَنِ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: «قِيلَ  
لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَا الإِسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ؟ قَالَ: أَدَاءُ الْفَرَائِضِ،  
وَاجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ وَالْإِسْتِمَالُ عَلَى الْمَكَارِمِ ثُمَّ لَا يُبَالِي أَوْقَعَ  
عَلَى الْمَوْتِ، أَمْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ مَا يُبَالِي ابْنُ أَبِي  
طَالِبٍ أَوْقَعَ عَلَى الْمَوْتِ أَمْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ»<sup>٢</sup>.

١٥- محاسبة النفس:

قَالَ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوا  
أَعْمَالَكُمْ بِمِيزَانِ الْحَيَاءِ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا»<sup>٣</sup>.

١- أمالي الشيخ الطوسي: ١٨٩، المجلس السابع، حديث ٣١٩.

٢- عيون أخبار الرضا: ٢٩٧/١، باب ٢٨ - فيما جاء عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام حديث ٥٥؛

أمالي الشيخ الصدوق: ١١٠، المجلس الثالث والعشرون، حديث ٨.

٣- بحار الأنوار: ٢٦٥/٦٧، باب ٧٦ - الاستعداد للموت، حديث ٨، نقلاً عن مصباح الشريعة: ٨٥

الباب الثامن والثلاثون في الحساب.

١٦- الصون من الدنس:

قال أبو جعفر عليه السلام: «إِنَّ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ عِفَّةَ الْبُطْنِ وَالْفَرْجِ»<sup>١</sup>.

١٧- الاجتهاد:

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: «إِنِّي ضَعِيفٌ  
الْعَمَلِ قَلِيلُ الصِّيَامِ وَلَكِنِّي أَرْجُوا أَنْ لَا أَكَلُّ إِلَّا حَلَالًا قَالَ:  
فَقَالَ لَهُ وَأَيُّ الْإِجْتِهَادِ مِنْ عِفَّةِ بَطْنٍ وَفَرْجٍ»<sup>٢</sup>.

١٨- الجنة مقابل اربع خصال:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «مَنْ سَلِمَ مِنْ  
أُمَّتِي أَرْبَعِ خِصَالٍ فَلَهُ الْجَنَّةُ: مَرْنِ الدُّخُولِ فِي الدُّنْيَا، وَاتِّبَاعُ  
الْهَوَى، وَشَهْوَةَ الْبُطْنِ، وَشَهْوَةَ الْفَرْجِ»<sup>٣</sup>.

١٩- حفظ اللسان:

عَنِ الْبَاقِرِ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: «لَا حَافِظَ  
أَحْفَظُ مِنَ الصَّمْتِ»<sup>٤</sup>.

١- الكافي: ٧٩/٢، باب العفة، حديث ٢.

٢- نفسه: حديث ٤؛ وسائل الشيعة: ٢٥٠/١٥، باب ٢٢- وجوب العفة، حديث ٢٠٤١٨.

٣- الخصال: ٢٢٣/١، حديث ٥٤.

٤- بحار الأنوار: ٢٧٥/٦٨، باب ٧٨- ١ السكوت والكلام، حديث ٣.

٢٠- تقوى اللسان:

عَنْ جَعْفَرٍ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «إِنَّ عَلَى لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ رَقِيبًا، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ الْعَبْدُ، وَلْيَنْظُرْ مَا يَقُولُ»<sup>١</sup>.

٢١- صفات العقلاء:

فِي وَصَايَا أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ، حَافِظًا لِلسَّانِ، فَإِنَّ مَنْ حَسِبَ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يُعْنِيهِ»<sup>٢</sup>.

٢٢- عوامل النجاة:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ تَكْفِي لِسَانَكَ، وَتَبْكِي عَلَى خَطِيئَتِكَ، وَتُلْزَمُ بَيْنَكَ»<sup>٣</sup>.

٢٣- منزلة السكوت:

«إِنَّ آدَمَ عليه السلام لَمَّا كَثُرَ وَلَدُهُ وَوَلَدُ وَلَدِهِ كَانُوا يُحَدِّثُونَ عِنْدَهُ وَهُوَ سَاكِتٌ، فَقَالُوا يَا أَبَهِ مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ فَقَالَ: يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمَّا أَخْرَجَنِي مِنْ جِوَارِهِ عَهْدَ إِلَيَّ وَقَالَ: أَقِلَّ

١- قرب الاستاد: ٣٢، الجزء الاول .

٢- الخصال: ٥٢٣/٢، حديث ١٣ .

٣- الخصال: ٨٥/١، حديث ١٣ ؛ مشكاة الأنوار: ١٤٨، الفصل الحادى عشر في الخصال المعدوده .

كَلَامَكَ تَرْجِعُ إِلَيَّ جَوَارِي»<sup>١</sup>.

٢٤- ضمانة الجنة:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَقَبَّلُوا لِي سِتَّ خِصَالٍ أُنْقَبِلُ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ، إِذَا حَدَّثْتُمْ فَلَا تَكْذِبُوا، وَإِذَا وَعَدْتُمْ فَلَا تُخْلِفُوا، وَإِذَا أَتَيْتُمْ وَلَا تَخُونُوا وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَالسَّتَكُمْ»<sup>٢</sup>.

٢٥- كن يقظاً:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: «نَبَّهْ بِالْتَّفَكُّرِ قَلْبَكَ، وَجَافِ عَنِ اللَّيْلِ جَنْبَكَ، وَاتَّقِ اللَّهَ رَبَّكَ»<sup>٣</sup>.

٢٦- عبادة أبي ذر:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ أَكْثَرَ عِبَادَةِ أَبِي ذَرٍّ عليه السلام التَّفَكُّرُ وَالْأَعْتَابُ»<sup>٤</sup>.

١- قصص الانبياء، القطب الراوندي: ٤٥، فصل ٤ - في اخباره، حديث ١٨؛ بحار الأنوار: ١٨٠/١١.

باب ٣ - ارتكاب ترك الاولى، حديث ٣١.

٢- الخصال: ٣٢١/١، حديث ٥٥؛ بحار الأنوار: ٣٧٢/٦٦، باب ٣٨ - جوامع المكارم، حديث ١٦.

٣- الكافي: ٥٤/٢، باب التفكير، حديث ١؛ أمالي الشيخ المفيد: ٥٤، حديث ١؛ أمالي الشيخ المفيد:

٢٠٨، المجلس الثالث والعشرون، حديث ٤٢.

٤- الخصال: ٤٢/١، حديث ٣٣؛ وسائل الشيعة: ١٩٧/١٥، باب ٥ - استحباب التفكير، حديث ٢٠٢٦٤.

٢٧- تنظيم الوقت:

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ: سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٌ يَتَفَكَّرُ فِيهَا صَنَعَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِ وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا بِحِظِّ نَفْسِهِ مِنَ الْحَلَالِ»<sup>١</sup>.

٢٨- جهنم؟ أبداً:

عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ إِذَا رَغِبَ وَإِذَا رَهَبَ وَإِذَا اشْتَهَى وَإِذَا غَضِبَ وَإِذَا رَضِيَ، حَرَّمَ اللَّهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ»<sup>٢</sup>.

٢٩- توصيتان مهمتان:

قال أمير المؤمنين ﷺ لِنُوفٍ: «يَا نُوفُ صَلِّ رَحِمَكَ يَزِيدُ اللَّهُ فِي عُمْرِكَ، وَحَسِّنْ خُلُقَكَ يُخَفِّفُ اللَّهُ حِسَابَكَ»<sup>٣</sup>.

٣٠- خير الدنيا والآخرة:

١- الخصال: ٥٢٣/٢، حديث ١٣؛ معاني الأخبار: ٣٣٢، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٧١/١٢، باب ٣، حديث ١٤.

٢- من لا يحضره الفقيه: ٤٠٠/٢٤، حديث ٥٨٦٠؛ أمالي الشيخ الصدوق: ٣٢٩، المجلس الثالث والخمسون، حديث ٧.

٣- أمالي الشيخ الصدوق: ٢٠٩، المجلس السابع والثلاثون، حديث ٩؛ بحار الأنوار: ٣٧٣/٦٨، باب ٩٢، حديث ٢٠.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُدَلِّكُمْ عَلَى خَيْرِ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ؟ تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو مَنْ  
ظَلَمَكَ!».

وهناك روايات كثيرة في مجال المعارف، والحقائق، والأخلاق الحسنة  
ما يجعل الإنسان يتخلق بأخلاق الله والأنبياء، وإذا أردنا ان نذكرها في هذا  
الكتاب فانه يصبح أكثر من مجلد، ولكن ان شاء الله في البحوث القادمة سوف  
نشير في كل موضوع إلى روايته المختصة به.

و بالنظر إلى الآيات والروايات السابقة، فقد اتضح لنا مع من ترتبط، وماهي  
المسائل التي يجب أن نكون في طلبها. وإذا كانت هذه الطلبات والميول من  
حقائق الإنسان، فإنه ومن دون شك يتحلى بها، و ما الطلب والسؤال إلا دليل على  
أمل الإنسان بسعادة الدنيا والآخرة كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ  
الطَّلَبُ».



«وَدَلِيلُ الْحُبِّ إِثَارُ الْمَحْبُوبِ عَلَى مَا سِوَاهُ»

## دليل العشق والمحبة:

في الفصول السابقة عرفنا ان الإمام الصادق عليه السلام قال ان محبة الله وكل ما يتعلق به، هو دليل على معرفة الإنسان لله، وكلما ازدادت معرفته وبصيرته به، كلما ازداد حبه لله سبحانه وتعالى.

و مثلما ذُكر للخوف والرجاء دليل في كلام الامام عليه السلام، وهو الهروب من شياطين الجن والانس والذنوب، وكذلك كما ذُكر دليل للأمل، وهو طلب الارتباط مع اولياء وعشاق الله وطلب جميع الأمور التي ارادها الله لعبده، فيجب ان يكون هنالك دليل على المحبة والعشق ولا يثبت ذلك بالادعاء دون الدليل.

تقدم المحبوب على ما سواه:

فدليل المحبة في كلام الامام عليه السلام؛ هو اختيار المحبوب على ما سواه، وتقديمه على غيره، وأن يريده دون غيره، وأن يطلب الاشياء لأجله، وألا فإن مجرد قول الإنسان ان الله حبيبي ولكنه يقدم حب شخص أو شيء آخر، عليه، فان ذلك؛ هو ادعاء وخيال ووهم.

و لقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>١</sup>.

نعم، فالمعرفة، تبين لنا هذا المعنى؛ انه في كل مكان وفي جميع الاوقات، ينبغي ان يكون الصديق الوحيد للإنسان، والحافظ، والخالق، والرازق والمعين هو الله سبحانه وتعالى فقط، وأن كل شيء سواه، هو وسيلة، وأما هو، فإنه الغاية الوحيدة في هذا العالم، و على هذا الأساس، فإنه إن أظهر محبة للوسائل فمن اجله، وإن تعلق بالدنيا وما فيها، فهي من اجله، وإن أحسن إلى الناس فلأجله، وكل شيء يقربه إلى الله سبحانه وتعالى فهو يحبه، وكل شيء يبعده عن محبوه الحقيقي فإنه لا يكثر له.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام عند وصفه إياهم في خطبة المتقين:

«عَظَمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَادُونَهُ فَيَ أَعْيَنِهِمْ»<sup>٢</sup>.

فأولئك لم يدخلوا إلى سويداء قلوبهم سوى الله سبحانه وتعالى، لأن القلب هو حرم الله، ولا يدخله حرمه غيره.

ويقول الصادق عليه السلام في رواية القلب:

١- التوبة ٩: ٢٤.

٢- نهج البلاغة: الخطبة ١٨٤.

«الْقَلْبُ حَرَمُ اللَّهِ فَلَا تُسْكِنُ فِي حَرَمِ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ».

يقول العارف الكبير؛ المرحوم الهي قمشاي - الذي قد نال هذه الحقائق - في

ترجمته لهذا الحديث:

عندما شاهدوا جلال السلطان ذا المجد، قلوبهم امتلأت وجداً.

فأروا الدنيا كلها تراب في باب السلطان، نثروه على ماسوى الله.

نظر بعين يقين القلب وليس العرش الإلهي، فتحبروا عندما رأوا الجمال والكبرياء.

ومن شدة الوجد قاموا بالتعظيم له، ونغمتهم كانت سبحان ذي المجد.

وكل قلب تنور بنور الإله، فبنظره ان الدارين ما هما إلا تراب.

وكما قال الفيض الكاشاني:

أفديك بقلبي وروحي، وهما منك؛ القلب والروح.

وما قيمة القلب لك، أو الروح أو العالم.

و هل ترى عين في الأرض، قمراً مثلك في السماء.

في الكونين لا يوجد مثل لك، وكذلك في جنة الخلد.

والمكان الذي تطأه، فنحن والقديسين نعظم لك.

استضفتنا ليلة، ونفديك بالقلب والروح.

ولم يكن في الضيافة غيرك، فكنت أنت الضيف والمضيف.

صاحب الكتاب الجليل (منازل السائرين) يقول حول موضوع الحب والمحبة والمحبوب:

«الْمَحَبَّةُ تَعَلَّقُ الْقَلْبَ بَيْنَ الْهَمَّةِ وَالْأَنْسِ فِي الْبَدَلِ وَالْمَنْعِ عَلَى

الأفراد<sup>١</sup>.

وشارح ذلك الكتاب السيد الفاضل كمال الدين عبد الرزاق الكاشاني يوضح

قائلا:

ان تعلق القلب بالمحجوب منيع الهمم العالية للانسان وهمته العالية هي الانقطاع عن الغير، والاتصال به فقط، وان الانس الحاصل هو ثمرة تجلي المحجوب في مرآة وجود الإنسان، والبذل والمنع هي من مقتضيات تجلي ذلك الوجود المقدس الطاهر.

ومما لا شك فيه ان التجلي يقتضي الفناء في المحجوب وأن يفدي الإنسان وجوده للمحجوب، والانس يقتضي ان لا يأنس قلب وروح الإنسان مع الغير ولا يستمتع، لذا فإن العشق والحب للمحجوب يقتضي الوصال ولا يتيسر الوصال إلا بعد بذل الروح، والانس بالجمال يقتضي ان لا يلتفت القلب إلى الغير، لذا فإن المحبين إنما يكونوا صادقين في حبهم للمحجوب عندما يتعلق قلبهم بالمحجوب، الذي هو نتيجة الهممة السامية، وبعدها يفرقوا في عالم الأنس.

و أولى العشق والمحبة للمحجوب؛ فناء المحب من التعلق بالغير، والمحبة الواقعية والعشق الصادق؛ يعني ان تطهر روحك من التعلق بالآخرين ولا يبقى إلا عشق وشؤون حضرته في وجودك.

بعد ذلك عندما تجري محبة المحجوب كالسيل في ارض وجود الإنسان، لا يريد الإنسان إلا ما يريده المحجوب، وهذا يسمى فناء الافعال، ثم يؤدي هذا السيل والتجلي، إلى أن يتحلى الإنسان بأخلاق الله؛ ويسمى هذا فناء الصفات؛

١- شرح منازل السائرين: ١٦٨، بتصرف.

ثم يؤدي هذا الفناء إلى ان يصل الإنسان إلى مقام ينسى فيه حتى نفسه ولا يبقى إلا ذكر المحبوب وفعله وصفته، ويسمى هذا فناء الذات.

هنا يكون المحبوب مقدم على كل شيء، ويصدق أيضاً هنا إيثار المحبوب على غيره، ومما لا شك فيه أن المقصود من الحب هو ذلك الحب الذي طلبه الله من الإنسان. وهذا هو معنى: «وَدَلِيلُ الْحُبِّ إِثَارُ الْمَحْبُوبِ عَلَى مَا سِوَاهُ».

هنيئاً وطوبى لقلب أنت فيه، وعزيز من كان في طاعتك.

ولا يذل إنسان في الدارين، ما دام قلبه متجه نحوك ويريدك.

فوجودي كله يتمنى أن يصبح مطيعاً لك.

القلب يزول غباره عندما يراك، وأطهر نفسي ما استطعت للقائك.

طوبى لعاشق هائم قد نسي قلبه، وأصبح حيراناً ومندهشاً لرؤيتك.

متى اطمئن قلبي بغيرك، إلا أن يكون سكراناً لا نجذابك.

فقلبي لا يحب زهور الصحراء، إلا زهور رحابك يا ربّي.

فلم أر سعادة في عالم الوجود، إلا في ركب تكون أنت فيه.

فقلبي يكاد يزهق من فراقك، إلا أن تمنّ علينا برضاك

طوبى للذين تركوا اللذات، وقد سماوا من عار اللذات.

وأنسوا في العزلة مع الأرواح، ولم يعرفوا من عزلتهم.

نعم، العاشق والمحب الحقيقي، بعد معرفة حضرته، لن تبقى له القدرة على

ان يقدم حياً آخر عليه.

العاشق هو الموجود الذي يمتلك نظرة واحدة، وكلام واحد، ومريد واحد،

وبعبارة أخرى؛ فهو لا يرى أي شيء سواه؛ حتى يقدمه عليه.

و قد أشار القرآن الكريم إلى الناس المؤمنين وتعلق خواطرهم بالله وأشار بالأخص إلى هذا المعنى؛ وهو ان المؤمن التحقيق لا يقدم أي شيء على حضرته، حتى لو كانوا اقربائه الاعزاء. هكذا نقرأ في السورة المجادلة المباركة:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>١</sup>.

هذه المحبة والعشق هي الحقيقة، التي لا يمكنه اخفاء اثارها، فأثارها تظهر على حر كاته، واعضائه وفي تأوهمه، ودموع عينيه، وحديثه ولون وجهه، وضعف بدنه وذوبان جسمه، واحتراق قلبه وضعف عظامه ونعومة جلده فذكر محبوبه معلوم! فهل باستطاعة هؤلاء، مع جميع هذه الآثار ان يرجحوا آخر عليه!

امثلة من التاريخ:

نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلاً و عليه إهاب كبش قد تنطق به فقال النبي ﷺ: انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه لقد رأيت بين أبيه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله و حب رسوله إلى ما ترون<sup>٢</sup>.

١- المجادلة ٥٨: ٢٢.

٢- المحجة البيضاء: ٥/٨.

كان مصعب شاباً عشق الله ورسوله بكل وجوده، ولم يتأن لحظة في العمل بأوامر الله سبحانه وتعالى، ثم جاء إلى المدينة قبل هجرة الرسول ﷺ إليها، وعمل بأوامره ﷺ بالتبليغ ونشر الثقافة الإسلامية وتكوين الارضية الملائكة في المدينة لاستقبال الإسلام ورسول الإسلام.

تحمل مصعب في سبيل الله أشد المصاعب، واشترى جميع عذاب النوائب بروحه، وفي النهاية نال شرف الشهادة في ضلال راية الرسول ﷺ في معركة أحد، فهذا هو مصداق قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«وَدَلِيلُ الْحُبِّ إِثَارُ الْمَحْبُوبِ عَلَى مَا سِوَاهُ».

و قد روي أن عيسى بن مريم عليه السلام مرّ بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيّرت ألوانهم فقال لهم: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الخوف من النار، فقال: حقّ على الله أن يؤمن الخائف، ثمّ جاوزهم إلى ثلاثة أخرى فإذا هم أشدّ نحولاً و تغيّراً فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: الشوق إلى الجنة؟ قال: حقّ على الله أن يعطيكم ما ترجون، ثمّ جاوزهم إلى ثلاثة أخرى فإذا هم أشدّ نحولاً و تغيّراً كأنّ على وجوههم المرايا من النور فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: حبّ الله عزّ و جلّ فقال: أنتم المقربون أنتم المقربون!

و كان هرم بن حيان يقول: حينما يعرف المؤمن الله فإنّه يعشقه، وعندما يعشقه، فإنه يتحرك نحوه، وعندما يجد لذة الحركة نحوه، فإنّه لا ينظر إلى الدنيا نظرة شهوة، ولا ينظر إلى الآخرة نظرة رغبة، جسده في الدنيا وروحه في الآخرة.

١- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٥٦/١٠ ذكر الخوف وما ورد فيه مجموعة ورام: ٢٢٤/١،

و كان يحيى بن معاذ يقول: مثقال ذرة من خردل من المحبة، هو أفضل عند الله من عبادة سبعين سنة دون محبة.

### علامات العشاق الحقيقيين:

روي عن بعض السلف إن الله عزّ وجلّ أوحى إلى بعض الصديقين أنّ لي عباداً من عبادي يحبّونني و أحبّهم و يشتاقون إليّ و أشتاقت إليهم و يدكروني و أذكّروهم و ينظرون إليّ و أنظر إليهم، فإنّ حذوت طريقهم أحببتك و إن عدلت عنهم مقتك، قال: يا ربّ و ما علامتهم؟ قال عزّ وجلّ: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه و يحنّون إلى غروب الشمس كما يحنّ الطير إلى أوكارها عند الغروب، فإذا جنّهم الليل و اختلط الظلام و فرشت الفرش و نصبت الأسترة و خلا كلّ حبيب بحبيبه نصبوا لي أقدامهم و افترشوا لي وجوههم و ناجوني بكلامي و تملّقوني بإنعامي، فبين صارخ و باك و متأوّه و شاك، و بين قائم و قاعد، و بين راکع و ساجد، بعيني ما يتحمّلون من أجلي، و بسمعي ما يشكون من حبيّ، أوّل ما اعطيهم ثلاثاً؛ أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عنيّ كما أخبر عنهم، و الثانية لو كانت السماوات و الأرض و ما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم، و الثالثة أقبل بوجهي عليهم؛ أفترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه؟<sup>١</sup>

إذا تحمل العبد كل هذه المعاناة في سبيل العبودية و عشقه لجلال و جمال المعبود، فإن قلبه يصبح مقاماً لتجلي الله، بعد كل هذا هل يستطيع ان يرجح احداً



آخر عليه؟ هنا يصل الإنسان إلى حقيقة معنى كلام الإمام الصادق (عليه السلام)، فعندما يمتلئ قلب الإنسان بهذا النوع من الحب فإنه وبدون إرادة يرجح معشوق قلبه محبوب عشقه.

وكما قال العارف العاشق؛ الفيض الكاشاني:

قد جعلت الروح والجسد منزله، وسكبت شراب التوحيد في الكأس.  
فلم أترك أيّاً من هذه الأساطير، ومن سكر الترك فعلت كل اسطورة.  
فهجرت العقل والعاقلين، وعالجت هذا القلب المجنون.  
في لباس مندرس اختفيت عن الأنظار، كالكنز المدفون في الخربة.  
وإلى ان يتعرف هذا الصديق علي، اعتزلت بعيداً عن كل الناس.  
دققوا معي في هذه الرواية:

وفي أخبار داود: «قُلْ لِعِبَادِي الْمُتَوَجِّهِينَ إِلَيَّ بِمَحَبَّتِي مَا  
ضَرَّكُمْ إِذِ احْتَجَبْتُمْ عَنِّي خَلْقِي إِذَا رَفَعَتِ الْحِجَابُ فِيمَا يَنِينِي  
وَيَبِينَكُمْ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيَّ بَعْيُونَ قُلُوبِكُمْ، مَا ضَرَّكُمْ مَا زُوِيَتْ  
عَنكُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا بَسَطْتُ دِينِي لَكُمْ وَمَا ضَرَّكُمْ مَسْخَطَةُ  
الْخَلْقِ إِذِ التَّمَسَّتُمْ رِضَايَ!»<sup>١</sup>

فعشاق الله لا يرجحون أيّاً من خلقه إذا لم يكن في سبيل المحبوب، ولا الدنيا إذا لم تكن في مسير المعشوق، ولا رضا الخلق إذا لم تكن في مرضاته، ويعلم ان فقدان أيّاً هذه الأشياء من اجل المعشوق، لا يتقص منه شيء، بل ولأجل

معاملته مع الله، فإنه يهبئ أفضل ثروة له وهو رضا الله سبحانه وتعالى.  
إلى هنا تحدثنا عن عشق الإنسان لله سبحانه وتعالى، أما من بعد فالحديث  
حول عشق الله للعبد وله مسائله الخاصة، التي نقرأ جزءاً منها هنا:

عشق الله للعبد:

يعتبر القرآن الكريم؛ الإنسان الذي يقوم بتطهير نفسه من الذنوب، وغسلها من  
الدرن والدنس، من احب خلق الله عنده.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾<sup>١</sup>.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾<sup>٢</sup>.

فالذين يدعون كذباً ويتخللون بأن الله يحبهم ويحبونه، فإنه يرد ادعاءهم  
ذلك بتعذيبهم ويقول:

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾<sup>٣</sup>.

إذا كنتم احباء الله فلم يعذبكم بذنوبكم ويتابكم عذاب الوجدان وهذه  
المصيبة والعذاب هو دليل على ان الله لا يحبكم، فعلامة محبة الله لعبده هو توبة  
العبد، ومغفرته لذنوبه مثلما يقول سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ

١- البقرة ٢: ٢٢٢.

٢- التوبة ٩: ١٠٨.

٣- المائدة ٥: ١٨.

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>١</sup>!

وانتم الذين تقولون بأنكم تعشقون الله، عليكم الاقتداء و الالتزام بشرع الله الذي وصلكم عن طريق رسوله ﷺ حتى يحبكم الله ويغفر ذنوبكم. والتوبة من أهم اوامر الله سبحانه وتعالى التي يؤديها عاشق الله، وبها يرفع جميع النواقص ويطهر من جميع ذنوبه، وعن هذا الطريق يصبح محبوب الله.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْمَالَ الْكَبِيرَ وَالْفَاجِرُ وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ»<sup>٢</sup>.

وبالطبع، يجب إلى الانتباه إلى أن سعي وقابلية واجتهاد العبد شرط في هذا المجال. ففي حال السعي والحصول على القابلية واللياقة، فإن عناية الله تحيطه وتنور قلبه بنور الايمان، وهذا النور دليل على حب الله لعبده.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدًا ابْتَلَاهُ فَإِنْ أَحَبَّهُ الْحُبُّ الْبَالِغُ اقْتَنَاهُ، فَقَالُوا: وَمَا مَعْنَى اقْتَنَاهُ، قَالَ: لَا يَتْرُكُ لَهُ مَالًا وَلَا وُلْدًا»<sup>٣</sup>.

وكقول الفيض الكاشاني؛ ذلك الفقيه الرباني:

ملكك الروح والحمد لله، تركت الدنيا الى الحمد لله.

لا أبالي بمكان ولا عالم ولا ملك، واصبحت بكل وجودي الحمد لله.

١- آل عمران ٣: ٣١.

٢- المحاسن: ٢١٧/١، باب ٩- الدين، حديث ١١٢؛ بحار الأنوار: ٢٠٤/٦٥، باب ٢٢، حديث ٩.

٣- ارشاد القلوب: ٢٦/١، الباب الرابع في ترك الدنيا.

رأيت المكان في النور وبفضله، أصبحت بلا مكان والحمد لله.  
 جئت إلى العالم، و وضعت قدمي على السماوات الحمد لله.  
 وتعلق قلبي بمحبة السابقين، واصبحت من الباقيين الحمد لله.  
 خرجت من المحكومين، وذهبت تجاه الحاكم الحمد لله.  
 خرجت من بئر كالذي وقع فيه يوسف، نحو مصر الحبيبة الحمد لله.  
 بحثت بخوف كعقل يونس، في صحراء عنك الحمد لله.  
 حتى مع وجود فيضه أو عدم وجود ظلمة، لم يبق هذا او ذاك الحمد لله.  
 قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ فَإِنْ صَبَرَ اجْتَبَاهُ  
 وَإِنْ رَضِيَ اصْطَفَاهُ»!

### سيرة اولياء الله ﷺ:

في هذا الفصل يجب علينا ان نذكر أولاً انبياء الله والأئمة الاطهار ﷺ، الذين  
 لم يفكروا طيلة حياتهم إلا بالله ولم يرجحوا أي شيء على وجوده المقدس.  
 اقرأوا قصص انبياء الله في القرآن الكريم ولاحظوا حياة النبي ابراهيم،  
 وموسى، ويوسف، وايوب، وسائر الانبياء ﷺ، فهؤلاء الفضلاء لم يكن لديهم  
 هدف غير الله ولا معشوق ومحجوب سواه، إذ نرى أنهم ضحوا بأموالهم و  
 أرواحهم وبذلوا ما لديهم وكان الله هو ايمانهم، وعملهم واخلاقهم.  
 لقد امتحن الله النبي ابراهيم ﷺ مراراً وسائر الأنبياء في هذه المرحلة واجهوا

شدائد ومصائب صعبة وجمّة، لكنّهم لم يطلبوا غير الله ولم يروا إلا هو، ولم يفكروا إلا به، ولم يسمعوا حديثاً إلا حديثه.

تم شرح حياة أئمة الشيعة في أكثر الكتب الإسلامية. وأولئك الفضلاء ضحوا بكل ما لديهم لله مثل انبيائه، ولم يرجّحوا على الله أي شيء.

لقد ذكروهم الله في قرآنه الكريم و نعتهم بالمؤثرين، و الكل يعلم القصة العجيبة والحادثة الحزينة للإمام الحسين (عليه السلام). ذلك الإمام العظيم الذي ضحى بكل ما لديه لله في الوقت الذي كان أعداؤه مستعدين للصالح معه تحت أي شرط، لكن ذلك الانسان الحر تعامل فقط مع الله سبحانه وتعالى، وهو في هذه، ضحى بكل ما لديه ولم يرجّح الدنيا وما فيها على الله حتى لحظة واحدة.

ما أحلى ما أنشده العارف الكبير؛ إلهي قمشأي إذ قال:

من عبير نسيم هذا العشق، أصبحت الأرض مجد العرش.

بجسم مجروح وقلب محزون، صرخت بكل أنين إلى الله المتعال.

يا إلهي ومليكي وحاكمي، وصاحبي والملك الكريم.

في طريقك ايها الشاهد الجميل، احترق وجودي من شموع صفاتك.

فعمشك اصبح روحي والجسد في هواك، اصبح فانياً في نظر ما سواك.

وبدونك فالعالم لا شيء، وغضضت بصري عن غيرك.

فعمشك أصبح عقلي وفؤادي، واصبحت ناسياً للخلق كله.

وحبّك يا ايها الشاهد الجميل لروحي، تدفّق و ملأ روحي.

واصبح وادي سيناء في صدري، ومرآة صورتك اصبحت.

ثبات اصحاب الاخدود حتى آخر نفس:

ذكر الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم اصحاب الاخدود. و قد أشار القرآن الكريم، الى أن ذنبهم الوحيد انما كان الإيمان بالله، وقصتهم مروية في التفاسير على هذا النحو:

دخل رجل إلى مدينة «صنعاء» عاصمة اليمن، وتوجه نحو البلاط الملكي لـ «ذي نواس»، فمنعه حاجب البلاط من الدخول وقال له: ماذا تريد من جلالة الملك في هذا الحر الشديد؟ فقال له الرجل: نزلت كارثة، وجئت أخبر الملك بها.

فقال الحاجب: إن الملك لا يستطيع رؤيتك. فهو لتوّه قد جاء من معركة، وقد قمع الاضطرابات التي وقعت في صنعاء، وأرجع اليهودية إلى ما كانت عليه في زمن تبع، والآن يستعد لمعركة ستقع في الشرق، وينوي أن يكون الدين اليهودي هو الدين العام في الدنيا والحاكم الوحيد.

على كل حال، إذا كان ولائبد، تستطيع زيارة الملك في المساء، فقال الرجل: إن الخبر الذي أحمله معي لا يختلف عمّا قلته، ويرتبط بهذا الدين. فقال الحاجب: إصبر هنيئة حتى يدخل الملك البستان. وبعد أن خرج الملك قال له الحاجب: رجل من «نجران» (التي تقع في جنوب الحجاز) قد أتى لرؤيتك، ويريد إعلامك عن خبر دين جديد والذي يشكّل خطراً كبيراً على اليهودية.

فقال «ذو نواس»: دين جديد! أي دين هذا؟ عليّ بالرجل. فجاء وبعد أداء الاحترام قال: أيها الملك، إنني لم آتي لأطلب المساعدة منك؛ إنما حدث شيء كبير في «نجران» وأتيت أخبرك.

فقال «ذو نواس»: ماذا تقصد؟ فقال الرجل: منذ مدة ظهر دين جديد في نجران، يشتر بإسم المسيح عيسى. فدخل أهل نجران في الدين ورأوا فيه راحة بالهم. والمهم أنه قد دخلت مجموعة من اليهود في هذا الدين الذي دخله الناس بكل شوق. وإذا لم يسعف الملك اليهودية ويحفظها، فإنها ستمحى في نجران.

فقال «ذو نواس»: وكيف دخل هذا الدين إلى نجران؟ فقال الرجل: كان من ضمن الذين أتوا إلى نجران؛ رجلين، أحدهما رومي ويسمى بـ«فيميون» والآخر اسمه «صالح». فاشترى احد المشركين الذي كان يعبد نخلة؛ فيميون. فرآه رجلاً صالحاً، لا يتعب من العمل الموكل إليه أبداً. ولا يشكو من نقله. يعمل طوال النهار، ويلتجأ إلى العبادة في الليل. فرآه ذات ليلة في حالة الصلاة، ورأى أن نوراً يأتي منه دون أن يكون أي فانوس هنالك. فتعجب من أمره. فقال له سائلاً: هل تعبد غير تلك النخلة؟ فأجاب فيميون: أعبد رباً هو مالك العالم ومدبره، ذلك الرب الذي دعانا إليه المسيح وأظهر كرامته لنا. فهذه النخلة لا تملك نفعاً ولا ضرراً، ولا تدفع عن نفسها ضرراً أو تحفظ نفسها. إن اردت ان أطلب من الله أن يبعث ريحاً فتجف، أو ناراً فتحرقها.

فقال المشرك: هل تستطيع أن تفعل هذا؟ فقال: نعم، فإن فعلت ذلك؛ هل تؤمن؟ فقال: بلى، فصلى فيميون ودعا ربه أن يستجيب دعاءه، فهبت ريح أماتت النخلة. و في هذه الاثناء آمن مولى فيميون برب العالمين. فانتشر هذا الأمر في نجران، والتحق كثير من الناس بهذا الدين. وذكر الرجل للملك قضايا أخرى أغضبته، فسار بجيش جرار إلى نجران وحاصرها وجمع كبراء المدينة وشيوخها وقال لهم: قبل أن نبدأ بتدمير المدينة وقتل، اعطيكم فرصة لترجعوا الناس عن

هذا الدين إلى دين اليهودية، وإلا فالتعذيب والقتل سيكون جزاؤكم.  
الناس الذين وجدوا الحق سبحانه، وذاقوا طعم عبادته، وتحلوا بمعرفته،  
وعلموا أن لا باقي إلا سواه، قالوا في جواب الملك: إن هذا الدين قد امتزج  
بدمائنا وسرى في عروقنا. ولا نرتد عنه أبداً، أمهلتنا أم لم تمهلتنا، حتى لو قتلنا.  
فقد بعنا أنفسنا له سبحانه وتعالى، ولا نفضل عليه أحداً، فالدنيا متاع الغرور،  
وحصتنا فيها قليلة، ولا نبيع ما لدينا وهو الله بما هو قليل.

بعد أن رأى «ذو نواس» ثبات المؤمنين وإصرارهم وعزمهم، أمر بأن يحفر  
خندقاً أو أخدوداً في المدينة، ويشعلوا فيه ناراً، وأحرقهم جميعاً بما فيهم الشيخ  
الكبير والمرأة العجوز والطفل الرضيع والفتى اليافع. . ولكنهم لم يتراجعوا عن  
الحق، وفضلوا القتل على عار الدنيا، ونثروا أرواحهم فداء لمعشوقهم الحقيقي.<sup>١</sup>  
وكما يقول الصادق عليه السلام، فإنهم أصبحوا من الذين آثروا المحبوب على ما سواه:  
وَدَلِيلُ الْحُبِّ إِثَارُ الْمَحْبُوبِ عَلَى مَا سِوَاهُ.

طوبى لمن ثبت مع الله، واتصل بالحق وترك ما سواه.

طوبى لمن أصبح يائساً من الدنيا، وتجنب كل هوس وترك الهوى.

طوبى لمن قطع عن الأغيار، واكتفى بالمضيد الواحد.

طوبى لمن أصبح فانيا فيه، وصنع من بقاء الحق له رداء.

طوبى لمن ثبت في البلاء، و وفى بعده بقلبه وروحه.

طوبى لمن ضحى بلذة دار الفناء، من أجل لذة دار البقاء.

١- تفسير القمي: ٤١٣/٢، هامش تفسير آيات سورة البروج.



طوبى لمن تعلم العلم، وعمل بجميع ما تعلم.  
 طوبى لمن ميّز بالعقل، المهم و غيره و فرق بينهما.  
 طوبى لمن أنس بالوحدة، وقضى فيض الأيام المنصرمة.

ماهو السخاء؟:

سألت امرأة عارفة؛ من جماعة: ماهو السخاء برأيكم؟ فقالوا: ان يهب الإنسان ماله للغير، فقالت: هذا عمل أهل الدنيا، فما هو سخاء الخواص من الناس؟ فقالوا: الاجتهاد في الطاعة. فقالت: على أمل الثواب؟ فقالوا: نعم، فقالت: هذه معاملة العبيد؛ كما تقول الآية:

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾!

فما هو السخاء؟

فقالوا لها: ما تقولين أنت؟ فقالت: السخاء يعني المعاملة مع الله لا لأجل الجنة والنار، أو لأجل الثواب والخوف من العقاب.

ترجيح الله على كل شيء:

جاء في كتاب تفسير (روح البيان):

في العصور الماضية، بنى ملك ظالم، قصرًا منيفًا، ثم بعد ذلك أصابه الغرور والتكبر، وامر أنه لا يحق لأي شخص ان يقترب من القصر وأضاف: ان عقوبة مخالفة هذا الأمر ستكون القتل.

وكان الملك يتصور أن الغرباء الذين يقتربون من القصر لديهم نية سيئة ومن

اجل هذا، أصدر الملك هذا الأمر.

فجاء احد رجال الدين إليه، بعد أن حصل على الأذن بجهد وتعب، فنصح الملك وحذره من عقوبة عمله، لكن للأسف لم تؤثر نصائح ذلك العارف في نفس الملك، فترك ذلك الرجل المدينة؛ التي كانت تعاني من الظلم وهو ليس قادراً على منعه، فعاش ذلك الرجل خارج المدينة وبنى له بيت من القصب والخشب من أجل العبادة، وفي احد الأيام كان الملك مع حاشيته في القصر، فبدأ لهم ملك الموت على هيئة شاب، يحوم حول القصر وينظر إليهم فقال بعض حاشيته المقرّبين: رأينا شاباً يدور حول القصر. فجاء الملك إلى النافذة، وقال: بكل تأكيد هذا عابر سبيل مجنون وغريب! فليذهب احدكم له ويريحه من الحياة.

فبادر احدهم إليه لتنفيذ امر الملك، وعندما اراد ان يهجم على ذلك الشاب، قبضت روحه ومات، فأخبروا الملك الظالم، بأنّ نديمه قُتل. فأحمرّت أوداج الملك وغضباً، وامر بأن يذهب آخر ليقته، وتكرّر بالثاني ما فُعل بالأول. فاستشاط الملك غضباً، وذهب إليه بنفسه وقال: من أنت حتى تقترب من قصري وتقتل حاشيتي؟

قال: ألم تعرفني! فقال الملك لا، فقال الشاب: انا ملك الموت.

فارتعش الملك عندما سمع باسمه وسقط السيف من يده فأراد ان يهرب، فقال ملك الموت: إلى اين تذهب؟ انا مُكَلَّف بقبض روحك، فقال: اعطني فرصة كي أوصي وأودع أهلي وعيالي، فقال ملك الموت: لماذا لم تفعل ذلك و لم تقم بأعمال الخير حينما كانت لديك الفرصة لذلك؟ فقال هذه الجملة و قبض زوجه.

بعدها ذهب إلى ذلك الرجل العابد وقال: ابشرك اني ملك الموت عزرائيل، لقد قطعت شر ذلك الظالم من الناس، وحينما أراد الرجوع جاءه النداء من السماء: يا ملك الموت! لقد جاء أجل عبي الصالح فاقبض روحه، فقال ملك الموت للعبد الصالح: الآن جاءني امر في قبض روحك، فقال العابد: أمهلني كي ارجع إلى المدينة والتقي بعالي وادعهم، فجاء النداء: أن أمهله. فمشى العابد خطوات وفكر في نفسه لحظة؛ فندم من ذهابه، وقال: يا ملك الموت اخاف ان يتغير حالي عندما ارى اولادي وزوجتي، وبسببه قد أحرم من عنايته. لا اريد ان أفضل لقائي مع أولادي وزوجتي على لقاء الله، فاقبض روحي لأن الله أفضل لي من اولادي وزوجتي.

اراد رب البيت:

جاء في تفسير(روح البيان):

احد اولياء الله على السفر، لأجل أداء مناسك الحج، فقال له ولده الذي كان عمره عشر سنوات او اكثر بقليل، سائلاً اياه: إلى اين تذهب؟ فقال الاب: إلى بيت الله، وكان الطفل يتصور - وهو في عالمه الطفولي - أن كل شخص يرى البيت، فإنه يستطيع ان يرى ربه ايضاً، وبحالة من الاشتياق والحب قال لأبيه: لم لا تأخذني معك؟ فقال الاب: لم يحن وقت حجك بعد، فبكي الطفل بشدة واصر على والده كي يرافقه في سفره.

في النهاية وافق الاب على ان يرافقه ولده الصغير، وحينما وصلا إلى الميقات أحرمما، بعد ذلك تحركا نحو الكعبة وعند دخولهما للمسجد الحرام تأوه الطفل

وصرخ بحرقه، وفارقت روحه الحياة. فحزن الاب وبقى مدة في مأتمه، باكياً ويقول: آه أين طفلي؟ أين ذهب؟! وفجأة سمع نداء من زاوية الكعبة يقول: أنت أردت البيت فوجدته، ولكن طفلك اراد رب البيت فلقاه.

كما قال سالك طريق المحبوب؛ الفيض الكاشاني:

دواء دائنا يعرفه المحبوب، وأحوال القلب يعلمه صاحبه.

فمن عينيه تبدو أحواله، وعلة المريض يعلمها المريض.

وإذا أردت ان تسأل عن أحواله من قلبه، فحال السكران يعلمه العاقل.

فدواء داء العاشق هو الداء، والعاشق يعتبر العلاج عاراً.

فطبيب العاشق هو عاشق ايضاً، فلا يعرف عبء المتعبين إلا المتعاطف معهم.

فنغمة الحزن يعرفها البلبل، ولا يعرف حال المحزون إلا المحزون.

ولا كل قلب يكون ملائماً للعشق، ولا كل أحد يعرف طريقه.

تجاوز نفسك وكن كفيض، فيرى كل شيء عاراً إلا التضحية.

جوع شقيق البلخي:

ذكروا:

أن شقيق البلخي بقي لثلاثة أيام دون طعام، وبعد ثلاثة أيام انتابته حالة من

الضعف، من كثرة العبادة والجوع فتضرع إلى الله وقال: اطعمني!

وبعد انتهائه من الدعاء، رأى رجلاً يأتي إليه، فسلم على شقيق وقال: تعال

معي، فذهب معه شقيق ووصلاً إلى بيت، في ذلك البيت رأى ما لذ وطاب من

الأكل والشرب وشاهد مجموعة من الخدم منشغلين بالضيافة، فلما فرغ من

الطعام و اراد الخروج سأله صاحب البيت: إلى أين؟ قال: إلى المسجد. فقال هل لك ان تقول لي اسمك؟ فقال: اسمي شقيق.

وفجأة صاح الرجل: ان هذا البيت لك، وهؤلاء الخدم هم غلمانك، وأنا كنت خادم و غلام ابيك، فذهبت في تجارة، بعثني إليها، فلما رجعت علمت انه مات، ولم استطع ان اعثر عليك، أو أصل اليك؛ حتى أسلمك امانة والدك، اما الآن وقد وجدتك؛ فخذ مالك و غلمانك، فقال شقيق: إن كان هؤلاء غلماي، فاني أعتقهم لوجه الله، وإن كان المال لي فخذهُ وأقسمه بينكم حتى تسدوا به حاجاتكم، فإني لا احتاج إلى الكثير من المال في حياتي، ان حاجتي هي إلى الله سبحانه وتعالى.

لا إله إلا الله:

هو ذكر حقيقي، من تحلى به فإنه لا يفكر إلا بالله ولا يعمل إلا لله ويتخلق بأخلاق الله. قال أبو عبد الله الراضي:

ذهبت إلى وليد السقا و اردت أن اسأله عن معنى الفقير، فرفع رأسه وقال: هو الذي لا يخطر على باله إلا الله و يجتاز يوم القيامة!  
جاء في تفسير آيات من سورة (يس):!

عندما سمع حبيب النجار ما يعانيه رسل الله من المصائب التي لا قوها من الناس في انطاكية؛ خرج من منزله الذي كان يقع في نقطة بعيدة من المدينة، واتجه نحو أهل مدينته؛ - كان هذا الرجل مضحياً ومؤمناً حقيقياً، وكان يقسم ماله الذي يكسبه من عمله إلى قسمين، قسم لأهله و عياله و القسم الآخر للفقراء -

١- نفحات الأنس: ٣٧.

٢- ﴿وَجَاءَ مِنَ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾؛ يس ٣٦: ٢٠.

وصاح بأعلى صوته: ايها الناس اتبعوا رسل الله أولئك الطاهرين الذين يتحملون كل هذا التعب والمشقة ولا يريدون منكم أي جزاء، فلماذا تدعونني إلى عبادة الاوثان؟ ولماذا لا اعبد الله الذي خلقتني في حين أن الكل يرجع إليه؟ وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون، أتأخذ من دونه آلهة أن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينفذون، إني إذاً لفي ضلال مبين، إني آمنت بربكم فاسمعون.

ولكن مع علمه بأن أتباع الرسل والدفاع عنهم يتبعه تحمل الكثير من المشقة، لكنه فضل الله ورسالته، وتقدم في ميدان الصراع وكذلك فضل محبوبه على زوجته واولاده وماله وروحه وكل شيء، وفي النهاية قتل بأيدي الناس الذين هاجموه ورموه بالحجارة وأثخنوه جراحاً بالسيوف، ثم بعد ذلك صلبوا جنازته على حائط المدينة ليتفرجوا عليه، ولقد مدحه الله سبحانه وتعالى، ورفع ذكره في سورة (يس) المباركة، واعتبره من الشخصيات الطاهرة المشرقة في سماء الجنة المضيئة بالنجوم.

نعم، هذا النوع من الرجال الذين ضحوا في سبيل الله بكل ما لديهم، كانوا أصدق الناس في دعوتهم لحب الله، لدرجة أنهم فضلوا محبوبهم على ما سواه، وكما قال الإمام الصادق (عليه السلام):

«وَدَلِيلُ الْحُبِّ إِثَارُ الْمَحْبُوبِ عَلَى مَا سِوَاهُ».

الآثار العجيبة للأدب:

في يوم عاشوراء، احتار الحر بن يزيد الرياحي بين طريقين: الأول هو

الرياسة، والثروة والزوجة والاولاد، والمنزلة والمقام الدنيوي.

والثاني بين التضحية والفداء. لكن ذلك الإنسان العاقل بعد ان تأمل قليلاً، فضل الموت مع الإمام الحسين عليه السلام على الحياة مع يزيد وغيره وتعامل مع الله.

وفي هذا المجال؛ نقرأ في «كتاب نقد وتحليل وتفسير مثنوى»:

ان الإنسان الذي يمتلك الادب الروحي، حتى لو ارتكب ذنباً، أو خسر نفسه،

لكنه في النهاية سينجو من السقوط بفضل ذلك الأدب.

نقرأ في قصة الحر بن يزيد الرياحي:

بلغ عبيدالله بن زياد لعنه الله الخبر وأن الحسين عليه السلام قد نزل الرهيمية فأرسل

إليه الحر بن يزيد في ألف فارس قال الحر: فلما خرجت من منزلي متوجها نحو

الحسين عليه السلام نوديت ثلاثاً: يا حر أبشر بالجنة، فالتفت فلم أر أحداً فقلت: ثكلت

الحر امه، يخرج إلى قتال ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ويبشر بالجنة؟ فادركه عند صلاة

الظهر؛ فأمر الحسين عليه السلام ابنه فأذن وأقام وقام الحسين عليه السلام فصلى بالفريقين فلما

سلم وثب الحر بن يزيد فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته

فقال الحسين: وعليك السلام من أنت يا عبد الله؟ فقال: أنا الحر بن يزيد، فقال:

يا حر أعلينا أم لنا؟ فقال الحر: والله يا ابن رسول الله لقد بعثت لقتالك وأعوذ بالله

أن احشر من قبري وناصيتي مشدودة إلي ويدي مغلولة إلى عنقي واكب على

حر وجهي في النار، يا ابن رسول الله! أين تذهب؟ ارجع إلى حرم جدك فانك

مقتول. فقال الحسين عليه السلام:

سأمضي فما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً  
 وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مشبورا وخالف مجرماً  
 فان مت لم أندم وإن عشت لم ألم كفى بك ذلاً أن تموت وترغماً.<sup>١</sup>  
 إن الادب الروحي والشخصية العالية التي كان يمتلكها الحر بن يزيد ارشده  
 الى ان يختار الطريق الصحيح في يوم عاشوراء في صحراء كربلاء وان يرقى من  
 اسفل درجة إلى اعلى درجة وان يقف الى جانب الحسين عليه السلام الذي هو جانب  
 الحق والحقيقة والله ؛ وان يضحي بنفسه في طريقه.

اختيار المحبوب في اصعب الظروف:

يعتبر محمد بن ابي عمير من كبار اصحاب الائمة الاطهار عليهم السلام و الذي قلماً  
 كرّر التأريخ مثله، تنقل كتب الرجال عنه الاحاديث من دون سند ثقة به و ذلك  
 بعد أن أحرقت كتبه وزجّ في السجن مهمة وهنا نكتفي بترجمة مقالة (رجال  
 الكشي) حوله.

يقول علي بن الحسن:

إن ابن أبي عمير من أجل وقوفه إلى جانب الحق، حُكِمَ عليه بالحبس وقد  
 تأذى كثيراً في السجن، وعُذِبَ.

فصادر الخليفة الظالم جميع أمواله، ومن ضمنها كتبه القيمة التي ألفها في  
 مجال الحديث وسرقت. ابن أبي عمير كان جافظاً عن ظهر قلب لأربعين مجلداً  
 من كتبه، المنقول منها موجود تحت عنوان «النوادر».

يقول الفضل بن شاذان - الذي كان هو الآخر من العشاق الإلهيين - لَمَّا وشيَ



بمحمد ابن أبي عمير عند الحاكم على أنه يعرف جميع أسماء الشيعة في العراق، قُبض عليه وأرادوا أن يعترف بأسمائهم. فامتنع، فجزّوه من شيابه وصلبوه بين شجرتين وجلد مائة سوط، يقول الفضل: قال ابن ابي عمير: عندما كانوا يضربونني، كانت الشياطين تنزل على ظهري الواحدة تلو الأخرى؛ كدت أن اعترف بأسمائهم وأشي بأسرار الشيعة. ولكنني فجأة سمعت محمد بن يونس بن عبد الرحمن إذ قال: يا محمد بن أبي عمير! تذكر وقوفك بين يدي الله. فشدت عزمي كلماته وصبرت على الأذى بكل قوة، وإني لأشكر الله على هذا. يقول الفضل بن شاذان: قد سيّبت تلك المصائب لمحمد بن أبي عمير خسارة تجاوزت المائة الف درهم.

ويقول الفضل بن شاذان أيضاً: وصلت العراق، فرأيت شخصاً يعاتب آخر ويقول له: أنت صاحب عائلة، وكسبك الرزق لهم إنما يكون بوسيلة حرفة الكتابة. فأخاف أن تؤذي سجداً تلك الطويلة إلى إضعاف بصرك.

فلما كررّ عليه كلامه وأصرّ؛ قال صاحبه: لماذا تتكلم كثيراً، ويحك، لو ان أحداً كان سيفقد بصره بإطالة السجود، لكان ابن ابي عمير قد ذهب بصره!.

فماذا تظن في رجل يسجد بعد صلاة الصبح ولا يرفع رأسه من السجود إلا بعد زوال الشمس

نعم، أولئك رجال فريدون في حبه الله وحده دون سواه، وكان يحبون لحبه، ولا يفضلون على حضرته المقدسه أي شيء رغم الصعوبات والمحن!

أسية والمعبود الحقيقي:

يقول ملا فتح الله الكاشاني في تفسيره<sup>١</sup>:

فازت آسية في الدارين، لخلوص ايمانها. وزواجها من فرعون لم يكن ليضر بها، و يضر في تقربها إلى الله سبحانه وتعالى.

يُنقل: ان آسية آمنت برب العالمين، عندما اظهروا السحرة سحرهم والقي موسى ﷺ عصاه التي تحولت إلى ثعبان وأبطلت ما يأفكون. اخفت آسية ايمانها عن فرعون، فلما علم فرعون بذلك، قال لها: ارتدّي عن دينك، لكنها لم تفعل. فأمر فرعون بأن يصلبونها تحت الشمس إلى أربعة مسامير، بعد ذلك امر بأن يضعوا حجارة كبيرة على صدرها. فعندما رأت آسية تلك الحجارة طلبت من ربها، ان يرزقها الجنة وينجيها من فرعون:

﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>٢</sup>.

فاستجاب الله لها، وازال الحجاب عن عينيها، وقبل ان تقع الحجارة عليها، شاهدت بيتها في الجنة، الذي كان من الدرّ واللؤلؤ، ففرحت وبعد ذلك قبض الله روحها، وسقطت الحجارة على جسدها الميت ولم يصيبها عذاب فرعون<sup>٣</sup>.

١- تفسير ملا فتح الله الكاشاني: ٣٤٦/٩؛ هامش آية ١١ من سورة التحريم.

٢- التحريم ٦٦: ١١.

٣- قصة السيدة آسية - التي تشرفت كونها ستكون جارية من جوارى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام - يوم القيامة - جاءت كالتالي:

كانت هنالك امرأة في بلاط فرعون تخدم، بصفتها نديمة لابنة فرعون. وذات يوم وبينما كانت تمشط شعر ابنة فرعون؛ سقط المشط من يديها وعندما أرادت أن ترفع المشط ذكرت الله سبحانه وتعالى. فقالت ابنة فرعون لها: وهل هنالك إله غير أبي؟ فأجبت: نعم، إنني ربي هو مالك الكون

في الحقيقة، هذه الحالة من الإيمان بين هذا النوع من البشر يعتبر من العجائب، المرأة التي تمتلك المكانة السامية الثانية في البلاد بعد فرعون، المرأة التي تزين بجميع أنواع المجوهرات والذهب، وجميع أنواع وسائل الراحة واللذة المادية مهينة لها، لكنها عندما تعرف الحقيقة وتجد المحبوب الحقيقي، تفضله وتضحى بكل ما لديها من التعلقات المادية وتحمل جميع أنواع العذاب والمشقة وتفدي روحها وهي في ريعان شبابها من اجل المحبوب.

الاعتماد والتوكل على الحق:

في أيام نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام، كانت تعيش امرأة سالحة وعابدة، فكلما حان وقت الصلاة، تترك عملها مهما كان، وتنشغل بالصلاة والطاعة. وذات يوم وبينما كانت تعد الخبز في التنور، إذا سمعت صوت الأذان، فتركت إعداد الخبز وانشغلت بالصلاة. فلما وقفت للصلاة؛ وسوس لها الشيطان قائلاً: إلى أن تفرغي من صلاتك، فإن الخبز كله سيحترق في التنور. فقالت:

والعالم والخلق، بمن فيهم فرعون. فقصّت البنت ما حدث معها لأبيها. فأمر بالمرأة فأنثوا بها وأثبتوها إلى الأرض بالمسامير، وضربوها بالسياط، وكلما قال لها فرعون: قولي أنا ربك، كان يشتد عزمها أكثر.

فأمر فرعون بأن باحراق ولديها الاثنين في النار أمامها، لكن ذلك لم يضعف من إيمانها شيء. وفي هذه الأثناء جاءت زوجته آسية و وبخت فرعون على فعلته هذه.

فقال فرعون لها: هذه المرأة لا تقبلني رباً لها. فقال آسية له: نعم، وانا كذلك لااقبل بأنك رب، إنما انت مخلوق، وليس بخالق. هنا أمر فرعون، بأن يثبتوها إلى الأرض بمسامير، وفي النهاية استشهدت تحت التعذيب.

المرأة في نفسها: احتراق الخبز كله، أفضل من أن احترق يوم القيامة بنار جهنم. فوسوس لها الشيطان مرة اخرى قائلاً: إن أبنك قد وقع في التنور واحترق. فقالت المرأة في نفسها: إذا كان قضاء الله بأن يقع ابني في التنور ويحترق بينما أنا اصلي، فإني راضية بقضائه، ولا أقطع الصلاة لان الله هو الحافظ، يحفظه من نار التنور.

فدخل زوج المرأة إلى البيت، ورآها تصلي. ثم جاء إلى التنور ورأى الخبز على حاله لم يحترق والولد فيه يلعب لم يصبه أي أذى، وتحولت النار إلى برد وسلام عليه بقدرة الله سبحانه.

فلما فرغت من صلاتها، أخذ زوجها بيدها وأتى بها إلى التنور؛ فنظرت إليه، فرأت ولدها سالماً لا مكروه فيه، وقد تحولت النار إلى بستان يرتع ويلعب فيه، والخبز لم يحترق وكانه نضج لتوّه. فتعجبت من هذا، وسجدت شكراً لله على نعمته. فحمل الزوج ولده وأتى به إلى عيسى بن مريم عليه السلام، دون أن يقصّ عليه ما جرى. فقال عيسى عليه السلام: إذهب إلى زوجتك واسألها عن سرّ هذا الشيء؟ فلو كانت هذه الكرامة لأولئك الرجال لنزل الوحي عليهم.

فجاء الزوج إليها وسألها، فقالت: قدّمت عمل الآخرة وأخّرت عمل الدنيا، أنا في طهارة ما دمت عاقلة إلا في وقت يعتري النساء الطمث. وأترك كل شيء عندما أسمع صوت الأذان، وأصلي. والأخرى ان من جفاني وسبني، لم احقد عليه في قلبي، ولا اقابله بالمثل، وجعلت عملي مع الله سبحانه وتعالى، ورضيت بقضائه، وعظمت أمره، وعظفت على خلقه، ولم أرد سائلاً عن قليل أو كثير قط، ولم أترك صلاة الليل والصبح. فقال عيسى عليه السلام: إذا كانت هذه المرأة رجلاً،

لكان نبياً.

مسألة عدم احتراق الطفل في التنور هي المسألة التي شهد لها القرآن الكريم مرتين، الأولى؛ في قصة نبي الله ابراهيم عليه السلام في زمن النمرود، والآخر في نبي الله موسى عليه السلام زمن طفولته في عصر فرعون، وبالطبع، فإن كل إنسان يستسلم للحق من اعماق وجوده، يسهل الله عليه أمره، وتجد كل شيء يطيعه، كما قال المعصوم عليه السلام: **الْعَبُودِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهَهُ الرَّبُّوبِيَّةُ.**

وحول هذا الموضوع هنالك حكايات كثيرة نُقلت عن الأنبياء والاولياء والتي صدقها بعض آيات القرآن الكريم. وإحدى هذه الحكايات هي:

يقول احد العظماء: عندما كنت ذاهباً إلى البادية، تهمت عن القافلة وأضعت الطريق. فكنت أبحث في البادية ثلاثة أيام، فيث من ذلك، وفجأة رأيت ظلاً، فمشيت وراءه. فوصلت إلى ربوة. فذهبت إلى طرفها الآخر فرأيت محراباً وفيه شخص، فسررت من رؤيته. وبقيت مدة حتى غربت الشمس.

وعندما حان وقت الصلاة، خرج من المحراب شاب حسن الوجه، وعليه لباس حسن، فضرب الأرض برجله، فنبعت عين من تلك الصحراء، فتوضأ هذا الشاب وشرب من الماء. ثم ذهب إلى المحراب. فأنا أيضاً ذهبت إلى ذلك النبع وشربت من مائه، فارتويت وذهب عطشي، وذهب جوعي وتعبي، ثم توضيت وصليت، فلما فرغ ذلك الشاب من صلاته، همّ بالرحيل. فقلت له: بالله عليك، إلا ما ارشدتني في هذه الصحراء، فإني نائه أضعت الطريق. فقال: لا عليك، تعال

معي. فلما خطونا عدة خطوات حتى سمعت رغاء النوق و وجدت القافلة، ورأيت مصباحها. فنظر نحوي وقال: هذه هي القافلة! فقلت له: بالله عليك إلا ما عرفتني بشخصك؟ فقال: انا زين العابدين...<sup>١</sup>

وقال الإمام علي عليه السلام:

«وَاللَّهِ مَا قَلَعْتُ بَابَ خَيْرٍ وَقَذَفْتُ بِهِ أَرْبَعِينَ ذَرْعًا تُحَسُّ بِهِ  
أَعْضَائِي بِقُوَّةِ جَسَدِيَّةٍ وَلَا حَرَكَةَ غَذَائِيَّةٍ وَلَكِنِّي أُيِّدُ بِقُوَّةِ  
مَلَكَوْتِيَّةٍ وَنَفْسٍ بِنُورِ رَبِّي مُضِيئَةٍ»<sup>٢</sup>.

١- تحفة المريدين: ٢٤٥.

٢- بشارة المصطفى: ١٩١، روضة الواعظين: ١٢٧/١؛ أمالي الشيخ الصدوق: ٥١٣، المجلس السابع

والسبعون، حديث ١٠.

## «فَإِذَا تَحَقَّقَ الْعِلْمُ فِي الصَّدْرِ خَافَ»

عندما يتحقق علم الإنسان بالله وبمقام الربّ و حضرته، وبجزاء الذنوب التي يرتكبها الانسان في الدنيا، وتحقق هذا الشيء في قلبه، كالشجرة التي تجذرت في قلبه؛ عندئذ يمتلئ قلبه بالخوف من الله عزوجل. وبما ان هذه الحالة جذورها مرتبطة بعلم الإنسان بالحقائق، فإنه سيثبت أن أنواع الخوف الممدوح - كما شرحنا سابقاً - ستحصل ويتحقق للإنسانان.

- ١- الخوف من وقوع حوادث وخيمة للناس، لعدم رعايتهم المسائل التربوية، وتحذيرهم من ذلك، ووقايتهم من حدوث هذه الاشياء لنجاة الخلق.
- ٢- الخوف من سوء العاقبة والعمل في سبيل ان تختم حياة الإنسان بالخير.
- ٣- الخوف من الله ونتيجته هو الطهارة من الذنوب.
- ٤- الخوف من الذنوب التي اقترفها، هو افضل سبب للتوبة والرجوع إلى الله.
- ٥- الخوف من نقصان أو قلة العبادة، والنتيجة هو السعي أكثر في العبادة.
- ٦- الخوف من صغره امام عظمة الخالق، لذلك يجتهد أكثر لكي يرتبط بالله سبحانه وتعالى، عن طريق العبادة الكاملة كي يستطيع ان يعوّض عن نقصه و ضآلته من خلال بالخالق.

«وَإِذَا صَحَّ الْخَوْفُ هَرَبْ»

عندما يقع الخوف حقاً في القلب بشكل صحيح، فإنه يهرب من الجهلاء، و  
يهرب من الأشرار الذين لا يمكن ان يتوقع منهم الخير و يهرب من الذنب  
والمعصية وكل شيء سيء امام الله.



«وَإِذَا هَرَبَ نَجَا»

## عوامل النجاة:

عندما يهرب الإنسان من جميع الأشياء التي تؤدي به إلى الخسران؛ بسبب الخوف من الله سبحانه وتعالى، فإنه ينجو من الشقاء وسوء العاقبة، ومن خزي الدنيا والآخرة، والافضيحة في الدارين، ويفوز فوزاً عظيماً.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: ثلاث منجيات: خوف الله في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر.<sup>١</sup>

ويقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في رواية أيضاً: ثلاث منجيات: خوف الله في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وثلاث مهلكات: هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه.<sup>٢</sup>

ويبين القائد العظيم للإسلام ضمن وصاياه لأمير المؤمنين عليه السلام، علل الشقاء والسعادة والنجاة، فيقول:

يا علي: انهاك عن ثلاث خصال: الحسد، والحرص، والكبر.

يا علي: ثلاث من حقائق الايمان: الانفاق من الاقتار وانصافك الناس من

١- الخصال: ٨٤/١، حديث ١١، وسائل الشيعة: ١٠٥/١، باب ٢٣، حديث ٢٥٤.

٢- وسائل الشيعة: ١٠٥/١، باب ٢٣، حديث ٢٥٤.

نفسك، وبذل العلم للمتعلم.

يا علي: ثلاث فرحات للمؤمن في الدنيا لقاء الاخوان، وتفتير الصائم،  
والتهجد من آخر الليل.

يا علي: من أفضل الأعمال (للمؤمن): المواساة في ذات يده لآخيه المؤمن، والانصاف  
من نفسه.

يا علي: ثلاث من مكارم الاخلاق في الدنيا والاخرة: ان تغفو عن ظلمك،  
وتصل من قطعك، وتحلم عن جهل عليك<sup>١</sup>.

نعم، إذا الإنسان هرب من الحرص، والحسد والكذب وسائر صفات الرذيلة  
وتحلى بالحقائق التي أوصى بها النبي الاكرم ﷺ لعلي عليه السلام، فإنه يلقى النجاة.  
والذي يطلب النجاة من شر الدنيا والآخرة حقاً، يجب عليه ان يهرب من جميع  
عوامل الشر، ولقد بينت الكتب السماوية، والانبياء والائمة عليهم السلام لنا الأشياء التي  
يجب أن يهرب منها الانسان حتى يلقى النجاة. وشوقته لأن يهرب من عوامل  
الشر، ووضّحت له عوامل الشقاء والعذاب.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ رَجُلٌ فِيهِ الشُّحُّ  
وَالْحَسَدُ وَالْجُبْنُ. لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ جُبَانًا وَلَا حَرِيصًا وَلَا  
شَحِيحًا»<sup>٢</sup>.

ويقول الصادق عليه السلام في رواية: «لا يؤمن رجل فيه الشح والحسد،

١- من لا يحضره الفقيه: ٣٥٦/٤، باب النوادر، حديث ٥٧٦٢.

٢- الخصال: ٨٢/١، حديث ٨؛ وسائل الشيعة: ٤٠/٩، باب ٥، حديث ١١٤٧٣.

والجبين ولا يكون المؤمن جبناً ولا حريصاً ولا شحيحاً<sup>١</sup>!

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُبْغِضُ الْغَنِيَّ الظَّلْمَ، وَالشَّيْخَ الْفَاجِرِ  
وَالصَّعْلُوكَ الْمُخْتَالَ ثُمَّ قَالَ، أَتَدْرِي مَا الصَّعْلُوكُ الْمُخْتَالُ؟  
قَالَ: فَقَلْنَا الْقَلِيلَ الْمَالِ، قَالَ: لَا، هُوَ الَّذِي لَا يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ  
عَزَّوَجَلَّ بِشَيْءٍ مِنْ مَالِهِ»<sup>٢</sup>.

عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ:

«لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثَةَ الْأَكِلُ زَادَهُ وَحَدَهُ، وَالرَّكِبُ فِي الْفَلَاةِ  
وَحَدَهُ، وَالنَّائِمُ فِي بَيْتٍ وَحَدَهُ»<sup>٣</sup>.

كَانَ عَلِيُّ عليه السلام يَقُولُ:

«الْعَامِلُ بِالظُّلْمِ وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ وَالرَّاضِي بِهِ شُرَكَاءُ ثَلَاثَةٌ»<sup>٤</sup>.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ:

«الظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ: ظَلَمَ يَغْفِرُهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ وَظَلَمَ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ  
وَظَلَمَ لَا يَدَعُهُ فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ فَالشَّرْكُ بِاللَّهِ  
عَزَّوَجَلَّ وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يَغْفِرُهُ اللَّهُ فَظَلَمَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فِيمَا  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَدَعُهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ

١- وسائل الشيعة: ٤٠/٩، باب ٥، حديث ١١٤٧٣.

٢- مستدرک الوسائل: ٣٧٤/١١، باب ٤٩، حديث ٧٥٦٧-١٦.

٣- المحاسن: ٣٩٨/٢، باب ٥، حديث ٧٦.

٤- الخصال: ١٠٧/١.

### فَالْمُدَايِنَةُ بَيْنَ الْعِبَادِ<sup>١</sup>.

نعم، حينما يكون الخوف في قلب الإنسان خوفاً صحيحاً، فإنه يهرب من كل ذنب من قبيل ما ذكر في الروايات السابقة. وحينما يهرب بشكل حتمي، فإنه بدون شك، سينجو.

١- بحار الأنوار: ٣١١/٧٢، باب ٧٩، حديث ١٥.

«وَإِذَا أَشْرَقَ نُورُ الْيَقِينِ فِي الْقَلْبِ شَاهَدَ الْفَضْلَ»

### نور اليقين:

حينما يشع نور اليقين في قلب الإنسان، فإنه يشاهد العناية الإلهية التي لم يكن يراها قبل هذه المرحلة. وما أسمى هذا اليقين الذي يكون أكثره طاقاً إلهية تشمل الإنسان، وما أعظم هذا اليقين الذي يحصل عليه القلب ونوره الذي يلغي المسافة بين الإنسان والله، وفي النتيجة يصل الإنسان إلى القرب الإلهي ويرى الأمور التي لم يكن يراها من قبل ان يتنور باليقين. بالطبع كي نصل إلى اليقين، يجب علينا مراجعة كتاب الله والروايات الشريفة التي تعكس لنا اصول العرفان الواقعي.

### مراتب اليقين:

قبل كل شيء يجب أن نعرف أنّ اليقين له ثلاث مراتب من وجهة نظر

العارفين:

١- علم اليقين.

٢- عين اليقين.

٣- حق اليقين.

علم اليقين، هو تصوّر وتصديق الموضوع كما هو في الواقع، بالطبع لا يمكن الحصول على هذا اليقين، إلا عن طريق العلم، الاستدلال والمنطق. عين اليقين، هو رؤية ومشاهدة الحقيقة وهذه مرتبة اعلى من المرتبة السابقة، لان هناك فرق بين المشاهدة والاعتقاد والاستماع وقبوله. حق اليقين، هو اتحاد الوجود مع الواقع، بحيث لا يدخل الشك والترديد قلب الإنسان وتصبح الحقائق الخارجية أو وجود الإنسان واحد، كما قال الشاعر بابا طاهر عريان:

دائي ودوائي هو من الصديق، وقربي وهجراني هو من الحبيب.  
 فلو قطعوني بالسيف إرباً، لما استطاعوا ان يفرقوا بيني وبينه.<sup>١</sup>  
 حق اليقين يعني الفناء فيه والبقاء له، علماً وشهوداً وحالاً وهذا هو مقصود الآيات القرآنية من لقاء الحق<sup>٢</sup>، وهذه مرتبة لا يحتاج الإنسان فيها إلى دليل، أو برهان، لكنه نتيجة اشراق القلب الإلهية، القلب الذي اصبح حرم الله ومكاناً لتجلي نوره، وعندما تستضيء البصيرة؛ بنور اليقين فإنها تستحق العناية الخاصة والألطف الرحمانية، وتسمع وترى ما لم تكن تراها من قبل.  
 يقول صاحب كتاب «منازل السائرين» - الذي يعتبر من أفضل الكتب في العرفان.

لليقين ثلاث درجات:

أولها علم اليقين ويعني قبول الشيء الذي يظهر من الحق وكما وصل اليها وقبول

١- «بابا طاهر».

٢- مراحل السالكين: ٢١.

الاشياء الغيبية المتعلقة بالحق، والاستقامة على الشيء هو قائم على الحق. يقول في شرح هذا الموضوع اعلاه: علم اليقين يعني قبول الأمور التي وصلتنا عن الأنبياء ﷺ وتشمل الإيمان، والإسلام والاحكام والمعجزات؛ التي تدل جميعها على الحق، وكذلك قبول الآخرة واهوالها ويوم القيامة والجنة، والنار وكل شيء يتعلق بالآخرة.

وكذلك الاستقامة والثبات على الأمور التي تهدي البشرية وتقوي يقينهم. الدرجة الثانية هو عين اليقين؛ وهو عدم احتياج الإنسان إلى الاستدلال لكي يعرف الواقع، أو إلى الخبر لكي يرى الحقيقة، بل إن الحجاب قد رُفِع عن عينه، فالعلم حاصل بالمشاهدة الحقيقية.

ثم يقول في الشرح:

عين اليقين، هو مشاهدة الاشياء مكاشفة كما هي، وهو بمساعدة الفطرة الطاهرة والقلب السليم، وطهارة الروح من غبار الذنب والاضطراب. المقصود من حجاب العلم واضح، هو ان الإنسان في بعض الاحيان يتصور في ذهنه صوراً عن المطالب، في الوقت الذي فيه ذلك الشيء غائب عنه، أما في حالة حضور الشيء امام الإنسان وانعكاسه امام القلب، فهو يسمى عين اليقين. الدرجة الثالثة هو حق اليقين؛ يعني تلاًؤ نور الصبح وهو واضح وساطع، بعدها يحدث الارتياح من عبء الاختيار، ثم الفناء في حق اليقين.

يقول موضحاً في شرح هذا المطلب: حق اليقين هو التحقق بحقيقة العلم والفناء بروحه وعلمه فيه، وبعبارة أخرى، تجلي نور الحقيقة على ظلمة ائمة الإنسان، بشكل يؤدي الى نهوض الإنسان، فإذا نهض ولم يبق على حالته السابقة

وتحرر من المسؤولية الثقيلة لليقين، لأنه قبل ذلك كان يتصف باليقين، أما الآن فهو يحمل اليقين. و وصل إلى مقام أصبح فيه يد الحق واذن الحق وعين الحق وعلم الحق وطريق الحق، ولا يكمل ساره بإرادته، إنما يُسَيَّر. ولا يتحرك من تلقاء نفسه، إنما يُحرَّك. عندئذ يفنى في حق اليقين ولا يبقى له علامة أو اثر<sup>١</sup>.

الحق هو الكل، الفناء هو الكل، الكل تعلق وربط، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام في

مناجاته في مسجد الكوفة:

«مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْمَوْلَى وَأَنَا الْعَبْدُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْعَبْدُ إِلَّا الْمَوْلَى، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْمَالِكُ وَأَنَا الْمَمْلُوكُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَمْلُوكَ إِلَّا الْمَالِكُ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْعَزِيزُ وَأَنَا الذَّلِيلُ وَهَلْ يَرْحَمُ الذَّلِيلَ إِلَّا الْعَزِيزُ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْخَالِقُ وَأَنَا الْمَخْلُوقُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَخْلُوقَ إِلَّا الْخَالِقُ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْعَظِيمُ وَأَنَا الْحَقِيرُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْحَقِيرَ إِلَّا الْعَظِيمُ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْقَوِيُّ وَأَنَا الضَّعِيفُ وَهَلْ يَرْحَمُ الضَّعِيفَ إِلَّا الْقَوِيُّ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْغَنِيُّ وَأَنَا الْفَقِيرُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ إِلَّا الْغَنِيُّ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْمُعْطِي وَأَنَا السَّائِلُ وَهَلْ يَرْحَمُ السَّائِلَ إِلَّا الْمُعْطِي، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْحَيُّ وَأَنَا الْمَيِّتُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَيِّتَ إِلَّا الْحَيُّ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْبَاقِي وَأَنَا الْفَانِي وَهَلْ يَرْحَمُ الْفَانِي إِلَّا الْبَاقِي».



نعم، يصل فيه المرء إلى مكان، يرى فيه أمير المؤمنين عليه السلام نفسه - الذي هو من الناحية الثروة الايمانية والعملية والأخلاقية الثاني بعد الرسول صلى الله عليه وآله ولا نظير له في جميع الخلق - فانياً في ذاته ويعتبر نفسه، ذليلاً، فقيراً، ضعيفاً، ميتاً، وهذه اسمى حالة تحصل للانسان مع الحق وهي مرحلة حق اليقين.

عندما، يتدبر الإنسان في آيات القرآن الكريم والروايات، يتبين فإنه يصل عن طريق علم اليقين إلى عين اليقين ومن عين اليقين إلى مرحلة حق اليقين. في مرحلة علم اليقين يتدخل العقل، وفي مرحلة عين اليقين يتدخل القلب، وفي مرحلة حق اليقين يتدخل الاشراق الإلهي، والعناية الربوبية، التي يقصد بها قوة جاذبية المعشوق للعاشق.

إذا لم يكن من جانب المعشوق جاذبية، فسمي العاشق التemis سيكون دون جدوى<sup>١</sup>.

القرآن ومسئلة اليقين:

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾<sup>٢</sup>.

أدرك النبي ابراهيم عليه السلام بأنه لا يوجد رب في هذا العالم ومالك ومدبر في الكون إلا هو سبحانه وتعالى. وكذلك فهم بأن نظام الكون يرتكز على إرادة الله

١- حافظ الشيرازي.

٢- الأنعام :٦ :٧٥.

سبحانه وتعالى وكلمة «كن» التي هي فعل الوجود المقدس للرب، والحاكم في هذه الدنيا. و في مثل هذا الفهم، فإن الشك والترديد يستحيل ان يتغلغل في داخله. ومنه يجتاز الإنسان مراتب اليقين حتى يصل إلى مقام التسليم لله والفناء في الله والبقاء بالله وهذه الآية تبين يقين نبي الله إبراهيم عليه السلام و ايمانه اليقيني بالله سبحانه وتعالى.

### ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾<sup>١</sup>.

يعني انه لا يشك أو يتردد في قيام القيامة، وهو ذلك المكان الذي يتحرك الوجود نحوه على أساس العدل الإلهي والنظام المتقن للعالم.

### ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾<sup>٢</sup>.

نعم، عندما يتأمل العلماء والمفكرون في آثار الله سبحانه وتعالى في أرضه الواسعة، وفي الصحاري، والبحار، فإنهم يصلون إلى هذه النتيجة، ألا وهي استحالة وجود النشاطات الحياتية لأي ذرة في الوجود، دون خالق عادل، وعالم حكيم. العلماء يستنتجون من خلال تفكرهم و تأملهم العميق في صنع الله سبحانه وتعالى، بأن الأرض مخزن موادٍ للكائنات الحية، مواد يعجز عن حسابها الإنسان والحاسبات الآلية، فكيف يستطيع ان يتحقق في جميع شؤون كل ذرة من ذرات هذه المواد.

ان مسألة الغلاف و الجوي الذي يحيط الأرض و التي كُتب حوله آلاف

١- البقرة ٢: ٤.

٢- الذاريات ٥١: ٢٠.

الكتب و المعادن الارضية التي كُتبت حولها ملايين و اليابسة و الوديان و الجبال و العيون و الصحارى و الجزر و البحيرات و البحار و المحيطات و الانهار. و العجائب الموجودة في المحيطات. . . كل هذه الآثار، تحرك الإنسان نحو اليقين و مراتبه، و تصنع من البشر؛ رجال عظماء جداً؛ كالأنبياء و الأئمة عليهم السلام و الصالحين و العارفين، و اولياء الله.

### الروايات و مسألة اليقين:

عَنْ جَابِرٍ قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «يَا أَخَا جُعْفٍ إِنَّ الْإِيمَانَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِسْلَامِ وَإِنَّ الْيَقِينَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَعَزَّ مِنَ الْيَقِينِ»<sup>١</sup>.

يقول العلامة المجلسي رحمته الله في توضيح هذه الرواية:

إذا تجلّى اليقين في وجود انسان، فلا تصدر منه المعصية، طبعاً في الإيمان الحقيقي الراسخ، خصوصاً وأن ايمان أغلب الناس تقليدي و ظني و مع اقل و سوسة من النفس أو الشيطان يذهب سدى. ألا ترى حينما يقول الطيب: الغذاء الفلاني للشخص الفلاني فيه ضرر، أو يكون باعثاً في زيادة مرضه، أو في تأخير شفائه. فالناس يأخذون بأوامر الطيب بجدية. لكن للأسف مع كل آيات الله سبحانه و تعالى و الأخبار التي جاءت من الأنبياء و الأئمة الأطهار عليهم السلام الذين وضحوا الاخطار و الآثار السيئة للمعاصي، و أن الذنوب هي السبب في الهلاك و العذاب، لكنك ترى الناس لا يعيرون أي أهمية لذلك، وهو دليل على ضعف

الإيمان وفقدان اليقين.

عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «الْإِيمَانُ فَوْقَ الْإِسْلَامِ بِدَرَجَةٍ، وَالتَّقْوَى فَوْقَ الْإِيمَانِ بِدَرَجَةٍ، وَالْيَقِينُ فَوْقَ التَّقْوَى بِدَرَجَةٍ، وَمَا قَسَمَ فِي النَّاسِ شَيْءٌ أَقْلَ مِنْ الْيَقِينِ»<sup>١</sup>.

نعم يحصل اليقين، بعد اجتياز جميع مراحل الإسلام والايمان والتقوى. فالذي يحصل على جميع هذه المراحل العالية ويصل إلى اليقين فإنه سوف يشاهد العناية الإلهية الخاصة.

عَنْ يُونُسَ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ فَقَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّمَا هُوَ الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ فَوْقَهُ بِدَرَجَةٍ، وَالتَّقْوَى فَوْقَ الْإِيمَانِ بِدَرَجَةٍ وَالْيَقِينُ فَوْقَ التَّقْوَى بِدَرَجَةٍ، وَلَمْ يُقَسِّمْ بَيْنَ النَّاسِ شَيْءٌ أَقْلَ مِنْ الْيَقِينِ قَالَ: قُلْتُ: فَأَيُّ شَيْءٍ الْيَقِينُ قَالَ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ، وَالتَّسْلِيمُ لِلَّهِ، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَالتَّفْوِيضُ إِلَى اللَّهِ قُلْتُ: فَمَا تَفْسِيرُ ذَلِكَ، قَالَ هَكَذَا قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام»<sup>٢</sup>.

دققوا في هذه الرواية المهمة، هل صدر من الإنسان - الذي هو في جميع احواله متوكل على الله سبحانه وتعالى، ومستسلم في جميع شؤونه لحضرتة، وراضي بجميع نعمه التي انعمها عليه، ومتوكل في جميع اموره عليه، وقد وصل

١- الكافي: ٥١/٢، باب فضل الايمان، حديث ٢.

٢- الكافي: ٥١/٢، باب فضل الايمان، حديث ٤٥ بحار الأنوار: ١٣٨/٦٧، باب ٥٢، حديث ٤.

إلى مرتبة اليقين (وهذه العلامات الأربع تدل على انه وصل إلى حق اليقين) -  
 ذنب أو معصية؟ فهؤلاء قد وصلوا إلى مرتبة من اليقين؛ يقول عنها الإمام  
 الصادق (عليه السلام): «وَإِذَا أَشْرَقَ نُورُ الْيَقِينِ فِي الْقَلْبِ شَاهَدَ الْفَضْلَ».

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) قَالَ: «مِنْ صِحَّةِ يَقِينِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ لَا  
 يُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَلَا يَلُومُهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ،  
 فَإِنَّ الرِّزْقَ لَا يَسُوقُهُ حَرِصٌ حَرِيصٌ وَلَا بَرْدُهُ كِرَاهِيَةٌ كَارِهِ،  
 وَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَفِرُّ مِنَ الْمَوْتِ لِأَدْرَكُهُ رِزْقُهُ،  
 كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ بَعْدَلِهِ وَقَسَطِهِ جَعَلَ الرُّوحَ  
 وَالرَّاحَةَ فِي الْيَقِينِ وَالرِّضَا وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ  
 وَالسَّخَطِ».

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى بالناس الصبح فنظر إلى  
 شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه، مصفراً لونه، قد نحف جسمه،  
 وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): كيف أصبحت يا فلان؟ قال:  
 أصبحت يا رسول الله موقناً، فعجب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قوله وقال: إن لكل يقين  
 حقيقة فما حقيقة يقينك؟ فقال: إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزني واسهر  
 ليلي وأظماً هو اجري فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني أنظر إلى عرش  
 ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأني أنظر إلى أهل  
 الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون وعلى الأرائك متكئون، وكأني أنظر إلى أهل

النار وهم فيها معذبون مصطرخون، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: هذا عبد نور الله قلبه بالإيمان ثم قال له: الزم ما أنت عليه، فقال الشاب: ادع الله لي يا رسول الله ان ارزق الشهادة معك، فدعا له رسول الله ﷺ فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي ﷺ فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر.

يقول العلامة المجلسي رحمه الله حول هذه الرواية:

توجد في قلب الإنسان أغشية مظلمة سوداء؛ لا تسمح بدخول ضياء نور الحقيقة إلى القلب، ولا يمكن رفعها، إلا عن طريق مجاهدة النفس والسهر والجوع ومراقبة النفس دائماً، كي تتجلى الحقيقة.

بعد ذلك يقول العلامة:

لقد اشارت الاحاديث إلى بعض هذه الأغشية، فقد ورد: لولا أن الشياطين تحوم حول قلب الإنسان؛ فإنهم ينظرون ملكوت السموات.

بالطبع، من أجل أن نقضي على هذه الأغشية وغبار الكدورات، فثمة طريقة، وهي اطاعة الله سبحانه وتعالى في اوامره، واجتناب نواهيه في كل صغيرة وكبيرة وإذا استطاع الإنسان ان يطهر نفسه من كل ذنب اربعين يوماً و سوف يتجلى نور الحقيقة في قلبه وتجري ينابيع الحكمة على لسانه مثلما تقول هذه الرواية:

«من أخلصَ لله أربعينَ صباحاً ظَهَرَ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ  
يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ»<sup>١</sup>.

عندما يتجلى ذلك النور في الإنسان، فإنه يستطيع رؤية اللطاف الإلهية الخاصة؛ كما يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«وَإِذَا أُشْرِقَ نُورُ الْبَاقِينَ فِي الْقَلْبِ شَاهِدَ الْفَضْلَ وَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُ»

يعني عندما يستقر اليقين في قلب الإنسان، فإنه يظهر الأمل بعناية الرب تعالى، وثوابه الجزيل. والأهم من ذلك، أمل الوصول إلى المطلوب والمعشوق الحقيقي، والوصول إلى مقام القرب الإلهي.

«وَإِذَا وَجِدَ حَلَاوَةَ الرَّجَاءِ طَلَبَ»

## لذّة الأمل:

عندما يجد الإنسان لذّة الأمل، فسوف تشتعل نار الطلب و السعي في قلبه وينهض بكل جد واجتهاد؛ بمتابعة هدفه وغايته الأوهى القرب الإلهي. و يؤجج هذه النار، سعيه في مسيره للوصول إلى الهدف فلا تجعله يغفل لحظه عن السعي.

عندما يقترب موعد الوصال، فانار الشوق تتوهج أكثر.



«وَإِذَا وُتِّقَ لِلطَّلَبِ وَجَدَ»

## التوفيق الإلهي:

عندما يجد الإنسان؛ توفيق طلب المطلوب، وسعى من أجله، وتحرر من القيود الشيطانية والمادية والهواجس النفسانية؛ عن طريق رياضة النفس الشرعية، ومجاهدة النفس، والتحلّي بالاخلاق الحسنة، والابتعاد عن الرذائل، فإنه يجد معشوقه؛ ويفنى فيه؛ ويتحوّل كيانه؛ إلى وجود إلهي.

و هذا المقام هو مرحلة الوجود، كما قيل في هذا المجال:

«مَنْ طَلَبَ شَيْئاً وَجَدَ وَجَدَ وَمَنْ قَرَعَ بَاباً وَلَجَّ وَلَجَّ»

«وَإِذَا تَجَلَّى ضِيَاءُ الْمَعْرِفَةِ فِي الْفُؤَادِ هَاجَ رِيحُ الْمَحَبَّةِ»

عندما يرفع العارف؛ الأغشية المظلمة عن قلبه وروحه؛ إثر تنفيذ الأوامر الإلهية؛ وعندما لا تبقى له نية في قلبه سوى الله، وعندما لا تبقى له همة سوى الوصول إلى مقام القرب الإلهي؛ عندئذ يشرق نور المعرفة في قلبه، والمعرفة تعني ان في هذه المملكة؛ لا وجود لغيره سواه، وحينما يتجلى نور المعرفة في قلبه يبدأ نسيم العشق بالهبوب، ذلك العشق الذي هو أصل الأصول ولا توجد ثروة سواه؛ العشق لله؛ العشق لأوامره ونواهيه، العشق لرسالات الأنبياء وامامة الأئمة الاطهار عليهم السلام، العشق للعمل الصالح، العشق للأخلاق الحسنة، والعشق للحركة نحوه تعالى، وقبول وتحمل كل المصائب من أجل الوصول إلى مقام قربه.

«وَإِذَا هَاجَ رِيحُ الْمَحَبَّةِ إِسْتَأْنَسَ فِي ظِلَالِ الْمَحْبُوبِ»

عندما يهب نسيم المحبة بتلك الكيفية التي ذكرناها قبل قليل، فلا يستوحش الإنسان من أي شيء، فمن بركة ذلك النسيم الإلهي يكون في ظل المحبوب الحقيقي، ويستأنس مع معشوقه، ويكون خليلاً لصاحبه الحقيقي والمطلوب. وعندما يحصل الأُنس للمحبوب لديه، فإنه لا يأُنس بأي شيء آخر سواه. ولا تستطيع أية قوة أن توقفه و تمنعه عن مواصلة هذا الطريق.

عندما توجد امور لكي تعيق الموحد، وتشهر السيف عليه.

فلا يأمل ولا يخاف من أحد، وهذا هو دين التوحيد.

من أجل هذا الأُنس وهذه اللذة من نتيجة العشق الحقيقي، يقول الإمام عليه السلام

ان العاشق سيؤثر المحبوب على كل ما علاه:

«وَأَثَرَ الْمَحْبُوبِ عَلَى مَا سِوَاهُ»

وفي هذا الوقت؛ يكون قد فضل المحبوب على سواه، وقدمه في حياته على كل شيء. فأرادته وهمته كلها، هي إرادة وهمة معشوقه؛ وإذا تركه أهل الدنيا كلها، فإنه يأنس بمعشوقه أكثر، ويزداد عشقه و تعلقه بالمحبوب.

## «وَبَاشَرَ أَوْامِرَهُ وَاجْتَنَبَ نَوَاهِيَهُ»

عندما يصل العارف إلى المحبوب، فإنه في الحقيقة قد خرج من هيمنة الناس والنفس، ودخل في هيمنة المولى عزوجل، ولا يبقى أمر أو نهى غير امره ونهيه؛ فالذي انقطع عن النفس والناس، كيف يكون محكوم النفس والخلق؟ وهناك يحصل له اليقين ان اطاعة اوامره ونواهيهِ، ستقربه من المحبوب أكثر، فلهذا فهو يكثر من العبادة. ولا تتوجه إليه الأوامر والنواهي، إلا وعمل بها.

«وَإِذَا اسْتَقَامَ عَلَى بَسَاطِ الْأَنْسِ بِالْمَحْبُوبِ مَعَ أَدَاءِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ  
نَوَاهِيهِ وَصَلَ إِلَى رُوحِ الْمُنَاجَاةِ».

### الأنس الإلهي:

أن العارف حينما يستقيم على بساط الانس مع المحبوب، ويطيع اوامره  
ويجتنب نواهيه، يصل إلى روح المناجاة، وإلى مرحلة يُعتبر فيها تركه للعبادات  
ليس الواجبات فحبت بل المستحبات منها؛ كإخراج السمكة من الماء. وندرك  
من هذا الكلام ان الكسل والخمول في العبادة علامة الابتعاد عن الله سبحانه  
وتعالى، والميل والرغبة هو دليل على القرب و التوجه لجلال وجمال الله سبحانه  
وتعالى.

ويُنقل عن الرسول ﷺ، أنه كان يقول لبلال عندما يحين وقت الصلاة:

«أرحنا يا بلال».

يعني: أذن حتى تؤدي عبادة الحق، التي نشعر فيها بالراحة واللذة.

ان حفظ اوامر ونواهي الله سبحانه وتعالى، هو أسمى أدب للإنسان مع مولاه،  
ويحصل على بساط الانس مع المحبوب بأداء اوامره.

و مع الأدب يستطيع الإنسان ان يصل إلى مقام الأنس وعلامة الأنس هو ان  
يفرح القلب بالحبيب، وذلك بأن لا يرى سواه.

حتى إذا أعطي نعماً كثيرة، بكثرة ما في الدارين، فإنه لا يسعد، فالسعادة عنده بغير المحبوب، دليل على نقصان المحبة.

ومعنى الوحشة من الغير، هو أن ألا تكون أية متعة مع المحبوب، من أجل التماس نفع أو دفع ضرر؛ بل التسليم المطلق.

ويسعد مع المحبوب بشكل إذا مُنِع العطاء لا يقول: لماذا، وإذا نزل البلاء، لا يضجر.

وعندما يريد الحق سبحانه وتعالى توفيق عبده المؤمن، فإنه يؤنس قلبه، ويغدق عليه النعم تواليًا، أو يدفع عنه البلاء، حتى يستوحش الإنسان بغيره.

وعندما يشتد الأُنس بالله سبحانه وتعالى، تزداد وحشة الإنسان من الخلق، وعلامة هذا الأُنس أن صاحبه توجد فيه حالة من الوحشة من الدنيا والخلق، إلا مع أولياء الله سبحانه وتعالى، فالأُنس معهم؛ هو الأُنس مع الله، ومن أنس مع الخلق، فكأنما سكن في بساط الفراغنة، فالأُنس هو الله، وإلا فلا، والأُنس هو الوحشة من كل شيء سواه.

فالحجاب بين العبد وربّه، والسماء والأرض والعرش والكرسي ليس خيالاً أو وهمًا، بل أن أنوية هي الحجاب. أخرج من الجمع واتجه نحو الله، فإن كنت في خلوة فعليك أن ترى الله، وإن كنت بين خلقه فعليك أن تراه أيضاً، وكل ما حولك غير الحق سبحانه؛ هو الباطل، ولا يحرك تغيّر العالم، ولا تجعل البلاء يقلل من محبتك له.

عندما تحل هيبة حسنة على كيائك، اخلع حجاب العشمة بدءاً.

فغيره يخرج من الجمع، فرجاء الرجل يزداد أكثر من خوفه.

فمجلس التبرية جاء في البساط، والعشاق قد تمتعوا.  
فأراد ثروة من هذا السوق، وأراد كلیم الله حق لقائه.  
فإذا وجد نسيم هذه الخضراء، يتحول بليل الروح في القفص إلى ساحر.  
فإذا عرف السالك من البداية هذا المقام، أنس بطاعته وذكره دائماً.  
فمن كان صاحب روحانية، فإنه يطمئن مع صفات الحق.  
فمن أنس مع ذات الحق سبحانه، فبحر التمكين معه والبقاء.



«وَمِثَالُ هَذِهِ الْأَصُولِ الثَّلَاثَةِ كَالْحَرَمِ وَالْمَسْجِدِ وَالْكَعْبَةِ فَمَنْ دَخَلَ الْحَرَمَ  
أَمِنَ مِنَ الْخَلْقِ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَمِنَتْ جَوَارِحُهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا فِي  
الْمَعْصِيَةِ، وَمَنْ دَخَلَ الْكَعْبَةَ أَمِنَ قَلْبُهُ مِنْ أَنْ يَشْغَلَهُ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ».

مثال الخوف والرجاء والحب، كالحرم والمسجد والكعبة. الذي يدخل منطقة الحرم يأمن من أذى الناس، لأنه دخل في حرمة، وتحرم عليه الكثير من الأمور العادية، فضلاً عن الأشياء المحرمة، لذا عندما يكون قد دخل الحرم؛ فإنه آمن من أذى الخلق، فالدخول إلى منطقة الخوف؛ هو أمان من عذاب الدنيا والآخرة، لماذا؟ لأن العبد الخائف من مقام الله، مؤتمراً بأوامره، ومجتنباً لنواهيه، فأداء الأوامر الإلهية؛ يعتبر أفضل منطقة آمنة؛ من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. فالذي يدخل المسجد الحرام، في الحقيقة فإنه يدخل إلى مركز العشق ومنطقة الحب ورحاب المحبوب، يقول القرآن حول الداخل إلى المسجد الحرام:

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، فالضيف هو حبيب، فهل يفعل غير أوامر مولاه، أو هل يمكنه ان يدنس جوارحه بالمعصية، فهناك لا توجد علة وسبب لارتكاب المعصية، إنما هو مكان للتوجه إلى المحبوب وأداء أوامره فقط. ومن

اجل هذا فإن الذي ينفذ أوامر الحبيب، قد احسن الظن بالله وامتلاً قلبه بالأمل برحمته وعنايته. والله سبحانه وتعالى في مقابل - كما مر في الروايات السابقة - عبده، يكون عند حسن ظنه، وعلى أساس خوفه منه.

والذي يدخل البيت، لا يستطيع أن يكون منشغلاً سوى بصاحب البيت. وكذلك المستقر في منطقة الحب، لا يعشق احد إلا المولى ولا يشعر بأي شيء سوى المحبة للمحجوب، ولا ينسى هذه المحبة أبداً، وبعد الوصول إلى هذه الحب، لا يمكنه أن يفضل أي حبّ آخر عليه. فلهذا فهو يريد ويطلبه، وكل ما يطلب، فهو لأجله سبحانه وتعالى.

«فَانظُرْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، فَإِنْ كَانَتْ حَالَتِكَ حَالَةً تَرْضَاهَا لِحُلُولِ الْمَوْتِ فَاشْكُرِ  
اللَّهَ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَعِصْمَتِهِ»

في الحقيقة، عليك أن تفكر جيداً، وأن تدقق في نفسك، وفكر في نفسك، فإذا كانت حالتك بالنسبة لله هكذا؛ بأن ترحب بالموت، لذا يجب عليك ان تشكر الله سبحانه وتعالى على هذه الحالة، وعلى أن وفقك لأداء الواجبات وترك المحرمات، وحفظك من الخطأ والذنب والسقوط في هاوية الهلاك، فهكذا حالة بالنسبة إلى الموت؛ هي ثمرة العمل الصالح والأخلاق الحسنة والابتعاد عن الذنب. كما كان حال اولياء الله بالنسبة إلى الموت. ألم تسمع امام العارفين حينما ضربه ابن ملجم المرادي، يقول: فزت ورب الكعبة<sup>١</sup> أو عندما قال علي الأكبر للامام الحسين عليه السلام: لا نبالي بالموت<sup>٢</sup>. الذي يجب أن يخاف من الموت هو الذي لم ولن يفكر بالمولى و بعاقبة الأمر. وقد سئل ابو ابي ذر: لماذا بعض الناس يخافون من الموت ويصابون بالهلع من حلوله عليهم، والبعض الآخر يتمنون وهم راضون به؟

١- بحار الأنوار: ٢/٤١، باب ٩٩، حديث ٤؛ اعلام الوری: ٨٦، باب ٤.

٢- بحار الأنوار: ٣٦٧/٤٤، باب ٣٧؛ اللهوف: ٧٠.

فأجاب: إن الذين يخافون من الموت هم الذين عمَّروا الدنيا وأخربوا الآخرة؛ فهم يكرهون الانتقال من العمران إلى الخراب. ومن الواضح أن الهجرة من الديار المعمورة إلى الخرائب يستوجب الخوف، والذين هم راضون بالموت، فإن آخرتهم معمورة والدنيا لا قيمة لها ولا ثمن وتعتبر بالنسبة لهم كالأرض الخراب. ومن الواضح ان الهجرة الارض الخراب إلى الديار المعمورة يستوجب الرضا.

«الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»<sup>١</sup>.

«وَإِنْ تَكُنْ الْأُخْرَى فَانْتَقِلْ عَنْهَا بِصِحَّةِ الْعَزِيمَةِ وَأَنْدَمْ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ  
عُمْرِكَ فِي الْغَفْلَةِ»

و إذا كانت حالتك بالنسبة للموت هو حالة كراهية وتنفر؛ فانتقل عنها بإرادة  
صحيحة واخرج من هذه الحالة إلى تلك الحالة الإلهية؛ فكراهية الموت هي  
علامة على قسوة القلب. واندم على ماضيك، الذي كنت فيه غافلاً عن حق  
الخالق والخلق؛ وبسبب هذه الغفلة فقد ضيعت حقيهما عليك. فاسع في تدارك  
حقوق الناس وحق الله، فإن من وراء ذلك؛ تبعات ومشكلات ومصائب اخروية  
كثيرة.

«وَأَسْتَعِنُ بِاللَّهِ عَلَى تَطْهِيرِ الظَّاهِرِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَتَنْظِيفِ البَاطِنِ مِنَ  
العُيُوبِ»

و اطلب من الله الرحمن الرحيم؛ ان يساعدك في تطهير جوارحك من  
الذنوب، و اطلب من الله سبحانه وتعالى مساعدتك في تصفية باطنك من جميع  
العيوب، فقد ورد في القرآن الكريم والروايات الشريفة؛ (أن الجنة مكان  
الطاهرين.

﴿الطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ﴾<sup>١</sup>.

وجاء في رواية

«والجَنَّةُ لا يدخلها إلا الطَّيِّبُ»<sup>٢</sup>.

---

١- نور ٢٤: ٢٦ .

٢- بحار الأنوار: ٣١٧/٧٠، باب ١٣٧ الذنوب و آثارها .

«وَأَقْطَعْ زِيَادَةَ الْغَفْلَةِ مِنْ قَلْبِكَ»

واقطع كثرة الغفلة عن قلبك، ولا تغفل عن ذكر الموت أبداً، واذكر الله سبحانه وتعالى. فكلمة (زيادة) في الرواية تشير إلى أن بعض الغفلة هي من لوازم حالات البشر، ولا يمكن الاحتراز منها، لذا فإن الإمام امر بقطع الغفلة الكثيرة عن حدها الطبيعي.

## «وَأَطْفِ نَارَ الشَّهْوَةِ مِنْ نَفْسِكَ»

واسع الى اطفاء نار الشهوة داخل نفسك وتعامل مع نفسك بمقدار ما اجاز لك الله الرحمن ان تتعامل معها، لا بالمقدار لذي تطلبه النفس منك، فإذا فسح المجال لشهوات النفس؛ فإنها تلحق أكبر الضرر للإنسان كما قال رسول الله ﷺ:

«أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ»!

نسأل الله الرحمن الرحيم ان يوفقنا جميعاً بالتحلي بما ذكر في الروايات وأن يجعلنا أيضاً ممن يسير في طريق الله، وأن نصبح كم من خلفائه في أرضه.



## المحتويات

٥	مقدمة الناشر:.....
١١	مقدمة:.....
١١	تحليل حول موضوع العارف والعرفان:.....
١٨	نيع العرفان:.....
٢٤	هداة الطريق:.....
Error! Bookmark not defined.	المدارس المدعية للعرفان:.....
٣٢	تحقيق حول مصباح الشريعة:.....
٤٣	الحمد والشكر لله:.....
٤٧	الذكر:.....
٤٨	القرآن الكريم؛ مركز العرفان:.....
٥٠	نور القرآن:.....
٥٢	الإمام علي عليه السلام هو القرآن الناطق:.....
٥٤	الروح وتكامل الإنسان:.....
٥٧	طهارة القلب:.....
٥٨	القلب الميت:.....

- ٦١..... حقيقة شرح الصدر:
- ٦٧..... توفيق العبادة:

## الباب (١) في بيان حالات العرفاء

- ٧٧..... حقيقة باطن العارفين:
- ٨٣..... أوصاف العرفان من لسان امام العارفين عليه السلام:
- ٨٣..... خطبة همام:
- ٩٢..... حديث مهم ورواية عجيبة:
- ٩٣..... جمال القلب:
- ٩٤..... سيماء العارفين:
- ٩٦..... الخوف والحب عند العارفين:
- ٩٩..... حديث من العرفاء:
- ١٠٢..... بُعد وقرب العارفين:
- ١٠٢..... يقين العبادة:
- ١٠٤..... من هو العارف:
- ١٠٦..... مراحل عبادة العارفين:
- ١٠٨..... من العبودية إلى الربوبية:
- ١٠٩..... مراحل الربوبية:
- ١١٤..... النفس ومراحلها السبعة:
- ١١٥..... ١ - النفس الأمانة:
- ١١٦..... ٢ - النفس اللوامة:

- ١١٧ ..... ٣ - النفس الناطقة أو المتفكرة:
- ١١٨ ..... ٤- النفس العاقلة أو الملهمة:
- ١١٩ ..... ٥ - النفس المطمئنة:
- ١٢٠ ..... ٦ - النفس الراضية:
- ١٢٢ ..... ٧ - النفس المرضية:
- ١٢٣ ..... العرفان من لسان الإمام علي عليه السلام:
- ١٢٤ ..... ما الحقيقة؟:
- ١٢٦ ..... الحجاب النوراني والحجاب الظلماني:
- ١٣٦ ..... الخوف:
- ١٣٦ ..... الخوف الطبيعي:
- ١٣٧ ..... الخوف المذموم:
- ١٣٩ ..... اسباب الخوف من الموت:
- ١٤٥ ..... حكم من نهج البلاغة:
- ١٤٧ ..... الخوف الممدوح:
- ١٤٩ ..... الحكمة في القرآن:
- ١٥١ ..... انواع الخوف الممدوح:
- ١٥٢ ..... ١- الخوف من وقوع الخطر للناس:
- ١٥٦ ..... ٢- الخوف من سوء العاقبة:
- ١٥٧ ..... أمثلة من القرآن الكريم حول سوء العاقبة:
- ١٥٧ ..... برصيصة العابد:
- ١٥٨ ..... ثعلبة بن حاطب:
- ١٦٠ ..... امثلة من تاريخ الإسلام:

- ١٦٢ ..... ٣ - الخوف من معصية الله سبحانه وتعالى:
- ١٦٣ ..... الخوف من العذاب في القرآن:
- ١٦٦ ..... الخوف في الروايات:
- ١٧٠ ..... الخوف من الله في الأدعية الإسلامية:
- ١٧٢ ..... عاقبة الخائفين:
- ١٧٢ ..... المرأة الزانية:
- ١٧٣ ..... يحيى والخوف من الله:
- ١٧٦ ..... بجانب النار المحرقة:
- ١٧٦ ..... معاقبة النفس:
- ١٧٧ ..... الشاب الخائف والرجل العابد:
- ١٧٨ ..... ٤- الخوف من عذاب الذنوب أفضل سبب للتوبة:
- ١٨٢ ..... جزاء الذنوب في القرآن الكريم:
- ١٨٣ ..... جزاء السيئات والخطايا:
- ١٨٤ ..... جزاء النفاق والمنافق:
- ١٨٤ ..... جزاء الشرك والمشرك:
- ١٨٥ ..... جزاء الذنوب في الروايات الشريفة:
- ١٨٥ ..... العبادات المخالفة لأوامر الحق:
- ١٨٦ ..... الغفلة عن أوامر الحق:
- ١٨٦ ..... التخلي عن أهل البيت عليهم السلام:
- ١٨٧ ..... أتباع أئمة الظلم:
- ١٨٧ ..... المدعون الكاذبون:
- ١٨٨ ..... اعداء أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

١٨٨	.....البغي، قطيعة الرحم، الحلف بالله كاذباً:.....
١٨٨	.....المتكبرون:.....
١٨٩	.....السرور من ارتكاب الذنب:.....
١٨٩	.....الاستهزاء بالصلاة:.....
١٨٩	.....اضاعة الصلاة:.....
١٩٠	.....البخل والامتناع عن اداء الزكاة:.....
١٩٠	.....الافطار بدون عذر:.....
١٩٠	.....ذنب اللسان:.....
١٩١	.....طالب العدل وهو ظالم:.....
١٩١	.....أثر الفضب السيء:.....
١٩١	.....التعصّب:.....
١٩١	.....مانع حق المؤمن:.....
١٩٢	.....الافتداء بالطاغوت والحب الشديد للدنيا:.....
١٩٣	.....الابتعاد عن الطاغوت خوفاً من الله عزوجل:.....
١٩٧	.....٥- الخوف من النقصان في العبادة:.....
٢٠٠	.....حديث السجادة <small>عليها السلام</small> مع جابر بن عبد الله حول العبادة:.....
٢٠٤	.....٦- الخوف من صغر النفس امام عظمة الخالق:.....
٢٠٧	.....الفرق بين الخوف والخشية:.....
٢١٣	.....جذور الخوف:.....
٢١٤	.....العلم في القرآن:.....
٢١٥	.....العلم في الروايات:.....
٢٢١	.....الأمّل بالله سبحانه وتعالى:.....

- ٢٢٢ ..... وصايا الإمام الصادق عليه السلام للمفضل:
- ٢٢٦ ..... الله سبحانه وتعالى والمذنبين التائبين:
- ٢٣٠ ..... الأثر السيء للتكبر:
- ٢٣٠ ..... شارب الخمر وتوبته:
- ٢٣١ ..... النبأش: سارق الأكفان:
- ٢٣٢ ..... المذنب الآمل:
- ٢٣٣ ..... توبة «وحشي»:
- ٢٣٥ ..... قصة المتخلفين الثلاثة في القرآن الكريم:
- ٢٣٧ ..... الأمل في القرآن الكريم:
- ٢٣٨ ..... الأمل في الروايات:
- ٢٤٥ ..... المحبة والمعرفة:
- ٢٤٥ ..... معرفة الحق سبحانه وتعالى:
- ٢٤٨ ..... صفات الله في الأدعية:
- ٢٤٨ ..... دعاء الجوشن الكبير:
- ٢٤٩ ..... دعاء كميل:
- ٢٥٠ ..... الدعاء بعد زيارة الإمام الرضا عليه السلام:
- ٢٥٣ ..... معرفة الله في العلوم الحديثة:
- ٢٥٣ ..... الاوكسجين:
- ٢٥٨ ..... الجهاز الهضمي:
- ٢٦٣ ..... المحبة في القرآن الكريم:
- ٢٦٨ ..... المحبة في الروايات الشريفة:
- ٢٦٩ ..... كلام في باب العشق:

٢٦٩	.....	اقسام العشق:
٢٧٢	.....	الحب في الروايات:
٢٧٦	.....	دليل الخوف:
٢٧٧	.....	من أي شيء يجب ان نهرب:
٢٧٨	.....	الآية الأولى: عباد الشهوة:
٢٧٩	.....	الآية الثانية: الذين يفرقون وحدة المسلمين:
٢٧٩	.....	الآية الثالثة: المستهزئون:
٢٨٠	.....	الآية الرابعة: المنخدعين بالظاهر:
٢٨١	.....	الآية الخامسة: المخالفون للمهود:
٢٨١	.....	الآية السادسة: كفر الوالدين:
٢٨١	.....	الآية السابعة: المنكرون للمعاد:
٢٨٢	.....	الآية الثامنة: المنافقين ذو الوجهين:
٢٨٣	.....	الاجتناب من المعاصي في الروايات:
٢٨٣	.....	الآثار السيئة للذنب:
٢٨٥	.....	كباثر الذنوب من وجه نظر العظماء:
٢٩١	.....	دليل الأمل:
٢٩٣	.....	نبذة من سيرة الصالحين في القرآن الكريم:
٢٩٣	.....	الآية الأولى: الطاهرين في القرآن الكريم:
٢٩٤	.....	الآية الثانية: المتقين:
٢٩٤	.....	الآية الثالثة: المؤمنون:
٢٩٥	.....	الآية الرابعة: الذاكرين والصابرين:
٢٩٥	.....	الآية الخامسة: حزب الله:

- ٢٩٦ ..... الآية السادسة: صفات المؤمنون:
- ٢٩٦ ..... الآية السابعة: الصابرين:
- ٢٩٧ ..... الآية الثامنة: المجاهدين:
- ٢٩٧ ..... الآية التاسعة: الفائزين:
- ٢٩٧ ..... الآية العاشرة: المهاجرين:
- ٢٩٧ ..... الآية الحادية عشر: الناصحين:
- ٢٩٨ ..... الآية الثانية عشر: اصحاب الورع:
- ٢٩٨ ..... الآية الثالثة عشر: عباد الرحمن:
- ٢٩٩ ..... الرشد والكمال في الروايات:
- ٣٠٠ ..... ١- العزّة في الغربية:
- ٣٠٠ ..... ٢- المعاملة مع الله سبحانه وتعالى:
- ٣٠١ ..... ٣- صفات الشيعة:
- ٣٠١ ..... ٤- شرط المحبّة مع أهل البيت:
- ٣٠٢ ..... ٥- حقيقة الإيمان:
- ٣٠٢ ..... ٦- علامات الإيمان:
- ٣٠٢ ..... ٧- موانع لذّة المناجات:
- ٣٠٣ ..... ٨- ذكر الله:
- ٣٠٣ ..... ٩- المتقون، الزهاد، واغنياء المسلمين:
- ٣٠٣ ..... ١٠- شجرة الدين:
- ٣٠٤ ..... ١١- الابتداء والانتهاج بالخير:
- ٣٠٤ ..... ١٢- ستة خصال خالدة:
- ٣٠٤ ..... ١٣- الإسلام الكامل:



- ١٤- عدم المبالاة من الموت: ..... ٣٠٥
- ١٥- محاسبة النفس: ..... ٣٠٥
- ١٦- الحفظ من الدنس: ..... ٣٠٦
- ١٧- الاجتهاد: ..... ٣٠٦
- ١٨- الجنة مقابل اربع خصال: ..... ٣٠٦
- ١٩- حفظ اللسان: ..... ٣٠٦
- ٢٠- تقوى اللسان: ..... ٣٠٧
- ٢١- صفات العقلاء: ..... ٣٠٧
- ٢٢- عوامل النجاة: ..... ٣٠٧
- ٢٣- منزلة السكوت: ..... ٣٠٧
- ٢٤- ضمانة الجنة: ..... ٣٠٨
- ٢٥- كن يقظاً: ..... ٣٠٨
- ٢٦- عبادة أبي ذر: ..... ٣٠٨
- ٢٧- تنظيم الوقت: ..... ٣٠٩
- ٢٨- جهنم؟ ابدأ: ..... ٣٠٩
- ٢٩- توصيتان مهمتان: ..... ٣٠٩
- ٣٠- خير الدنيا والآخرة: ..... ٣٠٩
- دليل العشق والمحبة: ..... ٣١١
- تقدم المحبوب على ما سواه: ..... ٣١١
- نماذج من التاريخ: ..... ٣١٦
- العلامم للعشاق الحقيقيين: ..... ٣١٨
- عشق الله للعبد: ..... ٣٢٠

- ٣٢٢ ..... سيرة اولياء الله عليهم السلام:
- ٣٢٤ ..... ثبات اصحاب الاخدود حتى آخر نفس:
- ٣٢٧ ..... ماهو السخاء؟:
- ٣٢٧ ..... ترجيح الله على كل شيء:
- ٣٢٩ ..... اراد رب البيت:
- ٣٣٠ ..... جوع شقيق البلخي:
- ٣٣١ ..... لا إله إلا الله:
- ٣٣٢ ..... الآثار العجيبة للأدب:
- ٣٣٤ ..... اختيار المحبوب في اصعب الظروف:
- ٣٣٥ ..... آسية والمعبود الواقعي:
- ٣٣٧ ..... الاعتماد والتوكل على الحق:
- ٣٤٣ ..... عوامل النجاة:
- ٣٤٧ ..... نور اليقين:
- ٣٤٧ ..... مراتب اليقين:
- ٣٥١ ..... القرآن ومسئلة اليقين:
- ٣٥٣ ..... الروايات ومسألة اليقين:
- ٣٥٨ ..... لذة الأمل:
- ٣٥٩ ..... التوفيق الإلهي:
- ٣٦٤ ..... الأنس الإلهي:
- ٣٧٥ ..... المحتويات: